السبت 27 تموز 2024
العدد 5256 السنة الثامنة عشرة
Samedi 27 Juillet 2024 no 5256 18ème année

32 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

عشّاق فلسطين اليمنيون
أعطيت مهرها دمي
9

ملوك السماء

قصة القوة الجوية في حزب الله

لا تملّ المقاومة من مفاجأة أنصارها قبل الأعداء، حيث أتاح إسناد غزة فرصة لتجارب وأسلحة كانت مكتومة التفاصيل. وباتت لدينا «قوة جوية» قادرة على كسر شوكة العدو، وأسراب من الطائرات التي تكسر احتكاره للسماء، وباتت للمقاومة أجنحة تطير بأهل الأرض لتعلنهم «ملوك السماء».

تقرير

السكان الفارّون: الحكومة تخلّت عن المستعمرات الشمالية
أضرار مادية كبيرة وخوف على الاستيطان

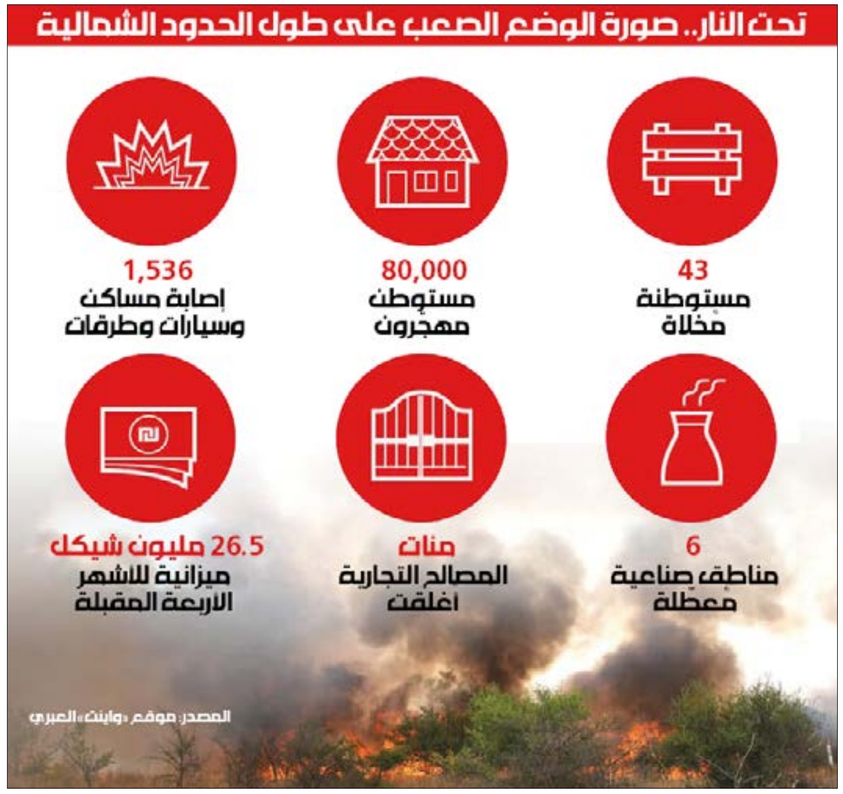

بيروت حمود

مئات البطات الصغيرة وضعها مستوطنو الشمال على لافتة افترشوا بها «شارع 85»، وخُطت عليها عبارة «المخليات اليوم هنّ المختطفات غداً». حول «بساط البط» جلست مُستوطنات من الشمال وهنّ يحملن لافتات تتوسطها ألسنة اللهب، خُطت عليها أسماء المستوطنات المحترقة بفعل الصواريخ والطائرات الانقضاضية التي يطلقها حزب الله، فيما حمل آخرون لافتات كُتب عليها «كُلنا بط في المرمى ذاته».

ما تقدّم هو خُلاصة الرسالة الاحتجاجية للتظاهرة التي نظّمها مستوطنون من الجليل والجولان ضد الحكومة التي يتهمونها بأنها تطبّق قانونين: واحد على الشمال وهو «الإهمال والنسيان»، وآخر على تل أبيب وهو «الردّ بكل قوّة على أي هجوم»، في إشارة إلى الرد على انفجار طائرة انقضاضية في تل أبيب، فيما هذا هو «الكابوس» اليومي المتواصل منذ تسعة أشهر في الشمال، ولا تبدو هجمات سلاح الجو الإسرائيلي على لبنان كافية بنظرهم، خصوصاً أنها غير قادرة على ردع حزب الله.

اكثر من 400 نقطة استيطانية تنتظر حلولاً لمشاكل الإقامة، التعليم، الصحة، الرفاه، الزراعة والسياحة... وإعادة الإعمار

وبعد طول انتظار، جاء رد الحكومة على ما تقدّم، وتم تكليف الجنرال إليعيزر ماروم بترؤس مديرية مساعدات الشمال، والتي من المفترض أن تتلقى في الأشهر الأربعة المقبلة ميزانية بقيمة 26,5 مليون شيكل (أكثر من 7 ملايين دولار). وأتى التكليف الجديد بعد التزام الحكومة قبل 7 أشهر بإقرار «خطة طوارئ فورية». لكن موقع «واينت» يقول إنه «لم يُحوّل بعد شيكل واحد إلى المجالس المحلية هناك».

ماروم، عمل سابقاً قائداً لسلاح البحرية، ورئيساً لسلطة المطارات. وبحسب موقع «واينت» العبري فإن هناك «شكوكاً حول ما يمكن أن يقوم به وصلاحياته ليست واضحة تماماً»، إذ سيكون مطلوباً منه تقديم رد فوري للمستوطنات التي تنتظر الحلول منذ أشهر، وقيادة عمليات ضخمة بين الوزارات والمكاتب الحكومية، كون يواجه «أعظم التحديات التي واجهتها إسرائيل منذ 7 أكتوبر، وهي أكبر حتّى من تلك المطلوبة لتأهيل مستوطنات الغلاف، ماروم سيتحمل الآن مسؤولية الاستجابة فقط للمستوطنات الحدودية المخلاة، لكن السلطات المحلية لمستوطنات «خط النزاع» التي لم تُحَل بقرار رسمي تتوقع منه أيضاً المساعدة في إيجاد حلول لمستوطنيها، حيث يعيش ربع مليون إسرائيلي، على بعد تسعة كيلومترات من الحدود، وحالت حياتهم «كابوساً مستمراً في ظل الحرب وعدم استجابة الحكومة لمشاكلهم».

على صعيد العام الدراسي، على ماروم أيضاً التأكد من افتتاح المدارس في الأول من أيلول المقبل. وهي مدارس مؤقتة تقرر إقامتها في مناطق بعيدة قليلاً عن مرمى النيران، كما أعلن وزير التربية والتعليم، يوآف كيش، أخيراً، ومهمتها أن تضمن للطلاب الذين تهجّروا مع عائلاتهم من 43 مستوطنة ألا تضيع منهم السنة الدراسية، وأن يتلقوا تعليماً كيفيّة أقرانهم في إسرائيل وليس في أطر تعمل لمدّة أربع ساعات في اليوم، على يد معلمين غير محترفين، كما هو قائم منذ تهجيرهم.

من جهة ثانية، ثمة مستوطنات لن يتمكّن ساكنوها من العودة إليها حتى بعد انتهاء الحرب، وهي مستوطنات تضررت بصورة شديدة من جرّاء ضربات حزب الله، مثل «المطلة»، و«منارة» و«مرغليوت» وغيرها التي بلغ فيها الدمار حداً يستوجب هدم الأبنية وإعادة بنائها من جديد. وبالتالي سيكون على عاتق ماروم التنسيق لتقديم حلول سكنية لعدم العائدين، فهؤلاء سيغادرون الفنادق، وبعضهم أساساً غادرها واستأجر شققاً، فيما تخطط الحكومة لإنشاء «مستوطنة مؤقتة» لتجميعهم وإيوائهم في شقق بمجمع واحد على غرار الحل الذي قدّمته لبعض مستوطنات «الغلاف». ولذلك فإن ماروم «عدم تسرّب المستوطنين»؛ ففي حالة من عدم اليقين حيال المستقبل، وفي ظل حقيقة أن الحكومة لا تملك إجابة بشأن موعد عودة السكان، وإعلان 30% من «مهجّري الشمال» عدم نيّتهم العودة بعد انتهاء الحرب، فإن ماروم يواجه تحدياً غير مسبوق، لناحية «توفير عناصر جذب مختلفة تفوق عوامل الطرد الكثيرة التي ولّدتها الحرب. وإذا كان العدد الرسمي للمُخلَين هو 80 ألفاً، غير أن سكان عشرات المستوطنات الأخرى هربوا من تلقاء أنفسهم، وهو حال «كفار ساد» و«شامير»، و«عمير» و«سديه نحميا» و«كفار بلوم» و«نؤوة مردخاي»، و«لهفوت هبشان» و«غونين»، التي خالف المستوطنون قرار الجيش وتركوها «خوفاً من احتمالات تسلل قوّة الرضوان، وتحت دوي الانفجارات والصواريخ». وهؤلاء لا يحق لهم الحصول على أي مساعدة مادية، فيما كُثر من عموم المستوطنين، وخصوصاً أولئك الذين بقوا في محيط المستوطنات الكبيرة، مثل «كريات شمونة»، و«شلومي» فقدوا أعمالهم ووظائفهم وحت تعليم أبنائهم.

العلاقة بين الوزارات والسلطات المحلية في الشمال، خصوصاً أن هذه الأخيرة خلقها «جيش» من المواطنين الذين لا تتوقف مطالبهم.

أمّا النقطة الأكثر أهمية وحسماً، فتتلخص في «مستقبل المشروع الاستيطاني في الشمال» وأن يضمن ماروم «عدم تسرّب المستوطنين»؛ ففي حالة من عدم اليقين حيال المستقبل، وفي ظل حقيقة أن الحكومة لا تملك إجابة بشأن موعد عودة السكان، وإعلان 30% من «مهجّري الشمال» عدم نيّتهم العودة بعد انتهاء الحرب، فإن ماروم يواجه تحدياً غير مسبوق، لناحية «توفير عناصر جذب مختلفة تفوق عوامل الطرد الكثيرة التي ولّدتها الحرب. وإذا كان العدد الرسمي للمُخلَين هو 80 ألفاً، غير أن سكان عشرات المستوطنات الأخرى هربوا من تلقاء أنفسهم، وهو حال «كفار ساد» و«شامير»، و«عمير» و«سديه نحميا» و«كفار بلوم» و«نؤوة مردخاي»، و«لهفوت هبشان» و«غونين»، التي خالف المستوطنون قرار الجيش وتركوها «خوفاً من احتمالات تسلل قوّة الرضوان، وتحت دوي الانفجارات والصواريخ». وهؤلاء لا يحق لهم الحصول على أي مساعدة مادية، فيما كُثر من عموم المستوطنين، وخصوصاً أولئك الذين بقوا في محيط المستوطنات الكبيرة، مثل «كريات شمونة»، و«شلومي» فقدوا أعمالهم ووظائفهم وحت تعليم أبنائهم.

هوكشتين مجدّداً: لبنان مرتبط بغزة

حرّك تصريح المبعوث الأميركي الخاص عاموس هوكشتين، أمس، المياه اللبنانية الرّاكدة، ميدانياً وسياسياً. فقد أعرب عن التطلع إلى «إنهاء الحرب في غزة وفي جنوب لبنان»، مشيراً إلى أن «زيارة نتنياهو للولايات المتحدة كانت ناجحة، ونأقشنا عملية وقف إطلاق النار وحماية المدنيين، وقمنا بالضغط على «حماس» للتفاوض وإنهاء الصراع». وقال: «إن حزب الله هو من بدأ الحرب، وواضح أن وقف إطلاق النار يظل مرتبطاً بوقف الحرب في غزة».

ميدانياً، أطلقت وحدات الدفاع الجوي في حزب الله فجراً، صواريخ أرض – جو على طائرات العدو الحربية، ما أجبرها على التراجع والابتعاد إلى خلف الحدود. كما استهدف الحزب المنظومة الفنية في موقع راميا، وتحركاً لجنود العدو داخل موقع حدب يارون، إضافة إلى موقع الرمثا في تلال كفرشوبا، وموقع زبدين في مزارع شبعا. كذلك، شنّ هجوماً جوياً بسرب من المُسيّرات الانقضاضية على موقع الراهب. وردّاً على عدوان استهدف بلدات عيتا الشعب وعيترون وشيحين، هاجم الحزب مبانيَ يستخدمها جنود العدو في مستوطنات شتولا وأفيفيم ومسكفعام وتحدّث إعلام العدو عن دويّ صفارات الإنذار أكثر من مرة أمس في مستعمرات الشمال. فيما أعلن «مجلس الجليل الإقليمي» أن صاروخاً أطلقه حزب الله أصاب معملاً في مستوطنة أفيفيم وألحق به أضراراً جسيمة. إلى ذلك، نعى الحزب المقاومَين عباس حسين حمود وفضل سميح نور الدين من بلدة مركبا الجنوبية.

(الأخبار)

في الواجهة

رئيس الأركان ينتظر التوقيت: إزالة العيب بتأييده

ما يدور لدى المؤثرين حيال انتظار بتّ مصير رئيس الأركان ان الحل القانوني المقبول جاهز. بيد انه ينتظر التوقيت السياسي. يستهمل ايضاً نضوج بعض تفاهمات اولئك. اما ما لا يفترض ان ينتظر في اي وقت، فهو ان يصبح الجيش مرجوحة السياسيين بحبال اهل البيت

نقولا ناصيف

بينما اتسمت ازمة تطويع تلاميذ ضباط الكلية الحربية بطابع اداري مطعّم بتسييس، تنتظر الازمة التالية . وهي تثبيت «العميد» حسان عودة في المنصب الذي عيّنه فيه مجلس الوزراء في 8 شباط الفائت خلافاً للدستور والقانون. معالجة سياسية بكل الاشكالات التي انطوت عليها، وأبعد من ملء شغور في منصب رئيس الاركان كيفما كان.

ما حدث حينذاك، كان قرار كيفما كان، اعتادت اتخاذه حكومات الشغور في رئاسة الجمهورية بدءاً من السابقة الاولى (حقبة الحكومتين 1988 . 1990) وانتهاء بالحكومة الحالية برئاسة الرئيس نجيب ميقاتي. بسبب تعذّر انتخاب رئيس للجمهورية، يصبح في مستطاع حكومة الشغور، بالتجارب الاربع المعروفة، انتهاك القانون وابتكار التبرير والذرائع، متسلحة بما يسمّى «عقولاً» دستورية محوطة بها. لكن السابقة غير المرتكبة في التجارب الثلاث المتصرمة (حكومتا 1988 ثم حكومتا 2007 و20014) ان تلك عبثت بالقوانين دونما مدّ يدها الى الدستور وعليه. ابسط الشروح . مع ان مخالفة القوانين رافقت المرحلة الطويلة لحقبة ما بعد اتفاق الطائف الى اليوم في ظل وجود الرئيس ومن دونه. ان التوازنات الداخلية والاسترضاء يحتّمان الشروع احياناً في تغليب الواقع وارتباطه بالاستقرار على النصوص الملزمة.

ما يُناقش في الوقت الحاضر يختلف عما تزامن مع تعيين مجلس الوزراء رئيساً للاركان في جلسة 8 شباط، في المحضر الرقم 64. قبل انذاك ان الحاجة ماسة الى مَن يشغل المنصب نظراً الى ضرورة ان يحل محل قائد الجيش العماد جوزف عون في خلال غيابه عن لبنان للمشاركة في اجتماعات ذات صلة بالمؤسسة العسكرية او طلب مساعدات لها. مع ذلك سافر عون اكثر من مرة، ولم يحل عودة بعد تعيينه محله ما ان جهر وزير الدفاع موريس سليم برفض الاعتراف بالتعيين لمخالفته الدستور والقانون في آن، كما امتناعه عن تسلمه منه اي مراسلات في غياب قائد الجيش. لا يستقبلة حتى. المراسلات التي يتسلمها سليم في الوقت الحاضر تقتصر على توقيعيْ قائد الجيش ونائب رئيس الاركان تبعاً لاختصاصه.

ما انتهى اليه ما حدث حينذاك ان عودة اضحى سياسياً رئيساً للاركان، دونما ان يكون وظيفياً وعسكرياً كذلك في وزارة الدفاع، ولا في المجلس العسكري الذي هو نائب رئيسه. يحضر اجتماعاته ولا يشترك في المناقشات، ولا يصوّت، ولا يوقع محضره، ولا يؤتى في المحضر حتى على انه كان. اقرب ما يكون الى «مراقب». ما يفعله انه يلزم مكتبه. ثمة رئيس للاركان ليس حقيقياً سوى عند قائد الجيش بالذات الذي لم يستطع ان يقدّمَ له سوى المكتب وتنكّب النجمة الجديدة وتعويضات رتبة لواء.

بانتهاء مشكلة تطويع تلاميذ ضباط الكلية الحربية، بات الوقت متاحاً للخوض في المشكلة الاخرى مجدداً. لكن لسبب مختلف تماماً عن المرة الاولى ان لم يكن نقيضه، هو الاستعداد لانتهاء السنة الممددة لعون في اليرزة المفترض انتهاؤها في 10 كانون الثاني 2025. بينما اقتضت تسوية الكلية الحربية تفاهم الوزير والقائد، توجب المعضلة الثانية وجود الاول دون الثاني وادخال افرقاء اللعبة السياسية في صلبها. ذلك ما اوجب بداية طرح فكرة استدراك اوسع يشمل تعيين المناصب الثلاثة الشاغرة في المجلس العسكري (الى رئيس الاركان المدير العام للادارة الشيعي والمفتش العام الارثوذكسي ناهيك بالعضو المتفرغ الكاثوليكي بيار صعب الذي يحال الى التقاعد في 27 ايلول). تسوية موسعة كهذه تحتاج الى تفاهم اوسع نطاقاً ما بدا مستعصياً في الوقت الحاضر على الاقل، اطرافه المباشرون، الى الثنائي الشيعي والرئيس السابق

> **قبل 10 كانون الثاني: تثبيت عودة كي يخلف عون او قائد جديد**

للحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط. التيار الوطني الحر. تردد كذلك احاديث عن افكار اكثر اسهاباً، تقضي بسلة تعيينات لا تقتصر على العسكريين بل تشمل ادارات مدنية رئيسية. بدورها مستعصية.

اما الحل القانوني المطروح لدى المعنيين بالتسوية الجديدة في أوان استحقاقها، فيستند الى المادتين 236 و237 في قانون الموجبات والعقود الصادر في 11 تشرين الاول 1934، النافذ منذ الانتداب الفرنسي، في تناولهما قاعدة «تأييد». ما تورده المادتان في صدد عمل او قرار اداري مشوب بعيب قانوني، ان يصير الى تأييده باتخاذ قرار يتجاوز العيب مؤداه ازالته في معرض ايجاد مخرج له. العيب القانوني في تعيين رئيس الاركان في جلسة 8 شباط، انبثاقه من قرار عن مجلس الوزراء لم يُرفق باصدار المراسيم الثلاثة الواجبة للقرار، وهي منح العميد عودة اقدمية في الترقية ثم تعيينه رئيساً للاركان فترفيعه الى رتبة لواء. المراسيم الثلاثة تلك التي قال قرار مجلس الوزراء انه سيصدرها عملاً بانتقال صلاحية الاصدار اليه من جراء الشغور ويطلب نشرها لاحقاً. لم تنشر في الجريدة الرسمية تبعاً للاصول المتبعة توطئة لنفاذها، ما احال قرار التعيين برمته معيوباً وغير قانوني. ما لم يسع مجلس الوزراء بعدذاك في مراكمة الخطأ الجسيم فوق الخطأ الجسيم. ذلك ما تسلّح به وزير الدفاع كي يرفض الاعتراف برئيس للاركان على انه غير قانوني. لا مراسيم كرّست التدابير الثلاثة المتتالية. مع ان ذاك القرار مشوب بدوره بعيب دستوري فاضح هو تجاوز المادة 66 عندما قفز من فوق التوقيع الملزم للوزير للمراسيم ذات الصلة باختصاصه.

المخرج الجاري الحديث عنه ان يعمد سليم الى اقتراح تعيين رئيس للاركان، وهو صاحب الاختصاص في الاقتراح تبعاً لقانون الدفاع، يفضي الى تأييد ازالة العيب القانوني عبر اصدار المراسيم الثلاثة المؤجلة بعد عرضه على مجلس الوزراء واقراره تصدر على الاثر المراسيم الثلاثة.

السؤال المرفق بالمخرج هو الآتي: هل يعطى الاقتراح المقبل المفترض للوزير مفعولاً رجعياً كي يسير نفاذه منذ وقع العيب القانوني في جلسة 8 شباط، أم يسري النفاذ فوراً بمنحه مفعولاً آنياً على نحو يرفع العيب من تاريخ صدور القرار؟

الخيار الثاني يبدو الاكثر ترجيحاً دونما ان يبين، الى الآن على الاقل، الموعد القانوني للتثبيت ما دام القرار السياسي استقر عليه في انتظار التوقيت المناسب.

ليس الوصول الى هذا المخرج . مع ان الوقت لا يزال رحباً في الاشهر الستة المتبقية في ولاية قائد الجيش حتى كانون الثاني 2025 . سوى اصرار سياسي لدى أفرقاء اساسيين . لا يقتصرون بالضرورة على العدو الاول وهو التيار الوطني الحر . على التخلص منه في موقعه، المتداخل مع طموحات شخصية الى طرح معاوني عون المحيطين به في القيادة من بين مستشاريه الضباط العاملين والمتقاعدين المتعاقدين ترشيحه لرئاسة الجمهورية. تثبيت عودة في منصبه يحيل انتقال قيادة الجيش اليه بعد نهاية ولاية القائد الحالي في انتظار انتخاب رئيس للجمهورية.

اما غير المستبعد دونما ان يكون قاطعاً، في ظل بعض محاولات تطبيع العلائق بين الافرقاء، ان يصير الى تعيين قائد جديد للجيش.

اما وجهة النظر المقابلة، النقيضة بدورها، فتكمن في الرغبة في تعثّر تثبيت عودة بغية ابقاء المعضلة على ما هي عليه الآن حتى الاقتراب من 10 كانون الثاني 2025، لتبرير ما قيل عشية اقرار مجلس النواب قانون تمديد ولاية عون في منصبه: اشاعة التهويل والهلع على ان الجيش برمته في خطر محتوم.

قانون الموجبات والعقود يحلّ العيب القانوني في تعيين رئيس الاركان (هيثم الموسوي)

علم وخبر

أصحاب القروض الكبيرة

تُجري جهة مستقلة عملية تدقيق مع عدد من المصارف حول ملف القروض الكبيرة التي جرى تسديدها بالليرة أو بالدولار على سعر صرف 1500 ليرة. وقد تبيّن لهذه الجهة وجود عدد غير قليل من العاملين في القطاع المصرفي وفي التطوير العقاري وفي مجال الخدمات التجارية وتجّار الألبسة الفاخرة، عمدوا الى استغلال القانون الذي لا يمنع تسديد الديون المستحقة بالدولار الاميركي من خلال دولارات بنكية (لولار)، علماً أن التدقيق يركّز على حجم الشيكات بالدولار البنكي والتي تم شراؤها بالدولار النقدي، سواء من مودعين كبار، أو من المصارف نفسها. وقال ناشطون في هذه الجهة إن العملية تعدّ «غير أخلاقية» وإن كانت قانونية.

سليم «لن يساوم» على حقوق العسكريين

أبلغ وزير الدفاع، موريس سليم، الوسيط الذي كان يُحاول تقريب وجهات النظر بين الآخير وقائد الجيش العماد جوزيف عون أنّه بصدد التوقيع على فتح الاعتمادات الخاصة بالمحروقات للجيش، مشدداً على أنّه «لن يقبل بأن يُساوم على حقوق الضبّاط والعسكريين، إن كانوا في الخدمة الفعلية أو أحيلوا إلى التقاعد». وقد جاء جواب سليم رداً على محاولة الوسيط إقناع قائد الجيش بضرورة حلّ مسألة تخفيض البنزين المخصّص لوزارة الدّفاع، وعدم صيانة بعض الآليات، مقابل موافقة سليم على التوقيع على الاعتمادات، إلا أنّ قائد الجيش لم يتراجع عن قراره!

استثمارات الرهبنة الباسيلية في زحلة

يسود تململ في زحلة بين آباء الرهبنة الباسيلية الشويرية حول قيام الرئيس العام للرهبنة برنار توما ومدبّرين اثنين آخرين بإعادة تجديد عقد استثمار العقار الذي تملكه الرهبنة في زحلة وهو عقار فندق القادري الكبير لمصلحة آل مرجبا بقيمة 50 ألف دولار سنوياً لمدة 9 سنوات. وهو ما أثار الاستياء نتيجة الإفراط في مداخيل الرهبنة واستثمار أملاكها بمقابل زهيد، علماً أن كثرة المناسبات التي تقام في هذا الفندق، والاحتفالات التي تنظّم على مدار السنة، تسمح بدرّ أرباح تفوق بأضعاف ما يتمّ دفعه كبدل استثمار.

يحتمي بالجيش من قوى الأمن!

يسعى «خبير الأعشاب» زين الآتات الى التقرب من الجيش اللبناني بقصد توفير حماية له، وهو في مرحلة وضع اللمسات الأخيرة على منتجع شيّده في منطقة السعديات. ويقول عسكريون إن هناك عنصراً من الجيش يُداوم يومياً عند البوابة الرئيسية، بحجّة أخذ أسماء الضبّاط الذين يرتادون المنتجع. وتبيّن أن الآتات يقدم عروضات بالدخول المجاني إلى المنتجع لضبّاط الجيش حصراً، وأن الخطوة سببها سعيه الى الحصول على حماية الجيش، بعدما أوقف المدير العام لقوى الأمن الداخلي اللواء عماد عثمان أعمال بعض الفيلّات التي يقوم بتشييدها في المكان لوجود مخالفات.

الجيش يُحاول استرضاء عقيقي... ولكن

زار موفد من قائد الجيش، العماد جوزيف عون، مفوّض الحكومة في المحكمة العسكريّة القاضي فادي عقيقي في مكتبه في المحكمة العسكريّة، في حضور محامي قيادة الجيش ريمون الحلو، وذلك في مُحاولة استرضاء عقيقي وتقريبه من عون بعدما أدّى الخلاف بين القاضي ومخابرات الجيش إلى سحب مرافقيه والحماية الشخصيّة المواكبة له من المديرية، بما في ذلك السيارات، إضافةً إلى منع الضابطة العدلية من مخابرة النيابة العسكريّة ممثلة بعقيقي، وذلك على خلفيّة توقيف المديريّة أشخاصاً من دون مراجعة القضاء المختص، لكن عقيقي رفض المحاولة.

خلافٌ على مقر «اتحاد العائلات»

نجاح اتحاد جمعيات العائلات البيروتية في مجال تقديم المساعدات لأهالي من العاصمة، لم يمنع الخلاف حول فكرة شراء مقر الاتحاد. حيث يعترض أعضاء في الهيئة الإدارية يدعون إلى شراء مقر جديد، بدل البحث عمّن يساعد في تسديد مستحقات الإيجار. ويتحدث المعترضون عن شبهات حول الشقة المقترح تملّكها من المصرف الأهلي السعودي، بـ300 ألف دولار، كون خبراء في التخمين قلّلوا من قيمة العقار الذي يقع في مبنى يُعدّ قديماً إضافةً إلى عدم وجود مواقف للسيارات. مع الإشارة إلى أن الاتحاد نجح في إقناع العديد من رجال الأعمال بتقديم المساعدة المالية وتمكّن من جمع أكثر من 100 ألف دولار، بعدما تمنّعت عائلات عن شراء قسائم تبرعات بقيمة 50 دولاراً.

تقرير

اقتراح كرامي لتسوية تعويضات نهاية الخدمة
إعفاء أصحاب العمل من 257 مليون دولار

فؤاد بزي

انشغلت الأوساط العمالية والنقابية خلال اليومين الماضيين باقتراح قانون مقدّم من النائب فيصل كرامي حول «التسوية العادلة لتعويضات نهاية الخدمة في الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي». يرمي الاقتراح إلى تعديل المادة 51 من قانون الضمان الاجتماعي، لإعادة احتساب تعويضات نهاية الخدمة التي دفعت بعد عام 2019 على إثر تدهور سعر صرف الليرة، وتعويض أصحابها بعد فقدان هذه المبالغ قيمتها الشرائية. إلا أنه دارت حول الاقتراح تساؤلات عدّة؛ من أبرزها أنه لم يتضمن تحديد مصادر التمويل، ولم يقدّم معادلة علمية واضحة لإعادة احتساب التعويضات، ما بين السيئ والأسوأ، أي بين فقدان التعويضات قيمتها تماماً، أو تحميل الدولة الجزء الأكبر من المسؤولية، أتى الاقتراح «مالئ الدنيا وشاغل الناس»، فانقسم بـ«الركاكة القانونية، والإبهام والالتباس»، بحسب ما رأت اللجنة الفنية في الضمان الاجتماعي في قراءتها للنص كونه «ترك مجالاً للتأويل والاستنسابية عند التطبيق»، وطلب إدخال تعديلات على المادة 51 هي أصلاً موجودة فيها مثل «إضافة نصف شهر عن كل سنة خدمة لاحقة للعشرين سنة الأولى».

في خلاصة تقرير اللجنة الفنية، الاقتراح مرفوض من أساسه، مطالبة بإقرار قانون استثنائي لإنصاف المتضررين الذين فقدت تعويضاتهم قيمتها بشرط تحديد المستفيدين وتصنيفهم استناداً إلى معايير علمية عادلة، واعتماد مؤشرات دقيقة لتحديد قيمة الضرر، ثمّ تسديد هذه التعويضات الاستثنائية من صندوق خاص، لا تحميلها للضمان الاجتماعي، أو تركها مبهمة من دون مصادر تمويل. ومن جهة ثانية، رفضت اللجنة الفنية بشكل مطلق أيّ مسّ بقوانين الضمان الاجتماعي لناحية تعديل المادة 51، إذ رأت «أنّ المسّ بها يهدّد الاستدامة المالية لنظام التقاعد المستقبلي، وخاصةً أنّ هذه المادة عدّلت في قانون إنشاء نظام التقاعد والحماية الاجتماعية، الرقم 319، الصادر عام 2023». وأوصت اللجنة في حال إقرار أي قانون لدعم القوّة الشرائية لتعويضات نهاية الخدمة للمضمونين، أن يكون جزءاً من الموازنة العامة، وأن تدفع الدولة هذه التعويضات مباشرة من الخزينة، على أن يقتصر دور الصندوق على تحديد قيمة هذه التعويضات أو الفروقات، بوجود مراقب مالي من وزارة المالية.

(هيثم الموسوي)

في تفاصيل الاقتراح «المكتوب على عجل بمصطلحات مختلفة عن المصطلحات القانونية التي صيغ بها قانون الضمان الاجتماعي»، على حدّ تعبير اللجنة الفنية، يُحتسب تعويض نهاية الخدمة

> يطلب كرامي في اقتراحه ضرب آخر أجر مصرّح عنه بـ 30 وبعدد سنوات الخدمة

على الشكل الآتي: يضرب آخر أجر مصرّح عنه قبل تشرين الأول من عام 2019 بنصف سعر صرف الدولار في السوق عند صدور قرار الموافقة على صرفه، ومن ثمّ يقسم الناتج على سعر الصرف الرسمي القديم 1500 ليرة لكل دولار، ومن بعدها يضرب الرقم الأخير بعدد سنوات الخدمة. وبطريقة أبسط، يطلب كرامي في مقترحه ضرب آخر أجر مصرّح عنه بـ 30 وبعدد سنوات الخدمة، والرقم الناتج هو تعويض نهاية الخدمة المستحق. على سبيل المثال، في حال كان أجر العامل مليونَي ليرة قبل تشرين الأول عام 2019، وعمل لمدة 20 سنة، يكون تعويض نهاية خدمته ملياراً ومئتَي مليون ليرة. ولتعويض هذا العامل الذي استوفى تعويضه بعد عام 2019، طلب المقترح إجراء مقاصة بين ما قبضه عند نهاية خدمته، وبين ما يستحقه في حال إقرار المقترح. وفي حال إغلاق الشركة، تتحمل الدولة كامل قيمة الفرق في التعويضات. أما بالنسبة إلى الأشخاص الذين لا يزالون في الخدمة، فيتقاضون تعويضاً قدره أجر شهر عن كل سنة عمل لأول 20 سنة، وشهراً ونصف شهر عن كل سنة عمل إضافية.

ورغم أن هدف اقتراح كرامي إنصاف العمال المتقاعدين الذين سحبوا تعويضاتهم بعد عام 2019، وتكبدوا خسائر كبيرة نتيجة تدهور قيمة الليرة، إلا أن مضمون اقتراحه أباح من دون تبرير إعفاء أصحاب العمل من جزء كبير من مبالغ التسويات التي يتوجب على صاحب العمل تسديدها. فبحسب الاقتراح بات يتوجب على صاحب العمل 44% من قيمة التسويات مقابل 56% على الدولة. كما أن كرامي لم يوضح كيف ستموّل الدولة حصتها من التسوية للعاملين، ولم يورد سبب تحميل الدولة أكثر من نصف المبالغ المطلوبة، علماً بأنّ تعويضات نهاية الخدمة يقع دفعها على عاتق أصحاب العمل. فوفقاً للأرقام الصادرة عن الضمان، بلغت المستحقات التراكمية لتعويضات نهاية الخدمة منذ نهاية عام 2019، حتى نهاية عام 2023 حوالي 1745 مليار ليرة، وبحسب المقترح المقدم من كرامي، سيضاعف هذا الرقم 30 مرة ليصبح 52350 مليار ليرة، ما يوازي 585 مليون دولار، يتحمل منها أصحاب العمل 257 مليون دولار، والدولة 328 مليوناً، فمن أين سيأتي الضمان بهذا المبلغ، ومن أين ستأتي الدولة بهذا المبلغ؟ وبحسب تقديرات الضمان، فإن تحصيلات فرع نهاية الخدمة خلال عام 2024 قد تصل إلى 250 مليون دولار مقابل نفقات بقيمة 209 ملايين دولار، علماً بأنّ هذه التقديرات متفائلة جداً وغير دقيقة، وفقاً لتقديرات اللجنة الفنية.

لذا، وجدت اللجنة الفنية في الضمان الاجتماعي اقتراح كرامي بمثابة «تعديل استثنائي مرتبط بظرف استثنائي وبمتضررين معيّنين وفترة محدّدة». وقالت إن العلاج يكون من خلال «قانون خاص بعيداً من تعديل المادة 51 من قانون الضمان». واللجنة لم ترفض بالمطلق الفكرة، فوافقت مثلاً على إعطاء المتضررين من المضمونين المسرّحين خلال سنوات الأزمة الأولى تعويضات استثنائية، ولكن اشترطت دفعها من صندوق خاص ينشأ لهذه الغاية. كما رفضت اللجنة اعتماد الدولار كعملة مرجعية ذات قيمة ثابتة للدفع، ورأت في تثبيت سعر الليرة مقابل الدولار «مؤشراً غير دقيق، ومتغيّر»، فطلبت في المقابل «اعتماد مؤشر أكثر دقة» في تصحيح التعويضات، كـ«اعتماد معدل سعر صرف شهري أو فصلي».

أيّ ضمانات لاقتراح كرامي؟

استغربت اللجنة الفنية في الضمان استخدام عبارة «قيام الصندوق باللازم من أجل الاستحصال على النسبة المخصّصة لمساهمة الدولة» في اقتراح القانون الذي تقدّم به النائب فيصل كرامي، ما يضع الصندوق أمام معضلة تعليق التعويضات في حال عدم تسديد الدولة حصّتها. وسألت عن كيفية تحديد الضمانات لتحصيل هذه الأموال من الدولة، وهل يحق أن يرتّب اقتراح القانون هذا أيّ التزامات على عاتق الدولة؟ وتخوّفت من الضبابية المحيطة بالمقترح وكيفية تحصيل الأموال، إذ يمكن «أن يتيح دفع تعويضات المتضررين من حسابات باقي المضمونين الفردية». وفي حال دفع الضمان بهذه الطريقة، هل تحوّل هذه الأموال إلى ديون على الدولة، بينما هناك أموال مستحقة للصندوق في ذمة الدولة منذ سنوات.

أخبار

متقاعدو العسكر يتحضّرون لتعطيل جلسات الحكومة

يستعد تجمع العسكريين المتقاعدين لتعطيل أي جلسة مقبلة للحكومة لا يكون على جدول أعمالها بند تعديل الرواتب والأجور والمعاشات التقاعدية. ويأتي ذلك بعد فوات المهلة التي حدّدتها الحكومة لنفسها نهاية شهر حزيران الماضي لتقديم مشروع جديد تعدّل بموجبه سلسلة الرتب والرواتب، أو تعطي زيادات إضافية على الرواتب، إذ لم تظهر بوادر لتقديم مشروع التصحيح، بل على العكس برزت مؤشرات سلبية جداً تشير إلى أن الحكومة لم تقدّم أي مشروع. لذا، تداعت مجموعات الموظفين المتقاعدين من العسكريين والمدنيين إلى اجتماعات أكّدت فيها استعدادها للتحرّك الميداني، وقطع الطرقات لمنع انعقاد أيّ جلسة حكومية مقبلة لا تبحث في تعديل الرواتب والأجور على أساس رواتب ومعاشات قيمتها 40% مما كانت عليه عام 2019 (وفقاً لسعر الصرف)، قبل الانهيار، ووضع خطة واضحة لتقسيط الباقي خلال مهلة أقصاها سنة واحدة.

على المقلب الحكومي، تحكم الضبابية المشهد، من جهة مشروع تعديل سلسلة الرتب والرواتب ربطه مجلس الخدمة المدنية بإعادة الكتابة لتوصيف وظيفي جديد لكل وظائف الإدارة العامة. ومن جهة ثانية، تعدّ الحكومة لزيادة جديدة على الرواتب والأجور، إنّما لا تحاكي تطلعات الموظفين. بحسب المصادر، من المرجح إضافة راتبين للموظفين في الخدمة، ومعاشين للمتقاعدين، تضاف إلى الرواتب والمعاشات التسعة، ليصبح مجموعها 11 راتباً، على أن تبقى بدلات البنزين والمثابرة على ما هي عليه. ولكن، لم يحدّد المشروع الحكومي الجديد مصير استمرار استثناء السلك التعليمي والقضائي من الزيادات الجديدة، أو شمولهم بها، كون مرسوم الزيادات 13020 حرم هاتين الفئتين من أيّ زيادة لأنّ أعضاءها يتقاضون حوافز إضافية من وزاراتهم، أو صناديقهم التعاضدية.

برنامج جديد للفقر يستهدف 1500 أسرة لبنانية

أطلقت وزارة الشؤون الاجتماعية والبنك الدولي، برنامج الدمج الاقتصادي الإنتاجي في لبنان، وهو مشروع تجريبي يهدف إلى تحسين سبل عيش 1500 أسرة لبنانية من ذوي الدخل المنخفض من بين المستفيدين الحاليين من برنامج شبكة الأمان الاجتماعي الطارئة (ESSNP). ويعمل هذا المشروع عبر تقديم حزمة من خدمات الدعم لكل مستفيد وستشمل نقلاً للأصول، منها معدات زراعية صغيرة وأجهزة طهي وآلات خياطة/تطريز وفرش الرسم وأدوات أخرى. بالإضافة إلى دعم تطوير الأعمال، والتدريب والتوجيه، والتدريب على الثقافة المالية، والدفع لتحسين سلوكيات ومواقف الادّخار. يُموّل هذا المشروع عبر منحة قيمتها 2,7 مليون دولار من صندوق التنمية الاجتماعية الياباني. يُكمّل البرنامج المذكور برنامج شبكة الأمان الاجتماعي الطارئة عبر تقديم حزمة من الخدمات للمستفيدين تهدف إلى تعزيز دخل أسرهم ورفاهيتهم وقدرتهم على الصمود.

من المفترض أن يدعم البرنامج التجريبي فرص كسب العيش لعضو واحد في كل أسرة من بين 1500 أسرة مستفيدة حالياً من برنامج، على أن يكون هذا العضو في سنّ العمل. وسيجري البرنامج التجريبي أولاً تقييماً للسوق المحلية، وملفاً تفصيلياً للتوظيف والمهارات للمستفيدين المختارين. سيتم تنفيذ البرنامج التجريبي على مدى ستة أشهر بين 12 و18 شهراً. عند اكتماله، تُقيّم نتائج البرنامج التجريبي لمعرفة مدى «التوسع المحتمل وتكرار التجربة». وقد اختيرت مؤسسة رينيه معوض، لتنفيذ المشروع التجريبي، مستفيدة، بحسب البنك الدولي، من «خبرتها الواسعة في مبادرات الإدماج الاقتصادي المنتج». وسيتم تنفيذ المشروع التجريبي تحت «التوجيه العام لوزارة الشؤون الاجتماعية وتنسيقه عبر مراكز التنمية الاجتماعية على المستوى المحلي، علماً بأن صندوق التنمية الاجتماعية الياباني أنشئ في سنة 2000 من قبل حكومة اليابان والبنك الدولي كبرنامج منح فريد من نوعه متعدد القطاعات يهدف إلى الحد من الفقر لتحسين حياة أفقر الناس وأكثرهم ضعفاً.

دفع رديات التصدير الزراعي بعد 7 سنوات

بعد انتظار دام 7 سنوات، وافقت وزارة المالية على تسديد مبالغ الدعم المقدّرة بـ50 مليار ليرة لصالحة مصدّري الخضار والفاكهة في لبنان، أو ما يعرف بمشروع دعم تصدير المنتجات الزراعية «إيدال»، بحسب رئيس تجمع المزارعين والفلاحين في البقاع إبراهيم ترشيشي. «هذه الأموال مستحقة منذ عام 2017»، يقول ترشيشي، ولكن «لا أمّ تبكي على المزارعين، بالتالي تأخر التسديد، ومعه تدهورت قيمة هذه الأموال من 34 مليون دولار عام 2017 عند استحقاقها، إلى حوالى 500 ألف دولار اليوم». وحول المدّة المقدرة قبل وصول الأموال المستحقيها من مصدّري المواد الزراعية، فأشار ترشيشي إلى «تأكيد المالية على تحويل الأموال خلال الأشهر المقبلة».

يذكر أنّ مشروع دعم تصدير المنتجات الزراعية «إيدال» كان يدعم كل حاوية مواد غذائية مصدرة من لبنان بمبلغ مليونين ونصف مليون ليرة، أي حوالى 1700 دولار، بحسب ترشيشي، «والآن تضاءلت قيمة الدعم إلى 27 دولاراً بسبب تدهور سعر صرف العملة». وفي مطلع تموز أبلغت «إيدال» مصدّري المنتجات الزراعية إيقاف الدعم كلّياً من دون ذكر الأسباب «للمتابعة وفهم حيثيات القرار. يسعى تجمع المزارعين والفلاحين في البقاع إلى الاجتماع بمدير المؤسسة مازن سويد، إنّما من دون تحديد موعد حتى الآن»، يختم ترشيشي.

إلغاء الإجازة المسبقة لتصدير البصل

ألغى وزير الزراعة في حكومة تصريف الأعمال، عباس الحاج حسن، قراره السابق المتعلق بإخضاع تصدير البصل اللبناني لإجازة مسبقة. ففي آذار الماضي، أتى قرار الحاج حسن الأول إسوةً بعدد من الدول المجاورة مثل سوريا وتركيا ومصر، ما عدّه المصدّرون «منع تصدير مقنّع» وفقاً لرئيس تجمع المزارعين والفلاحين في البقاع إبراهيم ترشيشي. وأدّى قرار الإجازة المسبقة إلى منع ارتفاع أسعار البصل بشكل جنوني، بعدما بلغ سعر الكيلوغرام في سوق الجملة في لبنان دولاراً واحداً. أما القرار الثاني القاضي بفك الحظر عن تصدير البصل، فقد أتى بعدما بدأ الإنتاج اللبناني يُغرق السوق المحلية وانعكس انخفاضاً على سعر سوق الجملة إلى 15 ألف ليرة لكل كيلوغرام. وباتت ملامح هذا الإنتاج الغزير في مطلع أيار الماضي مع انطلاق حصاد مساحات واسعة مزروعة بالبصل في لبنان. وقدّر ترشيشي كميات البصل المرشحة لدخول السوق بـ«3 أضعاف حاجة السوق اللبنانية، أي أكثر من 40 ألف طن» في حين تحتاج السوق إلى «50 طناً من البصل يومياً، أي حوالى 18 ألف طن سنوياً»، يقول ترشيشي، ما يتيح 20 ألف طن من البصل للتصدير. ويذكر أنّ سعر البصل المعدّ للتصدير، قبل مبيعه وتحميله ونقله، يصل إلى 35 سنتاً، حوالى 31 ألف ليرة بحسب سعر صرف السوق.

تقرير

«بيزنس» إدارة النفايات
تحكّم بالتصدير والأسعار!

زينب حمّود

من «النكش العشوائي» في المستوعبات، مروراً ببيع النفايات المفرزة في الوحدات السكنية وغير السكنية، وصولاً إلى الاستثمار في شركات لإدارة النفايات الصلبة... تولّد «الزبالة» أرباحاً. لم يكن ذلك مطروحاً قبل أزمة النفايات عام 2015، عندما كانت مصانع إعادة التدوير تتنافس على قطعة بلاستيك. تراكم النفايات وتراجع عمل الشركات الملتزمة طمرها بسبب خلافات على الأسعار وتشجيع الجمعيات البيئية والناشطين على الفرز من المصدر، أدت إلى خلق قطاع لإدارة النفايات لا يزال في طور التشكل، يقوم على إنشاء مراكز استقبال للنفايات الصلبة وفرزها ثم كبسها أو فرمها.

شركة «إدارة نفايات لبنان»، بحسب رئيسها بيار بعقليني، هي «شركة تجارية تبغي الربح، تدير النفايات الصلبة الجافة غير الطبية أو الخطرة كالورق والبلاستيك والنايلون والحديد والإلكترونيات والتنك والألمنيوم...». انطلقت الشركة بمبادرة فردية تشجيعاً للفرز لأهداف بيئية. بعد أربع سنوات، لديها اليوم أربعة فروع، وتشغّل 40 موظفاً يعملون في الفرز والكبس والفرم، إلى جانب موظفين في القسم الإداري والمحاسبة. يقول بعقليني «صحيح أنّ الفكرة هدفها بيئي، لكنّني استثمرت في هذا المشروع من جيبي الخاص حتى أوسّعه، ولديّ خطط مستقبلية لإعادة التدوير بعد الفرز لأنني أؤمن بنجاح مشروع إدارة النفايات على المدى الطويل».

كيف تُدار النفايات؟ يجيب بعقليني: «أولاً، بزن الموظف النفايات التي تصل إلى المركز وبسعّرها، ثمّ يشتريها من صاحبها، و40% من الزبائن يتبرّعون بالسعر للشركة أو لجمعية Kids First لعلاج الأطفال المصابين بالسرطان. ويراوح سعر الكيلو الواحد من النفايات بين 3 آلاف و50 ألف ليرة بحسب النوع». ولمن لا يستطيع الوصول إلى المركز، «تتوفر خدمة دليفري، وفي هذه الحال يذهب

> يراوح سعر الكيلو الواحد من النفايات بين 3 آلاف و50 ألف ليرة بحسب النوع

(هيثم الموسوي)

ثمنها لقاء خدمة التوصيل إلى المركز ويتحول الهدف الربحي إلى بيئي بحت». بعد استقبال النفايات يجري فرزها، «حتى ضمن الصنف الواحد هناك أنواع مختلفة، مثلما يوجد 12 صنفاً من الورق، كلّ منها يُعالج بطريقة مغايرة». بعدها، تأتي عملية الكبس أو الفرم «فنردّ أغطية العبوات البلاستيكية مثلاً إلى حبيبات عبر الفرم ولدينا عجّانة لمعالجة الفلّين». وأخيراً، توزّع النفايات على مصانع تعيد إنتاجها أو تُصدَّر إلى الخارج.

تدير جمعية «فكر وإنسان» البيئية النفايات الصلبة في مركزها في صور منذ عام 2017 «من دون أن نحقق أرباحاً، إذ توازي النفقات الواردات»، بحسب رئيس الجمعية حسن حجازي. لكن ذلك «لا يعني أنّ إدارة النفايات قطاع غير مربح، بل على العكس فهو يدرّ المال إذا انطلق المشروع بفكر تجاري، خلافاً لمنطلقاتنا التي تهدف إلى التوعية البيئية». ويعطي مثلاً عن ذلك «أننا نشتري الزجاج من الناس، رغم أنّ مصانع الزجاج مقفلة، وبالتالي نحن نخسر بالمنطق التجاري».

لم ينمُ مشروع الجمعية كما يجب طوال هذه السنوات، بسبب «التحديات التي واجهتنا بدءاً من انتشار جائحة كورونا، مروراً بالأزمة الاقتصادية وارتفاع كلفة المحروقات والصيانة، وصولاً إلى الحرب في الجنوب وعدم قدرتنا على الاجتماع بالناس في ساحات البلدات لشراء نفاياتهم كما كنا نفعل قبل الحرب، ما دفعنا إلى إرسال سائق «دليفري» لجليها، وبذلك لم تعد العائلات تتحمّس للفرز لأن ثمن النفايات سيذهب إلى خدمة التوصيل». وعمّا إذا كان استقبال النازحين في صور انعكس إيجاباً على كمية النفايات المنتجة يقول: «ليست لدى النازح أولوية فرز النفايات من أجل معالجتها». ولفت حجازي إلى «احتكار عدد محدود من الشركات مهمّة تصدير النفايات وتحكّمها بالسوق وبالأسعار»، موضحاً «أننا نبيع طن الكرتون بـ 40 دولاراً بعدما كنا نبيعه بـ 90 دولاراً عام 2018، رغم أن أسعاره في البورصة العالمية تضاعفت مرتين وأكثر».

حقّ الردّ

جاءنا من مكتب وزير الدولة لشؤون التنمية الإدارية التوضيح الآتي:

«رداً على ما ورد في "الأخبار" بتاريخ الجمعة 26 تموز بعنوان "300 مليون دولار لوزارة بديرها موظفو الـNGO: الدولة تتخلّى عن "السيادة الرقمية" للبنك الدولي والألمان" يهمنا إيضاح الآتي:

إن العنوان بحدّ ذاته يحمل ظلماً كبيراً للموظفين العاملين في الوزارة الذين يقومون بدورهم بالرغم من كافة العوائق المادية والاقتصادية والمعنوية. ولا يوجد منذ عام 2019 أي موظفين تابعين لـ NGO أو الـUNDP، وهذه مغالطة كون الـUNDP منظمة دولية تابعة للأمم المتحدة وليست منظمة غير حكومية.

كما يتلقّى مكتب وزير الدولة لشؤون التنمية الإدارية مساعدة تقنية مجانية غير ملزمة من البنك الدولي في إطار إعداد عدة مقترحات لوضع خطة تطبيقية محددة الأولويات للبدء بتنفيذ استراتيجية التحول الرقمي، علماً أنها دراسات استشارية، وغير ملزمة للدولة اللبنانية. كما أنه ليس هناك تعاون جدي بين وزارة التنمية الإدارية وأيّ جهة المانية حتى اللحظة.

وفي خصوص تعميم رئاسة مجلس الوزراء بوجوب إبلاغ وزارة الدولة لشؤون التنمية الإدارية قبل الشروع بتطبيق أي مشروع يتعلق بالتحول الرقمي، فهو يُعتبر من التعاميم التطبيقية لاستراتيجية التحول الرقمي، التي أعطتنا صلاحية الإشراف على تنفيذ الاستراتيجية وتنسيق الجهود وتوفير الدعم اللازم للتنفيذ.

أما بخصوص المبالغ المذكورة في المقال، فهي مبالغ لم يتم أصلاً البحث فيها لحينه، كون أولى الدراسات المطلوبة لمعرفة الكلفة المرتقبة لم تكتمل بعد. وهي، على عكس ما ذكر المقال، لم ترتقِ بعد حتى إلى مستوى "الأفكار" التي يتم التداول بها بيننا وبين أحد، كوننا ما زلنا عند قناعتنا بأن دورنا في هذه الوزارة هو وضع الخطط والدراسات اللازمة، والأرضية القانونية والرقمية التي سترتكز عليها الحكومة المقبلة التي ستُشكّل بعد انتخاب رئيس جديد للجمهورية، في تطبيق مشاريع التحول الرقمي ضمن سلّة المشاريع الإصلاحية التي ستتعهد بتنفيذها.

وقد ورد في النص مغالطات، يحق لنا وصفها بالتجنّي، علماً أن كاتبة المقال لم تحضر إلى الوزارة، ولم تتصل بنا أو تستعلم منّا، أو من أي من المسؤولين المباشرين عن الملفات التي تطرّقت إليها في مقالها المبنيّ على مصادر غير معروفة، علماً أننا نطبّق سياسة حق الوصول إلى المعلومات. كما أن الوزارة تطبّق المبادئ الجوهرية للخلفية الدبلوماسية، وعدم التفريط أبداً بأيّ ذرّة من السيادة».

طوفان الأقصى

اجتماع رباعي في روما غداً
نتنياهو يواصل التحايل: لصفقة «على ذوقي»

من المُنتظر أن يجتمع رئيس «الموساد»، ديفيد بارنياع، غداً في روما، مع رئيس الاستخبارات المركزية الأميركية، وليام بيرنز، ورئيس وزراء قطر، محمد بن عبد الرحمن آل ثاني، ورئيس المخابرات المصرية، عباس كامل، وذلك في إطار المفاوضات حول صفقة تبادل الأسرى مع المقاومة الفلسطينية. ولا يُتوقع أن تتخلل الاجتماع مفاوضات

يعوّل الوسطاء على أن تعقب اجتماع روما، لقاءات في الدوحة والقاهرة قبل نهاية الأسبوع المقبل

مفصّلة حول نقاط الخلاف المتبقية بين الطرفين، لكنه «سيركّز بشكل أساسي على استراتيجية المضيّ قدماً»، بحسب ما نقل موقع «والا» العبري، عن مصدر مطّلع. كما قال مسؤول إسرائيلي كبير، للموقع، إنه «لا توجد دلائل على أن ضغط الرئيس الأميركي، جو بايدن، قد أقنع رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، بتخفيف مطالبه الصارمة الجديدة، والتي تظلّ جزءاً من الاقتراح الإسرائيلي المُحدّث الذي سيتم إرساله إلى حماس».

لكن الاقتراح الإسرائيلي هذا، لم يتسلّمه الوسطاء بعد. وبحسب «كان»، فإن «الوسطاء ينتظرون ورقة الموقف الإسرائيلي لمناقشتها خلال اجتماع الوفد المرتقب الأسبوع المقبل (...) لكن نتنياهو لم يمنح الضوء الأخضر لإرسال الورقة». وبحسب مصدر سياسي، فإن نتنياهو «يريد الضغط أكثر من أجل انتزاع تنازلات أكبر من حماس، مثل زيادة عدد المختطفين الأحياء الذين سيتمّ إنقاذهم من أسر حماس»، وهو «يدّعي أنه لم يضف شروطاً إضافية، رغم وجود خلاف حول هذا الأمر». وعليه، يقول مسؤول إسرائيلي رفيع، إن «نتنياهو لا يزال متشدداً في موقفه، ولا يريد إنجاز الصفقة، لذا لا يُتوقع حدوث انفراجة، وعليه نحن في الطريق إلى أزمة في المفاوضات وليس صفقة». ولإدراكهما توجّهات نتنياهو الفعلية، رفض رئيس «الشاباك»، رونين بار، ومسؤول ملف الأسرى في الجيش، نيتسان ألوني، المشاركة في اجتماع الغد في روما، فيما تقرّر سفر رئيس «الموساد» وحيداً، و«السبب هو عدم اكتمال ردّ إسرائيل على مقترح الصفقة»، بحسب «القناة 12».

في المقابل، يعوّل الوسطاء على أن تعقب اجتماع روما، لقاءات في الدوحة والقاهرة قبل نهاية الأسبوع المقبل. وبحسب مصادر مطّلعة، فإن «الاجتماع سيكون على غرار اجتماعات باريس السابقة، وسيكون التركيز فيه على التعديلات الإسرائيلية المقترحة، بالإضافة إلى تصوّرات تفصيلية بشأن اليوم التالي». وبحسب هذه المصادر، «يحضّر الوسطاء مقترحات للتعامل مع الثغرات التي لم يجرِ التوصّل إلى حلول بشأنها بعد». وبحسب مسؤولين مصريين، «سيحمل رئيس المخابرات المصرية معه، نتائج لقاءات واتصالات جرت مع مسؤولين خليجيين في الأيام الماضية، ولا سيما من الإمارات والسعودية، بشأن ما يمكن تقديمه لدعم السلطة التي ستكون في غزة في اليوم التالي».

وفي الوقت عينه، لا يزال المستوى الأمني يمارس ضغوطه للدفع نحو الصفقة، حيث قال رئيس هيئة الأركان في جيش الاحتلال، هرتسي هاليفي، أمس، إن «الاتفاق على إطلاق سراح المختطفين، هو أمر نضغط من أجل التوصّل إليه وتحقيقه في ظروف جيدة، وهذه مهمة عُليا»، بينما يتسبب هذا التوجّه لدى المستوى الأمني بمزيد من المشاكل والضغوط لنتنياهو، الذي كشفت «القناة 12»، أمس، أنه «سيحسم أمره بخصوص عزل وزير الأمن يوآف غالانت، وإسناد الوزارة إلى غدعون ساعر بعد عودته، من واشنطن يوم (غد) الأحد».

والتقى نتنياهو، أمس، المرشّح الرئاسي الأميركي، دونالد ترامب، بعدما كان قد التقى، أول من أمس، الرئيس جو بايدن، ونائبته - المرشّحة الديمقراطية الأوفر حظاً - كاملا هاريس. وكان واضحاً احتفاء نتنياهو بترامب، بعدما كان لقاؤه بهاريس باهتاً وخرجت عنه انطباعات سلبية. وفي بداية اللقاء، قال "بيبي": «والآن إلى الجزء الأفضل». وبحسب وسائل إعلام أميركية، أعرب ترامب لنتنياهو في لقائهما المنفرد عن «التضامن مع إسرائيل بعد السابع من أكتوبر». وأضاف: «عندما أصل إلى البيت الأبيض، سأبذل قصارى جهدي لإحلال السلام في الشرق الأوسط»، في حين قال نتنياهو عقب اللقاء، إن «الوقت سيُظهر ما إذا كنّا قريبين من التوصّل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار»، معلناً أنه سيرسل «وفداً إلى محادثات روما الأحد»، معبّراً عن اعتقاده بوجود «بعض التقدم في المحادثات بسبب الضغط العسكري». وبدت لافتة إشارة كل من بايدن وهاريس وترامب، إلى ضرورة إنهاء الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، وإطلاق سراح الأسرى في أسرع وقت، مع علمهم الأكيد بأن هذا غير ممكن من دون صفقة تبادل، تنهي أو تمهّد لإنهاء الحرب. وبينما قال بايدن لعائلات بعض الأسرى الإسرائيليين إنه يسعى لصفقة، «وإن تبيّن أن الأبيض، سأبذل قصارى جهدي لإحلال السلام في الشرق الأوسط»، عندما أشارت بشكل مباشر إلى ضرورة «إنهاء الحرب فوراً». كذلك، قالت صحيفة «وول ستريت جورنال» الأميركية، إن «نتنياهو تلقّى رسالة واضحة من الزعماء الديمقراطيين والجمهوريين، بأنه يتعيّن عليه إنهاء الحرب».

(الأخبار)

(أ ف ب)

هاريس «تصدم» بيبي: بداية تحوّل؟

في أول «استحقاق» خارجي لها بصفتها المرشحة الأوفر حظاً عن الحزب الديموقراطي للرئاسة، وبعدما كثرت التوقعات حول آلية مقاربتها المحتملة للحرب في غزة، وضعت نائبة الرئيس الأميركي، كامالا هاريس، عقب لقائها رئيس وزراء الاحتلال، بنيامين نتنياهو، محدّدات لتلك المقاربة، بدت مزعجة لإسرائيل، وفتحت الباب على تكهنات بإمكانية لحظ تغييرات في السياسة الأميركية تجاه الكيان في المرحلة المقبلة. وشددت هاريس، في البيان الذي تلته أمام وسائل الإعلام، على ضرورة إنهاء الحرب،

أثارت تصريحات هاريس في أعقاب الاجتماع «استياء» نتنياهو

بلهجة أثارت «غضب» إسرائيل وجعلت نتنياهو «يحتج» لدى البيت الأبيض، واضعةً، في المقابل، شرطين أساسيين لذلك، هما ضرورة «ضمان أمن الأخيرة»، في مواجهة إيران «والجماعات المدعومة منها، على غرار (حماس) وحزب الله»، و«إطلاق سراح جميع الأسرى». كما دانت هاريس ما وصفته بـ«هجوم (حماس) الإرهابي» على إسرائيل، محمّلةً المقاومة مسؤولية اندلاع الحرب. ولم يسلم حتى المتظاهرون ضدّ زيارة نتنياهو من انتقادات هاريس، التي حرصت على التنديد بما زعمت أنها «الأعمال الدنيئة التي يقوم بها المتظاهرون غير الوطنيين»، الذين «احرقوا علم إسرائيل وشوهوا التماثيل بشعارات معادية لها خارج مبنى الكابيتول يوم الأربعاء». وفي بيان مكتوب صدر قبل ساعات من اجتماعها مع نتنياهو، قالت نائبة الرئيس: «أدين أي أفراد مرتبطين بمنظمة (حماس) الإرهابية الوحشية التي تعهدت بإبادة دولة إسرائيل وقتل اليهود»، مشيرةً إلى أنّ «الكتابة على الجدران والسردية الموالية لـ(حماس) بغيضتان، ويجب ألا تتسامح معهما في أمتنا».

وأثارت تصريحات هاريس، طبقاً لمصادر مطلعة، «استياء» نتنياهو، الذي حذّر حتى من إمكانية أن تُلحق «ضرراً» بالمفاوضات حول اتفاق تبادل الأسرى ووقف إطلاق النار. وعلى رغم أن موقف هاريس يتسق مع مواقفها السابقة، وموقف الإدارة الأميركية المعلَن بشأن ضرورة إنهاء الحرب في غزة، قال مسؤولان إسرائيليان، لموقع «أكسيوس»، إن لقاء نتنياهو مع الرئيس الأميركي، جو بايدن، كان «بناءً أكثر بكثير من اجتماعه مع هاريس»، على رغم أنه لا يمكن القول إن الأخير كان متوتراً بشكل عام. وتابع المسؤولان أن نتنياهو وفريقه فوجئا ببيان نائبة الرئيس جو بايدن أمام الكاميرا، و«بنبرته» التي بدت أكثر «انتقاداً» من نبرة الأخير، وأكثر حدة بكثير ممّا قالته لنتنياهو خلال الاجتماع، لا سيما أن كلامها جاء في «مرحلة حساسة» من المفاوضات.

وكانت هاريس قد عبّرت، في بيانها الصادر عقب لقائها نتنياهو، عن «قلقها الشديد بشأن حجم المعاناة الإنسانية في غزة، بما في ذلك مقتل عدد كبير جداً من المدنيين الأبرياء»، لافتةً إلى أنّها «أعربت لنتنياهو عن مخاوفها «بشأن الوضع الإنساني المتردي هناك، حيث يواجه أكثر من مليوني شخص مستويات عالية من انعدام الأمن الغذائي، ويواجه نصف مليون شخص مستويات كارثية من انعدام الأمن الغذائي الحاد». وفي انتقادات هي الأشد «من الإدارة الأميركية لإسرائيل، تحدثت هاريس عن «صور الأطفال القتلى والجوعى اليائسين وهم يفرون بحثاً عن الأمان، وأحياناً ينزحون للمرة الثانية أو الثالثة أو الرابعة»، متابعةً: «لا يمكننا أن نغض النظر عن هذه المآسي. لا يمكننا أن نسمح لأنفسنا أن ننكر المعاناة، ولن أصمت». وعلى غرار التصريحات التي صدرت عن البيت الأبيض خلال الاجتماع بين نتنياهو وبايدن، أكدت هاريس أن الوقت «حان لانتهاء هذه الحرب»، مضيفة أنها حثّت نتنياهو على «إنهاء الصفقة»، ومعلنةً أنها لا تزال ملتزمة بمسار «حل الدولتين». ووفقاً لموقع "بوليتيكو"، فإن تصريحات نائبة الرئيس لم تختلف في الجوهر، عن تعليقات سابقة للرئيس، لكن أسلوبها كان لافتاً، وقدّم أوضح صورة لرؤية هاريس لإزاء الصراع". ولا يزال من غير الواضح، بحسب الموقع، ما إذا كانت نائبة الرئيس "تحاول إبعاد نفسها عن سياسة بايدن الإسرائيلية، أو كيف ستفعل ذلك". ففي نهاية العام الماضي، طلبت هاريس من مسؤولي الإدارة، بمن فيهم الرئيس، أن يُظهر البيت الأبيض المزيد من الاهتمام بالدمار الإنساني في غزة، وأن تبدأ الإدارة في وضع خطط لـ"اليوم التالي" لكيفية التعامل مع عواقب الحرب. على أن بايدن لم يُعِد قلقاً بشأن مستقبله السياسي بعد إنهاء مساعيه لإعادة انتخابه، وهو تعهّد بتبنّي نهج أكثر صرامة مع "بيبي"، علماً أن الرئيس الأميركي وعد، في أعقاب انسحابه من السباق، بجعل اتفاق وقف إطلاق النار محورياً، خلال المدّة المتبقية له في منصبه.

وإلى جانب تصريحات هاريس، كانت العقوبات التي تفرضها الإدارة الأميركية على المستوطنين الإسرائيليين من جملة الأمور التي «احتج» عليها نتنياهو خلال لقاءاته الأخيرة. وفي هذا الإطار، أفاد موقع «أكسيوس» نقلاً عن مسؤولين أميركيين وإسرائيليين، بأن نتنياهو أجرى، على هامش اجتماعاته مع بايدن في البيت الأبيض، «محادثة صعبة» مع مستشار الأمن القومي، جيك سوليفان، وهاريس، بشأن العقوبات الأميركية التي تستهدف المستوطنين، زاعماً أن الأخيرة «جاءت بنتائج عكسية». كما أعرب عن قلقه بشأن احتمال فرض واشنطن عقوبات على الوزيرين المتطرفين، إيتمار بن غفير وبتسلئيل سموتريتش. وإذ أبلغ سوليفان، نتنياهو، أن الولايات المتحدة «لا تخطط» لمعاقبة المسؤولين المشار إليهما، إلا أنه أكد أنّ سياسة واشنطن تجاه المستوطنين «ستستمر» في المستقبل.

(الأخبار)

لم يسلم حتى المتظاهرون ضدّ زيارة نتنياهو من انتقادات هاريس (أ ف ب)

مشاريع «الحكم البديل» تتعرقل: مطلوبٌ عملاء

غزة ـ **يوسف فارس**

لم تفضِ عشرة أشهر من الحرب المتواصلة على قطاع غزة، إلى تحقيق أهم هدف من أهداف الحرب، وهو القضاء على حكم حركة «حماس». صحيح أن القصف الجوي ثم التوغل البري، دمّرا الأصول العمرانية المؤسساتية للحكم، من وزارات ومؤسسات وبلديات ومراكز شرطة، لكن بقي العامل المقترن بالإنجاز، والمتمثّل في إيجاد البديل الذي يمتلك عاملَي الاستعداد والقدرة، على أن يكون بديلاً لـ«حماس» في القطاع، غير متحقّق، علماً أن الاحتلال يعلن بلا أي مواربة أو تجميل، أنه يريد بديلاً متعاوناً وصديقاً، في ما يمثّل التعريف المفاهيمي للعمالة والخيانة، بتصريح صحافي أكد فيه أنه لن يقبل بأي دور أمني أو حكومي أو تنفيذي في المرحلة المقبلة، وذلك رداً على معلومات نقيضة لتصريحه نشرتها صحف أجنبية وكرّرت «هيئة البث الإسرائيلية» نشرها.

وأمام اصطدام المساعي الإسرائيلية بالجدار، وحرص المؤسسة الأمنية على توفير البديل الذي يعصمها من الاضطرار للغرق في وحل إدارة القطاع أمنياً، لجأت المخابرات الإسرائيلية أخيراً إلى محاولة التواصل المباشر مع الأهالي في شمال غزة، إذ أرسل ضباط يحملون أسماء عربية، الآلاف من الرسائل النصية على هواتف المواطنين، والتي يدعونهم فيها إلى التواصل عبر تطبيق «واتساب»، للمشاركة في القضاء على «حماس»، وتقويض حكمها. ورغم ما يحمله هذا الإجراء من دلالات على صعيد الشحّ المخابراتي والمعلوماتي والحاجة الماسة إلى تجنيد العملاء، فإنه يعكس أيضاً مستوى العبث والفراغ الذي تمضي فيه محاولات البحث عن بديل لـ«حماس».

على الأرض، ورغم أن السيطرة وأنظمة الحوكمة ليست في أفضل أحوالها، حيث تفرض الحرب قوانينها من دون تدخل حقيقي لحماية الجبهة الداخلية، فإن الأجهزة الأمنية التابعة لحركة «حماس» هي الحاضر الغائب دائماً في المشهد، إذ لا حضور علنياً في الشوارع، ولكن لا غياب عن أدنى تفصيل، فيما يبدو أن المؤسسات

الأجهزة الأمنية التابعة لحركة «حماس» هي الحاضر الغائب دائماً في المشهد

المشاركة في إدارته إلى تهمة تتطلب الخروج بتصريحات صحافية لنفيها. ومن نماذج ذلك، اضطرار قائد «التيار الإصلاحي» في حركة «فتح» المموّل إماراتياً، محمد دحلان، للخروج بتصريح صحافي أكد فيه أنه لن يقبل في المرحلة القبلية، وذلك رداً على معلومات نقيضة لتصريحه نشرتها صحف أجنبية وكرّرت «هيئة البث الإسرائيلية» نشرها.

وأمام اصطدام المساعي الإسرائيلية بالجدار، وحرص المؤسسة الأمنية على توفير البديل الذي يعصمها من الاضطرار للغرق في وحل إدارة القطاع أمنياً، لجأت المخابرات الإسرائيلية أخيراً إلى محاولة التواصل المباشر مع الأهالي في شمال غزة، إذ أرسل ضباط يحملون أسماء عربية، الآلاف من الرسائل النصية على هواتف المواطنين، والتي يدعونهم فيها إلى التواصل عبر تطبيق «واتساب»، للمشاركة في القضاء على «حماس»، وتقويض حكمها. ورغم ما يحمله هذا الإجراء من دلالات على صعيد الشحّ المخابراتي والمعلوماتي والحاجة الماسة إلى تجنيد العملاء، فإنه يعكس أيضاً مستوى العبث والفراغ الذي تمضي فيه محاولات البحث عن بديل لـ«حماس».

على الأرض، ورغم أن السيطرة وأنظمة الحوكمة ليست في أفضل أحوالها، حيث تفرض الحرب قوانينها من دون تدخل حقيقي لحماية الجبهة الداخلية، فإن الأجهزة الأمنية التابعة لحركة «حماس» هي الحاضر الغائب دائماً في المشهد، إذ لا حضور علنياً في الشوارع، ولكن لا غياب عن أدنى تفصيل، فيما يبدو أن المؤسسات الحكومية تنحني لرياح التهديد وتحاول الاقتصاد في خسائرها من الكوادر والكفاءات الذين هم عرضة للاغتيال والملاحقة، لكنها ليست في وارد الإذعان لعملية الاجتثاث.

ووفقاً لمصدر في «حماس»، فإن الحركة تدرك أن المرحلة المقبلة «قد تحتاج إلى تنازلات كبرى على صعيد الحكم الذي لا تبدي قيادة الحركة تمسكاً به أصلاً، من أجل الوصول إلى المرحلة التي تراعي مصلحة سكان القطاع وحاجاتهم التنموية والإغاثية». ويشدد المصدر على أن هذا «لا يعني أن يكون شأناً فلسطينياً داخلياً، يمكن حله بالتوافق مع الأحزاب الفلسطينية والكفاءات الوطنية، من دون تدخل إسرائيلي يريد أن يفرض قيادة عميلة تضع حاجاته الأمنية في سلّم أولوياتها».

دعت الهيئة التأسيسية لنقابة الإعلان والتسويق الرقمي في لبنان لإجراء الانتخابات العامة لمجلسها التنفيذي بتاريخ الجمعة 16 آب 2024 من الساعة العاشرة صباحاً حتى الثانية عشرة ظهراً في منطقة بيروت الرقمية BDD، وسط بيروت. وفي حال عدم اكتمال النصاب القانوني يُجرى الانتخابات بعد أسبوع من تاريخه أي نهار الجمعة 23 آب 2024 في نفس الزمان والمكان المحددين ومن حضر. فعلى الراغبين بالترشح تقديم طلباتهم لدى مركز النقابة المذكور قبل موعد إجراء الانتخابات بثلاثة أيام أي الثلاثاء 13 آب الرابعة بعد الظهر (موعد إقفال باب الترشيح وتم تعيين الأستاذ أحمد أبو غالي للمراجعة واستقبال طلبات الانتساب والترشح يومياً من الإثنين إلى الجمعة من التاسعة صباحاً حتى الرابعة بعد الظهر في الحمرا شارع جاندارك مبنى واست هاوس ترى الطابق الأرضي. للمزيد من التفاصيل نرجو التواصل على الرقم: 01/741073 أو زوروا موقع النقابة الرسمي www.dmms.io للاستعلام والانتساب.

المقاومة تبادل العدو الضغط: هذا ثمن البقاء في غزة

غزة ـ **يوسف فارس**

يتساوق سلوك جيش العدو في كل محاور القتال في قطاع غزة، مع ما صرّح به رئيس أركانه، هرتسي هليفي، الذي أكد أن الضغط العسكري على حركة «حماس» سيتواصل لإجبارها على القبول بصفقة تبادل «مرضية»، إذ سجّل المشهد الميداني في شمال وادي غزة وجنوبه انقلاباً خلال اليومين الماضيين؛ وإلى جانب العملية البرية المستمرة في مناطق شرق محافظة خانيونس، عاد جيش الاحتلال إلى التوغّل في مناطق جنوب غرب مدينة غزة، وتحديداً حي تل الهوى والأطراف الجنوبية لحيي الشيخ عجلين والزيتون، وهي مناطق انسحب منها قبل أقل من أسبوعين، بعد توغّل استمر سبعة أيام.

وفي مقابل ذلك، لم تظهر المقاومة أي تراجع ميداني، يُمكن أن يُفسَّر بأن الضغط الإسرائيلي استطاع تحقيق ما يراد منه، بل على العكس، ضاعفت الأذرع العسكرية لفصائل المقاومة من حضورها. ففي تل الهوى مثلاً، الحي الذي سجّل الرقم القياسي في عدد مرات التوغّل، والتي تجاوزت سبعاً منذ بدء العملية العسكرية، تمكّنت المقاومة، أمس، بعد ثلاث ساعات من بدء التوغل، من تنفيذ ثماني عمليات قتالية، تنوعت ما بين قنص وتفجير عبوات واستهداف دبابات. وسجّلت «سرايا القدس» وأذرع عسكرية أخرى حضورها إلى جانب «كتائب القسام» في تلك العمليات، ما يعني أن الأذرع العسكرية كافة تعيد ترميم نفسها على نحو مرن وسريع، وتواصل تجهيز الشراك والكمائن في المناطق التي تشهد ضغطاً كبيراً.

أما في مدينة رفح، جنوبي القطاع، والتي تتواصل العملية البرية فيها للشهر الثاني على التوالي، فتُظهر المشاهد المصوّرة التي نشرها «الإعلام العسكري» التابع لـ«كتائب القسام»، أمس، وهي الجزء الثاني من إصدارات «مواتاً ميدانياً»، لا في شمال غزة ولا جنوبها.

وفي التفاصيل، أقر جيش الاحتلال بمقتل جنديين في معارك القطاع خلال اليومين الماضيين، فيما أعلنت المقاومة عن عشرات المهمات القتالية التي تنوّعت ما بين قنص وإطلاق قذائف وقصف مستوطنات غلاف غزة بالصواريخ، فضلاً عن تفجير دبابات وآليات بقذائف مضادة للدروع وعبوات أرضية وجانبية. وأعلنت «كتائب القسام» أن مقاوميها فجّروا دبابتي «ميركافا» كان حولهما عدد من الجنود في حي تل الهوى بعبوتي «شواظ»، كما أعلنت الكتائب تفجير عبوة رعدية مضادة للأفراد بقوة مشاة في الحي نفسه. وأكدت «القسام» أن العملية تسببت بإيقاع أفراد القوة بين قتيل وجريح، فيما أبلغت عن قنص جندي إسرائيلي واستهداف دبابة «ميركافا» بقذيفة «الياسين 105»، في المحور نفسه. وأشارت الكتائب أيضاً إلى إطلاق صاروخ مضاد للطائرات من نوع «سام 7» في اتجاه طائرة مروحية كانت تحلّق في سماء تل الهوى. وبدورها، تحدّثت «سرايا القدس» عن تفجير دبابة بعبوة برميلية من نوع «ثاقب»، وأعلنت كذلك أن مقاوميها اشتبكوا مع قوة خاصة كانت تتحصّن في منزل قرب مدرسة النيل في تل الهوى. وبالتوازي مع كثافة العمليات الميدانية، قالت «سرايا القدس» و«كتائب المجاهدين» إن مقاتليهما استهدفوا مدينة عسقلان ومقر قيادة فرقة غزة في مستوطنة «ريعيم» برشقة صاروخية. كما أمطرت الأذرع العسكرية لفصائل المقاومة القوات المتوغّلة في أحياء جنوب غرب مدينة غزة بقذائف الهاون. أما في رفح، فقد أبلغت الأذرع العسكرية للفصائل عن جملة من المهمات القتالية، إذ قالت «كتائب شهداء الأقصى» إن مقاوميها استهدفوا دبابة بقذيفة «آر بي جي» شرق المدينة. وفي حي تل السلطان، أعلنت «سرايا القدس» أن مقاوميها تمكّنوا بالاشتراك مع «قوات عمر القاسم» من استهداف آلية عسكرية بقذيفة «آر بي جي»، كما أكدت أن مقاوميها استهدفوا قوات العدو المتمركزة في محيط معبر رفح البري بقذائف الهاون. وفي محور القتال شرق مدينة خانيونس، أبلغت الأذرع العسكرية عن قصفها القوات المتوغّلة بوابل من قذائف الهاون.

وفي محصّلة الأمر، تريد المقاومة استغلال فرصة الالتحام المباشر لتحقيق نتيجة عكسية لأهداف العدو، إذ يحقّق تراكم خسائره في الجنود والآليات مبدأ الضغط المتبادل على الأقل، ما يزيد من رغبة المؤسسة الأمنية وضغطها على المستوى السياسي الإسرائيلي للإسراع في الذهاب إلى صفقة تبادل، حتى وإن دفع فيها ثمناً مرتفعاً.

صبي يقف أمام قبور نازحين استشهدوا في خانيونس (أ ف ب)

طوفان الأقصى

أبو عرة آخر الملتحقين بالشهداء
الحرب على الأسرى تتسعّر

رام الله ـ **أحمد العبد**

رغم ما تكشفه صحة الأسرى المحررين، النفسية والعقلية والجسدية، إلى جانب شهاداتهم الصادمة، من أوضاع بالغة القتامة في سجون العدو، إلا أن كل ذلك يبقى جزءاً يسيراً من حقيقة ما يتعرض له الأسرى الفلسطينيون من تعذيب وقتل ممنهج وبطيء. لا بل يمكن القول إن إسرائيل باتت تستخدم القتل المتعمد للأسرى، أو أساليب تعذيب تفضي بشكل مؤكد إلى موتهم، وهو ما يفسر ارتفاع أعداد الشهداء في السجون منذ السابع من أكتوبر، والذين كان آخر المنضمين إلى قافلتهم، الشيخ مصطفى أبو عرة (63 عاماً)، القيادي في حركة «حماس»، والمعتقل إدارياً منذ 8 أشهر تقريباً، والذي أعلن عن استشهاده في وقت متأخر من مساء الخميس، لتخرج في أعقاب ذلك، مسيرة كبيرة في بلدة عقابا اتجهت إلى منزله في البلدة.

وينحدر أبو عرة من عقابا في محافظة طوباس، وقضى نحبه في مستشفى «سوروكا» الذي جرى نقله إليه من سجن «ريمون»، بعد تدهور خطير طرأ على وضعه الصحي. وأبو عرة قيادي في حركة «حماس»، وأسير سابق تعرض للاعتقال مرات عدة منذ عام 1990، وبلغ مجموع سنوات اعتقاله نحو 12 عاماً - كما يقبع أحد أبنائه حالياً في سجون العدو -، وهو واحد من مبعدي مرج الزهور في جنوب لبنان. واعتقلت قوات الاحتلال أبو عرة في 30 تشرين الأول 2023، بينما كان يعاني من مشكلات صحية صعبة ومزمنة، بحاجة إلى متابعة حثيثة، إلا أنّه ومنذ لحظة اعتقاله، واجه، كما الأسرى كافة، إجراءات غير مسبوقة في قوتها، وأبرزها جرائم التعذيب والتجويع، إضافة إلى الجرائم الطبية التي شكلت الأسباب المركزية لاستشهاد أسرى ومعتقلين.

وقالت «هيئة شؤون الأسرى والمحررين» إن أبو عرة تعرض لعملية قتل بطيء منذ لحظة اعتقاله، بحرمانه من العلاج، كأحد أساليب سياسة الوزير الفاشي، إيتمار بن غفير، الذي طالب بقتل الأسرى عبر إطلاق النار على رؤوسهم لحل مشكلة الاكتظاظ في السجون. وبينما نعت حركة «حماس» قائدها، وعددت مناقبه وأدواره النضالية، دعت «كل المجاهدين، الذين رباهم الشيخ الشهيد، إلى تصويب الرصاص والعبوات المتفجرة نحو الاحتلال جنوداً ومستوطنين، انتقاماً لدماء الشهيد وشهداء شعبنا الأبرار».

وكانت عائلة أبو عرة أطلقت، قبل أيام، «مناشدة عاجلة» إلى الهيئات القانونية والحقوقية والصحية الخاصة بالأسرى وبحقوق الإنسان كافة، للوقوف على حقيقة وضعه الصحي، بعد وصول أخبار عن تدهور حالته، ونقله إلى مستشفى سجن الرملة منذ قرابة أسبوع. وقالت العائلة إن الشيخ مصطفى كان مقرراً، قبيل اعتقاله، أن يجري جولة علاجية لأمراض في الدم والجلد، إضافة إلى ما يعانيه من أمراض مزمنة في القلب والغضروف وتضخم في الطحال، مؤكدة أن حالته الصحية لا تحتمل المضايقات والإجراءات التعسفية.

وتنذر الظروف التي يعيشها الأسرى باحتمال أن يرتقي شهداء آخرون منهم، ليلتحقوا بـ19 شهيداً قضوا في السجون منذ السابع من أكتوبر، بحسب «نادي الأسير». وهؤلاء هم الذين أُعلنت هوياتهم فقط، فيما يواصل الاحتلال إخفاء هويات العشرات من معتقلي غزة الذين استشهدوا في سجونه ومعسكراته. ومع هذا، فإن الرقم المذكور يعدّ الأعلى لشهداء الحركة الأسيرة في عام واحد، بحسب ما توثقه المؤسسات المعنية، علماً أنه بذلك ارتفع عدد شهداء هذه الحركة، المعلومة هوياتهم، منذ عام 1967، إلى 256.

وجاء استشهاد أبو عرة في وقت أفرجت فيه سلطات الاحتلال عن الشاب حمزة الصيفي (32 عاماً) من مخيم الدهيشة في بيت لحم، عند حاجز الظاهرية في محافظة الخليل، بعد عامين من اعتقاله إدارياً. وبينما كان حمزة يقترب بعد الإفراج عنه من سيدة ليعانقها، بدت تلك السيدة متجهّمة ومترددة، كونها لم تتعرّف إلى نجلها بسبب تغيّر ملامحه، وهو ما دفعها إلى تكرار سؤال: «أنت حمزة؟!».

> الصورة الأكثر سوداوية تتبدى لدى معاينة أوضاع أسرى غزة، والذين تصنّفهم إسرائيل «مقاتلين غير شرعيين»

ليؤكد لها أنه «حمزة»، ويرتمي في حضنها. وليست درامية هذا المشهد مستغربة؛ إذ إن هذه الأم لم تزر نجلها على أقلّ تقدير منذ 7 أكتوبر، ولا تزال تحتفظ في رأسها بهيئته قبل الاعتقال، فيما خرج هو من السجن نحيفاً، متعباً وملتحياً، كغالبية الأسرى المحررين، نتيجة القيود على الحلاقة والاستحمام.

أما الصورة الأكثر سوداوية فتتبدى لدى معاينة أوضاع أسرى غزة، والذين تصنفهم إسرائيل «مقاتلين غير شرعيين»، وتحت ذلك التصنيف تمارس بحقهم أقسى صنوف التعذيب والقتل. ولعلّ الحالة التي خرج عليها 7 أسرى بينهم امرأتان، الخميس، من سجون الاحتلال، تشكّل نموذجاً واضحاً مما تقدّم. إذ قال «الهلال الأحمر» الذي قدم الإسعاف الأولي لهؤلاء ونقلهم إلى «مستشفى شهداء الأقصى»، إن «الأسرى المفرج عنهم وصلوا بأوضاع ماساوية نتيجة تعذيبهم»، فيما أفاد أحدهم، وهو محمد اللوح، أنه تعرض طوال 30 يوماً للضرب المبرح المتواصل والصعق بالكهرباء، وأن المعتقلين يظلّون مكبلي الأيدي والأرجل ومعصوبي الأعين على مدار الساعة، ويُمنعون من رفع رؤوسهم، وهم محشورون في غرف ضيقة تفتقر إلى أدنى مقومات الحياة. وبدوره، أكد المفرج عنه، محمد أبو شعر، أنه تعرض لتعذيب بالصعق بالكهرباء طوال اليوم، عبارة عن 100 غرام خبز، وخيارة أو حبة بندورة، وكمية قليلة جداً من اللبن.

ويلتقي بالأسرى بعد السابع من أكتوبر، فقد روى، قبل أيام، في مؤتمر صحافي، شهادات مروعة عن معتقلين من قطاع غزة، تزوّد بها أثناء زيارته لمعتقل «عوفر». وأفاد محاجنة بأن بعض المعتقلين تعرضوا لاعتداءات جنسية بعد تجريدهم من ملابسهم والاعتداء عليهم بالضرب في أماكن حساسة، وهم يعانون حالياً أوضاعاً صحية ونفسية صعبة، وأن الكلاب البوليسية تهاجمهم وتنهش أجسادهم بينما هم مكبّلو الأيدي وراء رؤوسهم، وأنهم يتعرضون كذلك لعمليات شبح يرافقها الاعتداء بالضرب. كما كشف محاجنة أن هناك أكثر من 100 معتقل مرضى وجرحى من دون علاج، في ظل اكتظاظ شديد في غرف من الإسمنت، تفتقر إلى التهوئة ومساحة الواحدة منها لا تزيد على خمسة أمتار مربعة، وفيها أسرّة حديدية بلا فرش ولا أغطية، ويُحتجز فيها 25 معتقلاً، ينام غالبيتهم على الأرض. وأضاف أن الأسرى يأكلون وهم مقيدو الأيدي، ولكل منهم وجبة واحدة كمّاً ونوعاً.

أما المحامي خالد محاجنة، والذي كان أول محامٍ يزور عدة سجون

منزل المقاوم محمد مناصرة الذي هدمته قوات الاحتلال خلال غارة على رام الله في الضفة الغربية (أ ف ب)

اليمن

صنعاء لعدن: ممنوع تصدير النفط

صنعاء ـ **رشيد الحداد**

في الوقت الذي دخل فيه اتفاق إنهاء التصعيد الاقتصادي، والموقّع بين صنعاء والرياض، حيّز التنفيذ، باستئناف الرحلات التجارية الجوية من مطار صنعاء إلى الأردن، بالتوازي مع عودة نظام «سويفت» إلى البنوك الأهلية في صنعاء، بدأت الحكومة الموالية للتحالف السعودي - الإماراتي إجراء ترتيبات خاصة بتصدير النفط الخام اليمني إلى الأسواق الخارجية، في محاولة لكسر حظر تصدير النفط المفروض من قبل حركة «أنصار الله» منذ أواخر 2022. ووصف مصدر في «اللجنة الاقتصادية العليا» في صنعاء، تلك الترتيبات بأنها «استفزاز غير محسوب العواقب»، معتبراً، في تصريح إلى «الأخبار»، أن «هذا التوجه يعكس رغبة لدى الأطراف الموالية للتحالف السعودي - الإماراتي في إطالة أمد معاناة موظفي الدولة المنقطعة مرتباتهم الأساسية منذ ثماني سنوات».

وأشار إلى أن «موقف صنعاء بشأن إعادة تصدير النفط في المحافظات الجنوبية مرتبط بموافقة الأطراف الأخرى على تخصيص عائدات مبيعات الخام لصرف مرتّبات الموظفين وتحسين الخدمات العامة في المحافظات اليمنية كافة»، مؤكداً أن «أي محاولة التفاف على هذا المطلب، ستُقابل بالقوة لمنع اقتراب أي ناقلة نفط من الموانئ اليمنية الواقعة في الساحل الشرقي للبلاد». وجدّد تحذيره الشركات الملاحية من مغبة تجاهل رسائل صنعاء، والدخول إلى ميناءي الضبة والنشيمة النفطيين الواقعين في نطاق محافظتي شبوة وحضرموت.

وأكدت مصادر مقربة من حكومة عدن، بدورها، لـ«الأخبار»، أن «ترتيبات بدأت في شبوة وحضرموت لإعادة تصدير النفط» الأربعاء المقبل، تمهيداً إلى أن هذا التوجه تبلور في أعقاب إعلان اتفاق إنهاء التصعيد الاقتصادي. ويرى مراقبون، على ضوء ذلك، أن حكومة أحمد بن مبارك التي تعرّضت لانتقادات واسعة من قبل الموالين لها، على خلفية الاتفاق الأخير، تسعى إلى امتصاص الغضب بالحديث عن إعادة تصدير النفط من دون اتفاق مسبق، والإيحاء بأنها حصلت على مقابل لموافقتها على وقف التصعيد، وهي رواية قوبلت بالنفي من قبل صنعاء. وكان «المجلس الرئاسي» قد اشترط، الأسبوع الماضي، أن تسمح حكومة الإنقاذ بإعادة تصدير النفط - من دون التزامه بصرف مرتّبات موظفي الدولة -، وتوحيد سعر العملة في مناطق سيطرتها بسعر العملة المطبوعة المتعامل بها في عدن، وإلغاء عملة المئة ريال المعدنية التي سكّها بنك صنعاء المركزي مطلع العام الجاري، مقابل أن يوافق «الرئاسي» على تأجيل القرارات التصعيدية ضد البنوك المشمولة بإجراءات المصرف المركزي المعترف به دولياً في عدن، والخوض في مفاوضات اقتصادية مع صنعاء. وأتى ذلك في إطار ردّه على طلب المبعوث الأممي، هانس غروندبرغ، تجميد تلك القرارات حتى الشهر المقبل، قبل أن يتم حسم الموقف بإلغائها، والالتزام بعدم اتخاذ خطوات مشابهة، والاستعداد لمفاوضات غير مشروطة حول الملف الاقتصادي والإنساني برعاية الأمم المتحدة.

وفي سياق هذه المفاوضات، قال الشيخ علي ناصر قرشة، أحد المعنيين بلجنة الوساطة بين صنعاء والرياض، في منشور على «إكس»، إنه تم الاتفاق

> تؤكد صنعاء أنه سيتم بالقوة منع اقتراب أي ناقلة نفط من موانئ شبوة وحضرموت

بين العاصمتين على تشكيل لجنة لمناقشة الملفات الاقتصادية، موضحاً أن «الاتفاق حول هذه الملفات سيتم على ضوء خارطة الطريق الأممية». وكانت قيادات رفيعة المستوى في حركة «أنصار الله» قد أكدت أن اتفاق التهدئة الأخير بين الرياض وصنعاء، وضع تنفيذ الشقّين الإنساني والاقتصادي، وخصوصاً ما يتعلق منهما بمسألة المرتبات، على رأس جدول أعمال المفاوضات، مع التزام السعودية والأمم المتحدة بعدم الاستجابة للضغوط الأميركية، وتجاوزها لتحقيق تقدم في مسار السلام.

وعبر الاتفاق مع الرياض، تحاول صنعاء تحقيق اختراق في ملف المرتّبات لتخفيف معاناة الموظفين من جهة، ولإسقاط الورقة الأميركية في هذا الملف من جهة ثانية، ولا سيما أن المبعوث الأميركي لدى اليمن، تيم ليندركينغ، عمل على إعاقة أي تقدم فيه خلال الجولات التفاوضية التي جرت برعاية الأمم المتحدة خلال العامين الماضيين، وعمد إلى تحويله إلى أداة ابتزاز بهدف تحقيق مكاسب لواشنطن. وخلال الأشهر الماضية من التصعيد اليمني ضد الملاحة الإسرائيلية في البحر الأحمر، حاولت واشنطن مقايضة صنعاء بالموافقة على حسم مسألة المرتبات، في إطار العروض الأميركية لثني اليمن عن الاستمرار في معركة إسناد الشعب الفلسطيني.

تقرير

فنزويلا تنتخب غداً: «التشافيزية» مطمئنة... رغم فجوة الاستطلاعات

سعيد محمد

في عيد ميلاد الزعيم الراحل هوغو تشافيز، سيصوّت الفنزويليون، غداً الأحد، في انتخابات رئاسية بذلت الولايات المتحدة غاية جهدها لتكون في غير مصلحة نيكولاس مادورو، الرئيس الحالي وخليفة تشافيز، الذي يخوض المنافسة على المنصب في مواجهة مرشح المعارضة، الدبلوماسي المتقاعد إدموندو غونزاليس، المدعوم من الغرب. ووفق استطلاعات الرأي ليس معروفاً مَن يموّلها، فإن غونزاليس، الوجه غير المعروف شعبياً، يتقدّم على مادورو بما لا يقلّ عن 20 نقطة مئوية، فيما يقول مسؤولون في حملة الرئيس الحالي إن الاستطلاعات المشار إليها غير دقيقة، وإنها ليست سوى جزء من جهود مكثّفة تقودها واشنطن بهدف إسقاط "التشافيزية"، وإعادة فنزويلا إلى دائرة النفوذ الأميركي.

وكان جرى استدعاء غونزاليس على عجل من قِبَل قوى المعارضة، ليحلّ محل المرشحة السابقة، النائبة الكاريزمية ماريا كورينا ماتشادو، التي مُنعت من خوض الانتخابات بعد الكشف عن "مخالفات قامت بها في الانتخابات التمهيدية"، في تشرين الأول الماضي. وتراهن المعارضة على سأم الفنزويليين من الأوضاع المعيشية الصعبة، للتخلّص من حكم مادورو، وتصعيد غونزاليس الذي وعد بتشكيل حكومة وحدة وطنية، في حال فوزه، والتفاوض على انتقال سلمي للسلطة "مع الاستفادة من أفكار النائبة ماتشادو - ابنه أحد أقطاب صناعة الصلب - حول الخصخصة، وتحرير الأسواق، واحترام الحقوق الفردية".

وتعيش فنزويلا أزمة اقتصادية مستمرّة، على خلفية الحصار الأميركي المفروض عليها منذ أيام تشافيز، والذي جرى تشديده لاحقاً في عهد خليفته، مادورو، الذي يحكم البلاد منذ عام 2013. وانكمش الناتج المحلي الإجمالي لفنزويلا بنسبة 75% في السنوات الثماني حتى عام 2021، على رغم أنها تمتلك أكبر احتياطي نفطي في العالم، يبلغ نحو 304 مليارات برميل - اكتشف ثلثاها خلال العقد الأخير -، وهو ما يمثل 18% من إجمالي الخام العالمي. ولكن الحصار تسبّب في شلّ هذه الصناعة الأساسية. للاقتصاد الفنزويلي، فضلاً عن التراجع غير المسبوق في قيمة العملة المحلية، والتردّي في مستوى معيشة قطاعات عريضة من السكان، ما دفع الملايين منهم إلى الهجرة. وتوظّف الولايات المتحدة استراتيجية متأتية لمحاربة الأنظمة السياسية التي تناصبها العداء، وذلك عبر خنق اقتصاداتها، وفرض مستويات متراكمة من العقوبات عليها، إذ فرصت على مدى سنوات أكثر من 350 عقوبة اقتصادية على كاراكاس، إلى جانب مصادرة أصولها الضخمة لدى البنوك الأميركية، كما رصيدها من الذهب لدى بنك إنكلترا، ما خلق مصاعب معيشية للسكان تامل الولايات المتحدة أن تدفعهم في النهاية إلى إطاحة حكومتهم.

ولطالما كانت فنزويلا منصّة لتصدير النفط، تحكمها طبقة فاسدة موالية للولايات المتحدة، إلى أن فاز هوغو تشافيز بالرئاسة في عام 1998، فتبنّى خطّاً اشتراكياً قومياً (البوليفارية) مناهضاً لواشنطن، وأعاد صياغة الدستور، و"طهّر" القوات المسلحة من الضباط الموالين لأميركا. كذلك، استفاد الرجل من ارتفاع أسعار النفط لتحسين أوضاع الأكثرية، فحصد تأييداً شعبياً عريضاً قبل أن يصاب بالسرطان، ويقضي في عام 2013. ولأن القوات المسلحة الفنزويلية تبدو، إلى الآن، عصيّة على الاختراق، وليست في وارد الانقلاب على الجمهورية "البوليفارية"، فقد حاولت واشنطن التخلّص من مادورو، من خلال الضغط الاقتصادي، والحصار الدبلوماسي، وتعبئة المعارضة الداخلية ضده. ومن أجل ذلك، قادت حملة كبيرة لشجب إعادة انتخابه في عام 2018، عبر التشكيك في نزاهة العملية الانتخابية، فدعمت المعارض خوان غوايدو الذي نصّبته رئيساً مؤقتاً للبلاد اعترفت به غالبية العواصم الغربية، لكنه فشل في إحداث أيّ تأثير على مال الأمور في البلاد. وفي أعقاب هذا الفشل، تخلّت الولايات المتحدة، في عهد الرئيس جو بايدن، عن غوايدو، في ما استهدف ترطيب الأجواء مع كاراكاس، وتعويض إمدادات النفط العالمي من رصيد فنزويلا، إثر فرض حصار أميركي - غربي على روسيا في عام 2022، تسبب، لوقت قصير، بأزمة نفطية عالمية.

هكذا، وبعد سنوات من النهج المتشدّد الذي اتّبعه الرئيس السابق دونالد ترامب، اجتمع مسؤولون من إدارة بايدن مع نظرائهم الفنزويليين، العام الماضي، في الدوحة، وتداولوا في مبدأ رفع العقوبات الأميركية - الغربية التي أعاقت صناعة النفط الفنزويلي، في مقابل أن يضمن مادورو للمعارضة فرصة خوض انتخابات نزيهة في رئاسيات 2024. وقد كان لخرجات لقاء الدوحة فعل السحر في تحفيز محادثات بين الحكومة الفنزويلية والمعارضة، تُوّجت باتفاق أواخر العام الماضي على إجراء انتخابات في الـ28 من تموز (غداً)، تخضع لمراقبة دولية. ورفعت إدارة بايدن، بعد هذا الاتفاق، حظراً على التداول الثانوي لبعض السندات الفنزويلية، وخفّفت بعض العقوبات المفروضة على قطاع النفط الفنزويلي لمدة ستة أشهر، ووعدت بالإفراج عن جزء من الأصول المحتجزة لأغراض إنسانية، إذا وفت حكومة كاراكاس بالتزاماتها. لكن واشنطن لم تفِ بتعهداتها، وأعادت العمل بالعقوبات مجدداً، ولم تفرج عن أيّ أصول محتجزة، ما قد يفسّر اللجوء إلى استبعاد ماتشادو، مرشحة الغرب المفضّلة من الانتخابات، كردّ على ذلك. ويشكّك مراقبون فنزويليون في فرص مرشح المعارضة في الفوز.

> يشكك فنزويليون في فرص مرشح المعارضة للفوز إذ توجد في البلاد قاعدة تأييد صلبة لـ«التشافيزية»

مؤكدين وجود قاعدة تأييد صلبة لـ"التشافيزية" في البلاد، على رغم كل مفاعيل الحصار الأميركي، فيما لا يزال من غير الواضح كيف ستتعامل إدارة بايدن مع نتائج تأتي لمصلحة مادورو. ويشعر بعض أقطاب المعارضة بالخشية من أن الإدارة الأميركية قد تضطر لقبول التعايش مع مادورو، في ظل حرص الدائنين على إعادة جدولة 160 مليار دولار من الديون السيادية الفنزويلية المعدومة لأغراض خيارات الغرب النفطية مع استمرار الصراع في أوكرانيا والحصار على روسيا، وربّما وقف تدفق اللاجئين الفنزويليين نحو الولايات المتحدة، أقلّه خلال فترة الانتخابات الرئاسية الأميركية، حيث تظلّ مسألة الهجرة حساسة بالنسبة إلى الناخب الأميركي.

وتقوم استراتيجية المعارضة لكسب الانتخابات، على حشد التأييد عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ومخاطبة السكان في منازلهم لتجنّب مراقبة الأجهزة الأمنية، وكذلك نشر آلاف الشهود في مختلف مراكز الاقتراع عبر البلاد لمراقبة عملية الإدلاء بالأصوات. وكانت ماتشادو كتبت للصحف الغربية، قبل أيام، عن ثقتها بأن حملة المعارضة ستنجح في حال أجريت انتخابات نزيهة، في إقصاء "التشافيزية"، لكنّ الحركة السياسية الاشتراكية "البوليفارية"، وبعد ربع قرن في السلطة، لا تظهر أيّ علامة على عزمها ترك حكم البلاد في أيّ وقت قريب. وعلى الأغلب، سيكون مادورو مجدداً رئيساً لفنزويلا لست سنوات مقبلة.

تراهن المعارضة على سأم الفنزويليين من الأوضاع المعيشية الصعبة، للتخلّص من حكم مادورو. وتصعيد غونزاليس (أ ف ب)

المقاومة العراقية تضرب ثانية: مهلة شهرين لخروج الأميركيين

بغداد ـ **فقار فاضل**

أكدت مصادر في "المقاومة الإسلامية في العراق"، أن جميع القواعد والمصالح الأميركية باتت في مرمى نيران عملياتها العسكرية، موضحة، في تصريح إلى "الأخبار"، أن استهداف قاعدة "عين الأسد" غرب البلاد، مساء أول من أمس، للمرة الثانية منذ أسبوع، يمثّل رسالة تهدف إلى إحراج الحكومة العراقية كجهة مفاوضة مع الولايات المتحدة، للضغط عليها لإعلان سحب قواتها من البلاد خلال مهلة شهرين لا أكثر. وقالت المصادر "إننا لسنا بحاجة إلى الإعلان عن عملياتنا العسكرية ضد الاحتلال، كوننا كمحور مقاومة في حالة حرب مع إسرائيل وداعميها والمطبّعين معها من الأعراب".

كما أكدت أنّ "عودة التصعيد ضد الأميركيين وشبكة، وأن القصص التي تسردها الولايات المتحدة عن أن بقاءها مرهون ببقاء وخطورة داعش أو لغرض التدريب وما شابه ذلك، هي قصص مضحكة وأصبحت مملّة ومكرّرة". وكشفت المصادر أنّ "تقرير المفاوضات العسكرية بين واشنطن وبغداد بيّن حجم خضوع الحكومة العراقية للإرادة الأميركية. ولذا، لا خيار أمامنا غير المقاومة ومقارعة المحتل. وجميع الخيارات مفتوحة في الأيام المقبلة".

وكانت مصادر أمنية عراقية قد أفادت بأن أربعة صواريخ من طراز "كاتيوشا"، أطلقت في وقت متأخر من أول من أمس، على قاعدة "عين الأسد" الجوية التي تتمركز فيها قوات الولايات المتحدة، من دون وقوع أضرار أو إصابات. ورات مصادر في الإطار التنسيقي، تحدّثت إلى "الأخبار"، أن عودة استهدافات المصالح الأميركية بعد هدنة استمرت أشهراً بناءً على اتفاق بين حكومة بغداد وفصائل المقاومة، بمثابة رسالة تذكيرية للحكومة بأن المقاومة ترفض الحوارات العسكرية التي تجريها مع الولايات المتحدة بشأن تعاون ثنائي طويل الأمد، من دون أن تشير إلى انسحاب، وفق ما هو متفق عليه منذ بداية تشكيل تلك الحكومة وتنصيب محمد شياع السوداني رئيساً لها.

وعلى رغم عدم تبنّي الهجومين اللذين استهدفا قاعدة "عين الأسد"، إلا أن القيادي في حركة "أنصار الله" الأوفياء، علي السعيدي، يؤكد أن التصعيد يشمل جميع القواعد الأميركية، وذلك لأنها مصدر دعم لإسرائيل ضد أبناء قطاع غزة، وكذلك لا تحترم سيادة العراق. ويرى السعيدي، في تصريح إلى "الأخبار"، أن "المفاوضات والحوارات الدبلوماسية هي وسيلة للتسويف والمماطلة، على رغم علمنا قبل انطلاقها بأن الولايات المتحدة لا ترغب في الخروج إلى حين انتهاء الحرب على غزة، ولدينا علم أيضاً بأنها أبلغت الجانب العراقي بذلك". ويكشف القيادي أن "هناك خططاً عسكرية جديدة في مواجهة المحتل، ومرحلة مهمة من العمليات العسكرية، سواء كان داخل البلاد أو خارجها". ويلفت إلى أن "عمليات المقاومة العراقية هي تعزيز الجبهتين اللبنانية واليمنية وعملياتهما النوعية ضد إسرائيل، وقد تكون هناك ضربات مؤثرة ضد مواقع حيوية للعدوان".

طفلان عراقيان يتبرّدان بالماء من الحر في أربيل، أمس (أ ف ب)

تقرير

إيطاليا تكسر الجمود الأوروبي

عودة «منفردة» إلى سوريا

علاء حلبي

في أول تجاوز أوروبي للحظر الأميركي، كسرت إيطاليا الجمود القائم في العلاقات مع دمشق منذ نحو 12 عاماً، بإعلانها استئناف علاقتها الدبلوماسية مع سوريا، وتعيين المبعوث الإيطالي الخاص، ستيفانو رافانيان، سفيراً لروما في دمشق. وتأتي الخطوة الإيطالية في وقت تقود فيه عدة دول داخل الاتحاد الأوروبي مساعي لإعادة صياغة العلاقات مع سوريا، بشكل يحقق مصالح الأطراف جميعها، ويحد من الهجرة غير الشرعية إلى دول الاتحاد الأوروبي. وعليه، يمكن النظر إلى قرار روما على أنه تجسيد فعلي لحالة من الانقسام في بروكسل على

تبلورت خلال الأشهر القليلة الماضية سياسة إيطالية واضحة للتعاطي مع أزمة الهجرة غير الشرعية

ملفات عديدة، في ظل انصياع ألمانيا وفرنسا ودول أخرى للقرار الأميركي، ومحاولة دول أخرى صياغة سياسة أكثر براغماتية، تضمن مساحة أكبر من حرية العمل السياسي بعيداً عن مصالح واشنطن.

وأشار وزير الخارجية الإيطالي، أنطونيو تاياني، في أول تعليق له على قرار استئناف العلاقات الدبلوماسية مع سوريا، بشكل صريح، إلى ارتباط خطوة بلاده بالحراك القائم، موضحاً أن روما قررت المضي قدماً في هذا الطريق بعد أن تمت صياغة رسالة بالتعاون مع النمسا وقبرص وجمهورية التشيك واليونان وكرواتيا وسلوفينيا وسلوفاكيا، إلى منسق السياسة الخارجية في «الاتحاد الأوروبي» جوزيب بوريل، تطلب فيها من الاتحاد أن يلعب دوراً أكثر نشاطاً في سوريا. كما يأتي القرار بعد أن أتت السياسة المتبعة، بما فيها العقوبات، نتائج عكسية، في ظل تنامي حركة الهجرة غير الشرعية من جهة، وتأثير تلك العقوبات على السوريين في الداخل من جهة أخرى، الأمر الذي يشكل أحد دوافع زيادة أعداد المهاجرين، الذين تحاول دول أوروبية عديدة، وعلى رأسها إيطاليا، الحد من أعدادهم، عبر توقيع اتفاقيات مشتركة مع دول عديدة في شمال أفريقيا، بهدف دعم هذه الأخيرة وتنشيط اقتصاداتها، بالإضافة إلى دعم قوات حماية الحدود.

وخلال الأشهر الثلاثة الماضية، صعّدت الدول الأوروبية الثماني التي قامت بصياغة الرسالة، من حراكها الدبلوماسي، بعد أن قام وزير الدولة للشؤون الخارجية التشيكية، راديك رويش، بزيارة دمشق نهاية نيسان الماضي، ليتبع الزيارة اجتماع عقده مسؤولون من النمسا والتشيك وقبرص والدنمارك واليونان وإيطاليا ومالطا وبولندا، قبيل عقد اجتماع بروكسل حول سوريا، في أيار. وشهد الاجتماع الأخير اتفاقاً

يأتي القرار بعد أن أتت السياسة الأوروبية المتبعة، بما فيها العقوبات، نتائج عكسية (أ ف ب)

على صياغة بيان مشترك يتضمن الدعوة إلى تبني خطة واضحة لإعادة تقييم الأوضاع في سوريا التي شهدت تغيرات عديدة، في وقت ما زالت فيه سياسة بروكسل تجاه هذا البلد جامدة. غير أن هذه الدعوة قوبلت برفض الاتحاد الأوروبي الذي أعلن عبر مؤسساته الرسمية تمسكه بالموقف الأميركي، لتأتي الخطوة الإيطالية الجديدة وترسّخ الشرخ القائم. ومع إعلان إيطاليا عودة علاقتها الدبلوماسية مع دمشق، تصبح أول دولة من «دول السبع» (الولايات المتحدة واليابان وبريطانيا وكندا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا) تقدم على هكذا خطوة، وسابع دولة أوروبية بعد رومانيا، وبلغاريا، واليونان، وقبرص، وجمهورية التشيك، والمجر التي تربطها بدمشق علاقات دبلوماسية فاعلة.

وإلى جانب الحراك الأوروبي المتنامي الداعي إلى إعادة تقييم العلاقات مع سوريا، والذي تنخرط فيه إيطاليا، تبلورت خلال الأشهر القليلة الماضية سياسة إيطالية واضحة للتعاطي مع أزمة الهجرة غير الشرعية، والتي تُعتبر إيطاليا أكبر المتضررين منها، في ظل استمرار تدفق اللاجئين عبر البحر المتوسط من دول شمال أفريقيا، عبر قنوات تهريب تضم لاجئين من دول عديدة بينها سوريا، ما دفعها إلى زيادة مستوى علاقاتها الدبلوماسية والأمنية مع الجزائر وتونس والمغرب، فضلاً عن تنظيم مؤتمر خاص في العاصمة الليبية طرابلس للحد من ظاهرة الهجرة غير الشرعية. ويجعل ذلك خطوتها الأخيرة طبيعية ومتوافقة مع السياسة المتبعة حالياً، خصوصاً أنه سبقتها تطورات سياسية عديدة استعادت خلالها دمشق مقعدها في «الجامعة العربية»، بعد أن وصلت جهود إسقاط الحكومة السورية إلى طريق مسدود. وهكذا، تنفتح صفحة جديدة في عمر الصراع السوري، تحاول عبرها دول عديدة الانخراط في حل الأزمة التي وصلت آثارها إلى أوروبا، ولا تزال تقابل مساعي إنهائها بعرقلة أميركية، أملاً في استمرار الأوضاع القائمة.

الكرة اللبنانية

الشارع العهداوي يضغط: لا يمكن شطب التاريخ والإرث

عبد القادر سعد

لم تمر 48 ساعة على بدء عملية إلغاء نادي العهد وتسريح العاملين فيه وفتح الباب أمام لاعبيه بالانتقال إلى أندية أخرى، حتى بدأت أصداء القرار الذي لم يُعلن عنه رسمياً بعد تتردّد بقوة في الشارع الكروي وتحديداً في بيئة نادي العهد وجمهوره.

لا يصدّق العهداويون من مسؤولين وجمهور أن الجهات الراعية للنادي من الممكن أن تتخذ قراراً بهذا الحجم بـ«شطبة قلم» وبدم بارد بحسب وصف البعض.

لا يستوعب العهداويون أن النادي الذي عاشوا معه الخيبات والانتصارات، وقسم من جمهوره كان يدفع من جيبه الخاص كي يواكب فريقه ويخلق أجواء على المدرجات تواكب الإنجازات التي يحققها الفريق على أرض الملعب، أن ينتهي بين ليلة وضحاها.

اللافت أن الاستياء من القرار لم ينحصر بجمهور العهد، بل طاول قسماً كبيراً من المعنيين باللعبة والمتابعين لها من عقلانيين ومنطقيين بعيداً عن «شغل الفايسبوك» وشماتة الجماهير الأخرى وتزريكاتها.

«ع. ب.» متابع كروي نجماوي قديم ومتعصّب لفريقه ما زال حتى الآن غير مصدّق كيف يمكن أن يتم اتخاذ قرار بحجم شطب نادي العهد. "م. أ." أيضاً نجماوي عتيق ومغترب يتحدث عن مدى فداحة الخطأ، في حال اتخاذ مثل هذا القرار متمنياً أن يتم التراجع عنه. إذا كان حال عدد من النجماويين هكذا، فكيف الحال لدى جمهور العهد؟ مرور بسيط على مواقع التواصل الاجتماعي يكشف مدى الحسرة وخيبة الأمل من القرار، ووجود عتب كبير على المرجعية التي اتخذته مع استمرار الأمل بأن يتم التراجع عنه.

الرفض للقرار لا يقف عند حدود الجمهور، فحين يكتب مدير نادي العهد محمد شرّي على صفحته على الفايسبوك: «ما تموت قبل ما يجيك الموت. تحت هيدي القاعدة لازم الكل يعمل ويشتغل. إذا انت وقاعد لحالك ممكن تحس إنو إذا حكيت حالك ممكن يتغير الوضع إحكي حالك. إفعل ما بوسعك حتى يقضي أمر الله»، فهذا يعني أن هناك شيئاً يحصل.

في مكان آخر يكتب المسؤول الإعلامي في نادي العهد الزميل يوسف يونس وأيضاً على صفحته على الفايسبوك:

«كنا ندعي الناس لدعم الفريق قبل ما يسافر ليرفع راية لبنان، صرنا ندعي الناس لتوقف مع الفريق حتى ما تختفي الراية. شو ما كانت النتائج المتوقعة، على الأقل منعمل اللي علينا. مش وقت الوداع هلق، بلكي فينا نعمل شي». كلام مرفق بصورة لجمهور العهد مع دعوة لحضور تجمّع على ملعب العهد اليوم السبت عند الساعة السادسة والنصف مساء. هما مسؤولان كبيران في النادي ومن

> **حتى عصر يوم الجمعة لم يكن قد صدر قرار رسمي بعد بحلّ النادي**

المفترض أن يلتزما بأي قرار يخرج عن النادي، لكن رغم ذلك يدعوان الجمهور للتحرّك. ليس من باب التحريض والعصيان لكن من باب الدعوة إلى دق ناقوس الخطر لمن يعنيهم الأمر بضرورة إعادة التفكير بقرار شطب نادي العهد.

كلام المسؤولين في العهد لا يختلف في سياقه عن كلام عدد من المسؤولين في اللعبة على صعيد عدم فهم كيفية اتخاذ مثل هكذا قرار.

يقول أحد المسؤولين إنه لا يمكن لأي مرجعية مهما كانت درجة الاحترام والتقدير لها أن تلغي تاريخ وإرث بدم بارد: «التاريخ ليس بالسنين بل بالإنجازات. والإرث لا يمكن شطبه بقرار واحد. نادي العهد هو أحد المرافق أو المؤسسات العديدة التي تملكها المرجعية، فهل إذا ما كان هناك خطأ ما في إحدى هذه المؤسسات يتم نسفها. فهناك مستشفيات كبيرة للمرجعية، هل إذا أخطأ مدير المستشفى يتم إغلاقها أو تتم معالجة الخطأ أو تخطيه أو البحث عن بدائل؟».

كلام المسؤول يفتح الباب حول نقاش ما إذا كان ما حدث في الشهر الماضي يبرّر اتخاذ قرار بحجم إلغاء نادي العهد.

يقول أحد المقربين من نادي العهد والمتابع لتفاصيل ما حدث: «دعنا نتحدث بالأمور كما هي بعيداً عن الموارية. إذا أخطأ رئيس النادي في مكان ما نتيجة لحسابات خاطئة أو سوء تقدير أو نصائح ساذجة من مقربين منه، هل يكون الحل بنسف النادي؟ هناك دائماً مكان للعودة، وإذا صعد أحدهم على الشجرة، فمن الممكن للمرجعية الحكيمة أن تجد من يضع له سلّماً كي ينزل، لا أن يتم قطع الشجرة وتدمير الهيكل».

القصة لا تقف عند هذه الحدود، فهناك الأهم: مشاعر الناس، مشاعر جمهور هذا النادي ومحبيه. مشاعر من ترك أندية أخرى وأصبح يشجع العهد. مشاعر جيل بأكمله بدأ مشواره الكروي كجمهور مع نادي العهد وأصبح من مشجعيه دون أن يكون قد شجّع أي فريق آخر قبل ذلك. هناك من تشكّل وعيه الكروي على نادي العهد وإنجازاته فأصبح من مشجعيه. فهل يعقل أن يتم تجاهل مشاعر كل هؤلاء ويتم طوي صفحة النادي وإنجازاته وبطولاته بهذه الطريقة؟

هل تحمل الساعات المقبلة تغييراً في القرار؟ (طلال سلمان)

◄ إعلانات رسمية ►

تبليغ

جانب من يهمه الأمر
رقم المحفوظات:
رقم الصادر: 2024/510
التاريخ: 2024/7/22
الموضوع: تبليغ مجهول محل الإقامة
المرجع: محكمة صور الشرعية الجعفرية

ورقة دعوة صادرة عن محكمة صور الشرعية الجعفرية مُوجهة إلى علي خليل سويدان (مجهول محل الإقامة) في الدعوى المقامة عليك من تغريد إبراهيم علوية بمادة إثبات طلاق رقم أساس 2024/225 والتي تعين موعد الجلسة فيها يوم الثلاثاء 2024/9/3 فيقتضي حُضورك أو إرسال من ينوب عنك إلى قلم المحكمة لاستلام التبليغ الخاص بك المتعلق بهذه الدعوى.

رئيس القلم
محمود صالح
القاضي
السيد محسن السيد أحمد شوقي
الأمين
قاضي صور الشرعي الجعفري

ضغوط تركية و«تخلٍّ» أميركي

تأجيل ثالث لانتخابات «الذاتية»

الحسكة ـ إيهم مرعي

باتت الانتخابات المحلّية، التي كان من المزمع إجراؤها الشهر المقبل في مناطق «الإدارة الذاتية» شمال شرقي سوريا، بحسب مسؤولين أكراد في هذه الأخيرة، في حُكم الملغاة تحت عنوان التأجيل إلى أجل غير مسمّى، وذلك في انتظار «توافر المناخات المناسبة». وكان رئيس «حزب الاتحاد الديموقراطي»، صالح مسلم، الذي يقود «الإدارة الذاتية»، قد أعلن، الشهر الماضي، أن إدارته «ماضية في إجراء الانتخابات المحلية في آب»، باعتبارها «خطوة ضرورية لتنظيم الشؤون المحلية للمناطق الخارجة عن سيطرة القوات النظامية منذ أعوام عدة». لكن القائد العام لـ«قسد»، مظلوم عبدي، لَمّح، في تصريحات إلى وكالة «هاوار» الكردية، إلى احتمال تأجيل الانتخابات أو إلغائها، حين أكد أن منْا إجراءها» وإن اعتبر أنه «لا يحقّ لأحد مطالبتنا بتأجيل الاستحقاق لكونه حقّاً من حقوق الشعب لاختيار ممثّليه في المجالس المحلية». واستدرك بالقول: «ولكن، علينا أيضاً التفكير في مصالح شعبنا»، معرباً عن اعتقاده بأن «الهيئة العليا للانتخابات ستأخذ هذه المصالح في الحسبان، وستتخذ القرار المناسب من أجل مصالح الشعب».

ومن جهته، قال نصر الدين إبراهيم،

> **مورست ضغوط كبيرة على «الإدارة الذاتية» من جانب الأميركيين، لعدم المضيّ قدماً في إجراء الانتخابات**

سكرتير «الحزب الديموقراطي الكردي» المشارك في تحالف «الذاتية»، إن «الأحزاب الكردية التي تنوي المشاركة في انتخابات البلديات في آب المقبل، توافقت في ما بينها على ضرورة اتّخاذ قرار بتأجيلها»، لافتاً، في تصريح إلى «الأخبار»، إلى أن «وفداً من هذه الأحزاب سيلتقي اليوم (الجمعة) أو غداً بالهيئة العليا للانتخابات، لتقديم طلب التأجيل بشكل رسمي». وكشف إبراهيم أن «التأجيل سيكون إلى أجل غير مسمّى، وسيصار إلى ربطه بتوافر الظروف والمناخ المناسب»، مشيراً إلى أن هناك «إجماعاً على أن الظروف محلياً وإقليمياً ودولياً غير مناسبة» لمثل هذا الاستحقاق.

ووفقاً لمصادر ميدانية تحدثت إلى «الأخبار»، فإن «ضغوطاً كبيرة مورست على الإدارة الذاتية من جانب الأميركيين، لعدم المضيّ قدماً في إجراء الانتخابات، والخروج بآلية مناسبة تلغيها أو ترجئها إلى أجل غير مسمّى». وأكدت المصادر أن «واشنطن رفضت تقديم أيّ ضمانات بعدم شنّ تركيا هجوماً برياً واسعاً في حال أقيمت الانتخابات بالفعل»، مضيفة أن «تزامن التهديدات التركية، مع معطيات عن إمكانية إنجاز مصالحة بين أنقرة ودمشق، جعل من قرار التأجيل ضرورة كردية ملحّة»، ولا سيما أن «هناك مصلحة لقسد والإدارة الذاتية في كسب ودّ دمشق خلال هذه المدة على الأقلّ، في ظلّ التطورات السياسية المستجدّة». وتابعت المصادر أن «قرار التأجيل يُعدّ بمنزلة ورقة حسن نية، بهدف إطلاق حوار جدّي مع الحكومة السورية في المدة المقبلة».

وكان القائد العام لـ«قسد» قد عبّر عن ثقته بالتوصّل إلى حلّ مع الحكومة السورية، كاشفاً عن «وجود تواصل مع الجانب الحكومي، لكن لا يوجد اتفاق بعد، لأن النظام السوري غير مستعدّ للحلّ الآن». ورأى أن «القضية الكردية في سوريا كبيرة جداً»، وأنه «لا يوجد لدى الحكومة، راهناً، نهج شامل للحلّ».

هنالك مصلحة لـ«قسد» في كسب ودّ دمشق خلال هذه المدة على الأقل (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 4649

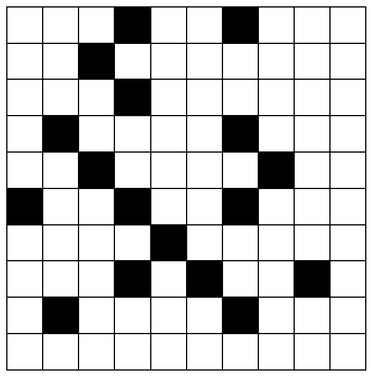

أفقيا

1- صنعة – شهر ميلادي – من الألوان – 2- مدينة كنعانية في سوريا – ابن أوى – 3- ملكة تدمر – من الحيوانات – 4- فقرة من كتاب ديني – زواج – 5- هر – ماركة سيارات – شتم ولعن – 6- ضرب بجمع كفّه – ضمير متصل – حرف جر – 7- مدينة ايطالية – رتبة عسكرية – 8- شقيق – أثرثر – 9- على أبواب سن الشيخوخة – كاد أن يحصل – 10- شعوب جرمانية غزت بريطانيا العظمى في القرن الخامس

عمودياً

1- إسم يُعرف به مدينة الدار البيضاء المغربية – 2- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة – ضمير منفصل – 3- تتكوّن عند استعمال الصابون – طرق ومعابر – 4- والد – ظهرت الحموضة في العجين – 5- إحدى الولايات المتحدة الأميركية – حرف عطف – 6- جمهورية إنفصالية تأسست قديماً في نيجيريا – طرف من الجنون – 7- أمر قطيع – ارتياب – 8- بذر الأرض – محب للخصام – 9- رقاد – أعوام – 10- ذكر النحل – من الفاكهة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- الفراهيدي – 2- يُسر – فالينا – 3- فانو – فيدول – 4- انكونا – وجف – 5- فو – نحن – 6- ربو – قام – آه – 7- أورال – ميلر – 8- تدحر – أدر – 9- نبّ – ماجينو – 10- غواتيمالا

عمودياً

1- ايفا براون – 2- لسان – بو – بغ – 3- فرنكفورت – 4- و و و – ادما – 5- اف – قلحات – 6- هافانا – رجي – 7- يلي – حمم – يم – 8- ديدون – يانا – 9- يتوّج – الدول – 10- الفوهرر

sudoku 4649

		6	4		7	1		
	4			6			9	
7	1						4	2
			2		9			
1		2				4		6
4		5		8		3		9
9				7	6		5	1
	5	1	8	2				

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4648

2	9	1	8	3	5	4	6	7
7	6	5	9	4	2	3	1	8
4	8	3	1	7	6	9	5	2
9	1	6	3	2	7	8	4	5
8	3	4	5	6	9	2	7	1
5	2	7	4	8	1	6	9	3
6	5	8	2	1	4	7	3	9
3	7	9	6	5	8	1	2	4
1	4	2	7	9	3	5	8	6

مشاهير 4649

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

نحات ورسّام فرنسي (1861-1929). نال إعجاب رودان بأعماله الرائعة

5+4+3+1+2 = بلدان ودول ■ 10+9+8+7 = طرقات ومسالك ■ 6+11 = حرف نصب

حل الشبكة الماضية: **امجد طرابلسي**

إعداد
نعوم مسعود

المصالحة ولو في الصين!

سعد الله مزرعاني *

تعدّدت خيبات «المصالحة الفلسطينية-الفلسطينية» بتعدّد محطّاتها. استهلكت الخلافات والانقسامات والوساطات و«المصالحات» حوالي عقدين من الزمن. في الأثناء، استطاع العدو الصهيوني أن يتخذ لنفسه موقعاً مؤثّراً في تغذّية الانقسام وفي اشتراط استمراره. حصل ذلك بدون ثمن لدعاة التفاوض المجرد والصافي. على العكس، أمعن العدو في مخططه التصفوي بكل الوسائل، لإضعاف طرفَي الانقسام، مستخدماً ما تيسّر له من أساليب الخداع والغدر والعدوان والإرهاب والقتل والضم وبناء المستوطنات والحصار... وهو واصل التنكر، ليس فقط للقرارات الدولية القديمة، بل حتى للاتفاقات الجديدة التي انطوت على الكثير من التفريط والتنازلات.

واكبت واشنطن هذه العملية من موقع «الوسيط» المشارك مؤقتاً، مع الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا، في رعاية المفاوضات. لكنها سرعان ما انفردت واستفردت مع العدو بالفريق الفلسطيني: تستنزف طاقاته، وتشجع صراعاته، وتثابر على محاولة تصفية قضيته... إلى أن انتُخِب دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة عام 2016، وأقدم على تنفيذ ضربته الكبرى تحت عنوان «صفقة القرن». هو انقلب كلّياً على «اتفاق أوسلو» خصوصاً في ما يتعلّق بالعناوين الأساسية المؤجّلة: القدس والحدود والانسحاب ويهودية الدولة والجولان! إلى ذلك، فقد باشر سلسلة من الضغوط الوقحة لفرض عمليات تطبيع عربية سعى لأن تكون شاملة لمصلحة العدو وتحقيقاً لأطماعه.

لم تلغ إدارة الرئيس بايدن أي قرار من قرارات ترامب المذكورة، بل لجأت إلى المراوغة تمكيناً للصهاينة من تعزيز مواقعهم. لهذا الغرض واصلت الضغوط من أجل توسيع التطبيع ليشمل أيضاً أكبر دولة عربية – إسلامية، مقايضة ذلك بمساومات وتعهدات بدعم فريق الملك سلمان وولي ولي عهده الأمير محمد المنقلب على التراتبية العائلية المعتمدة.

كان هذا هو الواقع المختلّ لغير مصلحة الطرف الفلسطيني حين فاجأت الجميع عملية «طوفان الأقصى». هي شكّلت حدثاً انعطافياً في مجمل المسار السابق. أكثر المتفاجئين كان العدوّ الصهيوني وشركاءَه من المطبّعين القدماء والجدد. كذلك كان الأمر بالنسبة إلى الإدارة الأميركية وخصوصاً الفريق الصهيوني فيها الذي تولّى ممثلوه دائماً مسؤولية ملفات الصراع العربي الإسرائيلي، عموماً، والصراع الإسرائيلي - الفلسطيني خصوصاً.

بالمقابل، تبيّن أن الانقسام، في الطرف الفلسطيني، أرسخ من أن يهزّه حدث ضخم بحجم عملية «طوفان الأقصى». كان ذلك الانقسام قد تبلور إلى دويلتين وسلطتين تتنازعان على كل شيء. وهو نزاع ابتدأ بالصراع على السلطة. ثم هو توسّع وتعمّق نحو تناقض وتباين في العلاقات والأساليب والخيارات، ما جعله يستعصي على أي محاولة مصالحة أو تقارب. بذلك افتقر كفاح وتضحيات الشعب الفلسطيني إلى العوامل التي شكّلت رافعة انتصار حركات تحرّر مشابهة: لجهة وحدة البرنامج والقيادة والخطط والتحالفات الداخلية والخارجية. ليس أدلّ على ذلك من اضطراب التعامل مع مسألة المفاوضات التي، في حالتي إجرائها أو انقطاعها، كانت تتمّ من خارج استراتيجية تحرير واضحة ومحدّدة وفي خدمتها. لفترة طويلة، كان ثمّة صراع دون مفاوضات. حصلت، في الأثناء، عدة انتفاضات كبيرة بدءاً من الأولى أواخر عام 1987. وهي أسهمت في التمهيد للمفاوضات العربية الفلسطينية - الإسرائيلية في مدريد أواخر عام 1991. تلت ذلك مرحلة مفاوضات دون صراع، أعقبها صراع ومفاوضات شارك فيها قائد «فتح» ورئيس منظمة التحرير ياسر عرفات، وأودت به وبمؤسّس حركة «حماس» الشيخ أحمد ياسين عام 2004. ثم تدحرجت الأمور بعد ذلك إلى تموضعين وموقعين منقسمين بعد الانتخابات والصراعات: غزة وحكومتها في كنف الحصار، ورام الله و«سلطتها» في كنف الاحتلال. تعذّر بعد ذلك كل تفاهم أو مصالحة. تجدر ملاحظة أن الطرف الفلسطيني لم يكن يوماً ساعياً أو مبادراً إلى الوحدة، وإن لم يرفض، أبداً وشكلياً، التفاوض بشأنها!

تحرّكت المحاولة الصينية، بالتزامن مع بلوغ الصراع العام في غزة وفلسطين والمنطقة، مفترقاً دقيقاً وحساساً ومصيرياً أكثر من أي وقت مضى. لقد تعاظم الصمود الفلسطيني بمقدار ما تعاظمت المجازر والارتكابات حتى حرب الإبادة، بالتدمير والقتل والتجويع في غزة، وبالإرهاب في الضفة المقاومة، تمهيداً لتشريد أهلها ولمحاولة ضمّها في نطاق مخطّط متكامل للتصفية التامّة للشعب الفلسطيني ولقضيته. ثم إنّ هذه الحرب قد استطالت وتعاظمت خسائرها ومخاطرُ توسعها. وهي قد أصبحت، بفعل التوازنات القائمة، عاملاً ضاغطاً على الجميع: فلسطينيين وصهاينة وإقليميين ودوليين (وخصوصاً واشنطن). ورغم ذلك ظلّت العلاقات الفلسطينية – الفلسطينية عاجزة عن اشتقاق مبادرة ذاتية لمواجهة هذا الواقع الاستثنائي والبالغ الخطورة. بل إنه في الفترة الأخيرة، وبسبب ضغوط عربية وخداع واشنطن ومحاولتها إخراج نتنياهو من مأزقه، تقدّمت عوامل التباعد وانعدام الثقة على ما سواها، حتى حصلت وتبلورت المبادرة الصينية. أهمية هذه المبادرة في اندراجها في سياق تجارب ناجحة لبكين آخرها المصالحة السعودية الإيرانية واستئناف العلاقات بين البلدين اللّدودين في 10 آذار 2023. أمّا الجانب الآخر، فيتمثّل في عجز واشنطن عن وضع حدّ للصراع بسبب موقفها المنحاز إلى إسرائيل، وبسبب سقوط وساطتها، وسط شجب وتنديد دوليين غير مسبوقَين بالموقفين الإسرائيلي والأميركي، ما تطلّب، موضوعياً، تدخّلاً دولياً من نوع آخر، أكثر حيادية وأكثر جدّية.

إن من شأن المبادرة الصينية وحدها، بما أفضت إليه من تفاهم أولي متوازن (هو حاجة لكل من «فتح» و«حماس» خصوصاً)، أن تفتح أفقاً لحل يتناسب مع التحولات الإيجابية الأخيرة لـ«الشرعية الدولية»، ومع عدالة حقوق وقضية الشعب الفلسطيني. وهي قد تشكل إذا التزمت بها فعلاً الأطراف الفلسطينية الأساسية، تمهيداً وتأهيلاً لا مفر منهما كي يأخذ الطرف الفلسطيني دوره وموقعه وموقفه الوحّد الصحيح في مسار التسويات المؤقتة أو الدائمة. أما بالنسبة إلى الوضع الدولي، فمثل هذا التوجه سيشكل لبنة جديدة في مسار تراجع التفرد الأميركي لحساب بلورة تعدد قطبي تدق أبوابه الصين، بقوة وثبات، وتثابر موسكو على محاولة تكريسه بالتحدي والمجابهة والاستباق.

إن أخطاراً عظيمة تواجه الشعب الفلسطيني وقضيته وحقوقه الآن. لكن بطولات مقاتليه وصمود مدنيّيه وتصميم داعميه قد أتاحت فرصاً ثمينة لتحقيق إنجازات كبيرة لمصلحة استعادة جزء من أرضه وحقوقه في مسار كفاحه المديد من أجل تقرير المصير والحرية والاستقلال. ليس لأي طرف فلسطيني أن يتردّد في الوقوف في الجانب الصحيح من الصراع. لا يمكن التسامح مع أولئك الذين يفوّتون هذه الفرصة لتوحيد الصفوف الفلسطينية في مواجهة الإجرام الصهيوني الذي بات يشكل، أيضاً، تحدياً واستفزازاً لا سابق لهما، لقيم العدل والسلام والمساواة والحرية والحقوق الإنسانية على امتداد العالم.

* كاتب وسياسي لبناني

انسحاب جو بايدن وصعود كامالا هاريس

أسعد أبو خليك *

إنّ عزوف جو بايدن عن خوض معركة ترشيح الحزب الديموقراطي سجّل سابقة في تاريخ الانتخابات الرئاسية الأميركية. صحيح أن الرئيس الأميركي لندن جونسون عزف عن الترشّح لولاية ثانيه في عام 68، إلا أنه فعل ذلك بسبب تنامي المعارضة الشعبيّة لحرب فييتنام والتي ارتبط اسمه بتصعيدها. الوضع الصحّي العقلي المتدهور لبايدن حالة لم يلحظها الدستور الأميركي.

كيف تعزل رئيساً أميركياً وتقرّر مصير الحكم في البلاد بناءً على ظهور عوارض ضعف جسدي وعقلي عند الرئيس؟ يسمح واحدٌ من تعديلات الدستور (التعديل 25 الذي صدر في عام 1965 بعد الكثير من النقاش والمداولات الرسميّة والشعبيّة) للحكومة الأميركية باتخاذ قرار عزل الرئيس بالاتفاق بين نائب الرئيس وأعضاء في الحكومة. إلا أن ذلك مستحيل لأن الرئيس لا يعيّنُ إلا موالين له، ينصاعون لأوامره ولا يجرؤون على التلفّظ بنقد له. وإمكانيّة قيام هاريس مع أعضاء في الحكومة بتحكيم التعديل 25 كان يمكن أنْ يقضي على حظوظ هاريس في خلافة بايدن: البعض في الحزب كانوا سيتهمونها بالتسرّع في خلافة رئيسها. وعوارض الوهن العقلي بدأت على بايدن في السنوات الماضية وحتى عندما كان يخوض معركة الترشيح الأخيرة في عام 2020، إلا أنّ الإعلام الليبرالي (والذي كان يناصرُ بايدن بقوة ومن دون أي محاولة للظهور بمظهر المحايد) أراد أن يتستّر عليه ويخفي نواقصه ومظاهر ضعفه. كان بايدن يتعثّر بالحديث ويختلط الأمر عليه وتتشوّش في ذهنه الأسماء والأماكن والمناسبات. إلا أن الإعلام أصرّ على أن ليس ذلك إلا نتيجة التأتأة التي عانى منها طفلاً، وهذا غير صحيح لأن بايدن عانى من التأتأة صغيراً وشُفي منها (كما أنني أنا عانيتُ منها صغيراً وشُفيتُ منها). المؤسسة الحاكمة (وتضمّ الإعلام السائد، بالإضافة إلى المؤسسات العسكرية والاستخبارية) أرادت أن تتخلّص، وبأي طريقة من الطرق، من دونالد ترامب. ترامب شكّلَ خطراً حتمياً على مؤسّسات الحكم والمفاهيم التقليديّة للأمن القومي. التخلّص من ترامب تطلّب أن تعمد وسائل إعلام إلى تصوير بايدن على أنه فريد عصره في القيادة والكاريزما والقدرات الذهنيّة. وبايدن خاض معركة الترشيح الرئاسي للمرة الأولى في عام 1987 ولم يتقدّم فيها البتّة. لا بل إن المعركة توقّفت بسبب افتضاح أمره في سرقة خطاب من زعيم عمالي بريطاني (نيل كينوك)، بالإضافة إلى كشف المستور عن سنواته في الجامعة والتي بالغ في تصوير نجاحاته فيها إنّما مبالغة، كما أنه غشّ في الجامعة.

إنّ عزوف بايدن لم يأتِ من عنده، لذلك فإنّ كلّ التعليقات الغربية، وحتى اللبنانية السمجة، حول شجاعة هذا الرئيس أو حول أنه اختار مصلحة الوطن فوق مصلحته الشخصيّة ليس إلا كلاماً باطلاً لأن بايدن أراد الاستمرار في الحكم والاستمرار في الترشيح مهما كان. الذي فرض عليه العزوف هم القادة الحقيقيّون للمنظومة السياسية الأميركية، ألا وهم أصحاب الملياترات، أي المتموّلون الحزبيّون، وهذا يسري في الحزبَين. المموّلون الكبار في الحزب الديموقراطي هم الذين قرّروا أن استثمارهم في بايدن لن يؤتي ثماره وأن الهزيمة ستلحق بالحزب الديموقراطي لو هو استمرّ في الترشيح. وهؤلاء المتموّلون يسيطرون على الحزب وعلى قادة هذا الحزب، وهم وثيقو الصلة باللوبي الإسرائيلي لأن الكثير منهم صهاينة يهود. ولم تصدر كلمات وتصريحات عن أعضاء في الكونغرس بمطالبة بايدن بالعزوف إلا بعدما بات واضحاً أن المتموّلين لن يستثمروا في ترشيح بايدن. عندها فقط، وبعد إشارات من فريق باراك أوباما الذي يبقى أقوى شخص في الحزب الديموقراطي، علمَ بايدن أن استمراره في الترشيح هو مغامرة مستحيلة، واضطرّ رغم أنفه إلى إعلان العزوف عبر منصة «إكس» ولم يواجه الشعب الأميركي لأن القرار لم يأتِ عن اقتناع منه. ومن المعلوم أن التردّي الذهني والجسدي للمتقدّمين في السنّ لا يكون معلوماً منهم، وهذا قد يكون من حظوظ مرضى الخرف والألزهايمر.

بايدن لم يقتنع بأنه كان هناك أيّ مشكلة مصيريّة وصحيّة في المناظرة، لا بل إن الكثير من الديموقراطيين تعاملوا مع المناظرة على أنها مشكلة في الأداء فقط وليست مشكلة أعمق تتعلق بصحة الرئيس وقدراته الذهنية. بايدن أقرّ فقط بأنه لم يكن مُجيداً في دوره في المناظرة.

وبعدما أعلن بايدن عزوفه، كان من المفترض أن يعقد الحزب الديموقراطي مؤتمره الترشيحي وأن يفتح المجال أمام ما يسمّى بـ«المؤتمر المفتوح»، أي أن يقوم مندوبو الحزب من كل الولايات بإعلان ترشيحات وأن يختار المندوبون مَن يفضّلون من بينها. لكن ساعات فقط فصلت بين توقع إعلان «المؤتمر المفتوح» وقرارات الغرف المغلقة باختيار كامالا هاريس مرشحةً رسميةً للحزب الديموقراطي من دون انتخابات ومن دون منافسة ومن دون «مؤتمر مفتوح»، ومن دون فتح المجال أمام آخرين وآخريات لإعلان ترشيحاتهم.

هذه هي حقيقة الديموقراطيات الغربية، وبالأخص الديموقراطية الأميركية التي تعتمد على نظام سياسي عتيق وعقيم ونخبوي، تماماً كما فصّله الآباء المؤسّسون. ليست المنافسة الحرّة والتصارع المحض بين الأفكار إلا إعلاناً دعائياً للنظام السياسي الأميركي. في الحقيقة، إن هناك ما يسمى هنا بـ«مجموعات قوة»، أو نفوذ، تعتمد على المال والتمويل وتسيطر على مقدّرات الحزبَين. والحزبان الحاكمان ليسا إلّا جناحَين للطبقة الرأسمالية الحاكمة في البلاد. هما يختلفان على تفاصيل السياسات الاقتصادية ويتفقان على شؤون الإمبراطورية وعلى نظام القهر الطبقي.

ليست كامالا هاريس المرشحة الجديدة مجهولة التاريخ واللهوية السياسية. فهي سبق لها أن شغلت منصب وزيرة العدل في ولاية كاليفورنيا وعضوة في مجلس الشيوخ عن الولاية نفسها قبل أن يختارها بايدن نائبة للرئيس. وصعود كامالا هاريس لم يعتمد أساساً على الكفاءة والموهبة والجهد الجهيد. هي اعتمدت مبكراً على حظوة العلاقات والشبكات الشخصيّة، وعلى ما نسمّيه في لبنان بـ«الواسطة». الواسطة هي التي فتحت لها الأبواب الموصدة. وعلاقتها الوثيقة بالديموقراطي التاريخي، ولي براون (الذي كان رئيس المجلس الأشتراعي في ولاية كاليفورنيا لسنوات)، سهّل لها الظهور في الحياة السياسية في الولاية. وعندما خاضت السيناتور الحزب الديموقراطي للرئاسة في عام 2020 بدت أقل المرشحين كفاءة وقدرةً واختصاصاً وإعداداً. في التقييم السياسي هي بالفعل كسولة: لا تحضّر للمناسبات ولا الخطب ولا تلمّ بالملفات. وفي مجلس الشيوخ، كان أداؤها يعتمد حصرياً على ما يكتبه لها العاملون والعاملات في مكتبها.

وفي مناقشات اللجان المتخصّصة التي كانت عضوة فيها كانت نادراً ما تطرح سؤالاً من عندها أو تتفوّه بكلمة لا تكون مكتوبة لها سلفاً. هي من أقلّ الذين ظهروا في الحياة السياسية كفاءة. هي أقل كفاءة بكثير من رونالد ريغان أو جورج دبليو بوش وحتى من نائب رئيس جورج بوش الأب، دان كويل. الحزب الديموقراطي لم يجدْ مناصاً غير اختيار هاريس نائبة للرئيس مرشحةً لأنها امرأة ولأنها ملوّنة. كان يصعب على الحزب التخلّي عنها لأن ذلك كان يمكن أن يعتبر مهيناً للهنود الأسيويين أو للسود، مع أن هاريس ليس لديها علاقة حميمة مع السود الأميركيين، وذلك بسبب سياستها عندما عملت وزيرة العدل في ولاية كاليفورنيا وكانت معروفة بالتشدد في العقوبات والتي غالباً ما تصيب السود والأقليات أكثر مما تصيب البيض.

لن تكون كامالا هاريس مرشحة قوية أبداً، بل هي ستكون هدفاً سهلاً لدونالد ترامب الذي سيسخر من ماضيها ومن ترقّيها السريع في سلّم الحزب الديموقراطي في ولاية كاليفورنيا. وهي على منبر المناظرة ستكون على سوء يذكّر بمناظراتها عندما ترشحت للرئاسة. صحيح أن المموّلين الكبار يضخّون في ترسانتها ملايين الدولارات، وبأرقام قياسية، لكن هذا لا يكفي ليقف بقاء للأبد. الحزب الجمهوري سيتفوّق عليها في التمويل بل لأن المال وحده لا يكفي كعنصر في الانتخابات الأميركية كما أظهرت عالمة السياسة، جنفير ستين، في دراستها عن دور المال في الانتخابات. جوزيف بايدن سيختفي من الساحة ولن يكون له أي تأثير، كما أن مواقفه لن تؤخذ في الحسبان لأن انسحابه بصورة غير مباشرة جاء تأكيداً لتشخيص حالته الصحية العقلية المتدهورة. سيكون له حسابات ليُصفّيها - لو استطاع إلى ذلك سبيلاً - لكن وقته محدود. باراك أوباما أدّى دوراً أساسيّاً في دفع بايدن إلى الانسحاب، ومقالة جورج كلوني في «نيويورك تايمز» كانت مُنسّقة على أقل تقدير مع ماكينة باراك أوباما الخطيرة.

لن تكون كامالا هاريس مرشحة قويةً أبداً، بل هي ستكون هدفاً سهلاً لدونالد ترامب الذي سيسخر من ماضيها ومن ترقّيها السريع في سلّم الحزب الديموقراطي

**أين ستقف كامالا هاريس بالنسبة إلى قضايانا؟ هذا من المبكر الحكم فيه، لكنها بسبب انتهازيّتها ووصوليّتها السياسية حافظت على علاقة وثيقة مع اللوبي الإسرائيلي وهي خطبت منبره أكثر من مرّة وبكلام متطرّف. لكنها حاولت في السنتَين الماضيتَين، ولأنها تقرأ الاتجاهات الجديدة في الحزب الديموقراطي أن تعبّر عن طموحات الجيل الديموقراطي الشبابي عبر تخفيف لهجة مناصرة إسرائيل. ولأنها تفتقر إلى الكفاءة والخبرة والعلم والمعرفة، فإنها ستكون مثل الولاية الأولى لجورج دبليو بوش: كثيرة الاعتماد على فريقها المركزي في الحكم. لا علمَ لنا الآن بالشخصيات التي ستشكّل حكومتها بالنسبة إلى السياسة الخارجية، لكن مستشارها لشؤون الأمن القومي، فيليب غوردن، كتب كتاباً قبل سنتَين نَدّد فيه بسياسات الحكومة الأميركية في الشرق الأوسط وفي تغيير الأنظمة. وكتاب فيليب غوردن «خسارة اللعبة الطويلة: الوعد الباطل لتغيير الأنظمة في الشرق الأوسط» يخلص إلى أن كل محاولات التغيير التي تشنها أميركا في بلادنا تنتهي بنتائج غير متوقعة وبأثمان تفوق الأرباح وبفشل ذريع. إذا كان غوردن سيشغل منصب مستشار الأمن القومي في البيت الأبيض لكامالا هاريس، فإن ذلك سيزيد من حثّها نحو الانكفاء. والانكفاء هو منحى الجيل الجديد من الديموقراطيّين. إن عدم خبرتها سيحدّ من الضغوط التي تتعرّض لها من أجل التدخل العسكري أو نشر القوات. لكن من السابق لأوانه الحديث عن الرئيسة كامالا هاريس لأن ذلك من المستحيلات. قد يكون أداؤها من السوء بمكان إلى درجة أن البعض في الحزب سيدعو إلى تنحّيها واستبدالها بآخر أو بآخرى. هذه سنة ودونالد ترامب سيعود، على الأرجح، إلى الساحة أقوى مما كان.

* كاتب عربي - حسابه على «اكس» @asadabukhalil

(أ ف ب)

الكونغرس الأميركي ونتنياهو

منير شفيق *

بمجرد توجيه الكونغرس الأميركي دعوة إلى نتنياهو لإلقاء خطاب في الكونغرس، شكّل معنى وحيداً، هو دعم نتنياهو ومحاولة تبييض صفحته التي ساءت كثيراً، إلى حد وصمه بمجرم إبادة ومجرم حرب.

ولكن متابعة أعضاء الكونغرس الذين حضروا الجلسة، مع غياب أكثر من 130 عضواً، جيء بآخرين ليملأوا مقاعدهم، يدهشون أيّما إدهاش من الخفة والتهافت المصطنعين، وهم يقفون مصفّقين إثر كل فقرة من فقراته (أكثر من 50 مرة)، بل حدث لفقرة أن هبّوا وقوفاً مصفّقين قبل أن يسمعوها، ما يدّل على أن حركة الوقوف والتصفيق متفق عليها ومعدّ لها مسبقاً. وذلك بإخراج استعراضي قصد منه أن الكونغرس في حالة تمامٍ مع سياسات نتنياهو، وبما اتّسم فيها من تهم مجرم حرب ومجرم إبادة، ومنتهك وقح للقانون الإنساني والقوانين الدولية، والقيَم الإنسانية، ما يؤكد أن موقف هؤلاء هو موقف نتنياهو من الإبادة والقتل الجماعيَّين للمدنيين.

إن هذا المسلك الأرعن من الكونغرس الأميركي في التعامل مع الخطاب، وضع غالبية أعضائه من جمهوريين وديمقراطيين، الذين شاركوا في الاستماع للخطاب، بالمنزلة نفسها التي هبط إليها نتنياهو، بما فيها جرائم القتل الجماعي للمدنيين الآمنين، وأغلبهم من الأطفال والنساء والمسنّين، والناس العاديين في بيوتهم التي هُدمت على رؤوسهم، أو قتلهم وهم في الطريق يفرّون من القصف الذي راح يلاحقهم.

ثمّة شبه إجماع عالمي على أنّ القصف والقتل الجماعي، كانا موجّهَيْن ضدّ آمنين مدنيين، وليسا ضدّ مقاومين مقاتلين من قوّات «عز الدين القسام» أو «سرايا القدس»، أو من مقاتلي الفصائل الأخرى المشاركة وفي مقدّمها قوات «أبو علي مصطفى» (الجبهة الشعبية). وهؤلاء متخفّون، إمّا تحت الأنفاق، أو في أماكن جيّدة لعدم الانكشاف. وإذا ارتقى من هؤلاء شهداء، فيحدث ذلك في أثناء الاشتباك الصغري، حيث المبادرة بأيديهم، فيما أغلب القتلى والجرحى من نصيب جنود الجيش الصهيوني وضباطه، كما الخسائر في الدبابات والآليات، أو في البيوت والأنفاق التي تحوّلت إلى أفخاخ الموت، بالنسبة إلى الجيش الصهيوني.

ولكن، بالرغم من هذه الحقائق، والتي يعرفها أعضاء الكونغرس، ولو من خلال التقارير السرّية التي تصلهم، فضلاً عن الإعلام الذي ينقل عن الناطق باسم الجيش الصهيوني، مع ذلك، ذهب نتنياهو في كلمته إلى الكذب، فالكذب فالكذب، كما لو أنه كان يتكلّم عن حرب غير حرب الإبادة، أو الحرب البرّية في قطاع غزة.

بالتأكيد لم يخطئ نتنياهو في ذكر أي موضوع في خطابه، له نصيب من الواقع والموضوعية، وهو ما لم يحدث أن يُروى عن حرب شاهدها العالم بتفاصيلها، ومع ذلك لم تخرج من فم نتنياهو كلمة واحدة غير كاذبة، وعلى مشهد من العالم كله. ولهذا، عندما يندفع أعضاء الكونغرس الأميركي ليقفوا ويصفّقوا مصدّقين وموافقين، يكونون قد جعلوا من أنفسهم أضحوكة يستحقّون معها درجة من الازدراء والاحتقار. وهم تحت القبة التي خطب فيها الآباء المؤسسون، وقد أشيع فيها الكثير، ولو مبالغة، عن جديتها واحترام النفس فيها. أمّا أن تصبح تلك القبة مكاناً للكذب المطلق الصراح، بالنسبة إلى نتنياهو، ومكاناً لشهادة الزور في تصديق الكذب، والترويج له من قبل أعضاء الكونغرس، فوصمة عار أخرى للديمقراطية الأميركية في عقر دارها.

إذا أراد الكونغرس الأميركي أن يدعم نتنياهو، فما الذي اضطره إلى أن يتصرف بكل هذا التهافت، وتلك الخفة والسقوط المعنوي والأخلاقي، فلو عدنا إلى المرات التي وقف فيها الكونغرس مصفّقاً لنتنياهو، لوجدناها أكثر من إدانة للكونغرس بدعم الإبادة، ما يفرض على أن ينال الكونغرس كل ما يناله نتنياهو من إدانة بالقتل الجماعي والإبادة.

صحيح أن بايدن يُعتبر شريكاً لنتنياهو طوال تسعة أشهر من الحرب على قطاع غزة، سواء أكان بإمداده غير المحدود بالسلاح، أم بالتغطية السياسية، وأحياناً التهرب من أجل إنقاذ ماء الوجه، أو التخفيف من الفضيحة، إلّا أن الكونغرس بدّد كل وهم بوجود بعض التوازن، ولو بالانحياز شبه المطلق إلى نتنياهو، أو الاختباء وراء الوعد الكاذب، بحلّ الدولتين التصفوي.

هذا الفارق، بغضّ النظر عن حجمه بين موقف الإدارة وموقف غالبية أعضاء الكونغرس الأميركي، يفسّر كون الآخرين الأذرع استلاباً وانقياداً، وراء داعمهم الانتخابي الأول.

تبقى نقطة أخيرة يجب أن تقال لأميركا الرسمية: هنيئاً لك ولأوروبا، ما أكّده نتنياهو بأنه يمثل الحضارة الغربية، وهو المُدان طولاً وعرضاً، كمجرم حرب ومجرم إبادة إنسانية. وقد شهد له الكونغرس وقوفاً وتصفيقاً وتأييداً.

* كاتب وسياسي فلسطيني

آلموت: عن تراثنا الباطني

عامر محسن *

«لا شيء حقيقي. كلّ شيء مباح» - عن لسان الصبّاح في «الموت»

تمكّنت أخيراً من قراءة رواية «الموت» لفلاديمير بارتول، وقد كنت أسعى للحصول عليها من زمن لأنني أعرف أن أكثر خرافات المخيلة الشعبية في الغرب (وبالتالي عندنا) عن الإسماعيلية النزارية و«فرقة الحشاشين» مصدرها هذه الرواية بالتحديد. المشكلة هي أنّ الرواية تمرّ، منذ صدورها في أواخر ثلاثينيات القرن العشرين، في «أطوار»: يصعد الاهتمام بها وبأبطالها بسبب أحداث أو ظروف سياسية معيّنة، فتصدر كتابات عنها ومراجعات وطبعات جديدة، ثمّ «تُنسى» لسنوات حتّى تكاد نسخها وترجماتها تُفقد. والمرّة الأولى التي حاولت فيها الحصول على الرواية، قبل عشرين سنة في مكتبة جامعية كبيرة، تبيّن أن لديها منها نسخة واحدة قديمة، وعليّ الانتظار أياماً لكي ترسلها من مخزنٍ خارجي،

> لا يمكن أن تبني سردية متّصلة ومتكاملة ومفهومة عن التاريخ الإسلامي من غير أن تفهم مكان الدعوة الإسماعيلية فيه. هناك مفارقة في كمّ الآثار الفاطمية التي لا تزال حولنا، من مدينة القاهرة نفسها إلى مؤسساتٍ عُمّرت إلى اليوم كالأزهر والزيتونة، فيما الذاكرة التاريخية عن الفاطميين ضعيفة وملتبسة

وحين وصلت أخيراً اكتشفت أنها باللغة السلوفينية.

لحسن الحظّ، نحن نمرّ منذ سنوات في طور اهتمام متجدّد باسطورة «الحشاشين»، وقد صدرت ترجماتٌ جديدة للرواية بالعربية وغيرها. ومسلسل مؤلّفه الإمارات آثار نقاشاً واهتماماً (بل إن هناك لعبة فيديو شهيرة، أصبحت سلسلة ناجحة، استوحت موضوعها من «الحشاشين» و«شيخ الجبل»). المهمّ هو أنّه أصبح من السهل الحصول على نسخة مقرصنة من «الموت» بأيّ لغة، وتكتشف بسرعة وأنت تقرأها كم أنّ أمين معلوف قد استوحى منها في روايته «سمرقند»، وتحديداً في الجزء الأوّل «المثير- منها، وأنّ إضافته فعلياً تتمثّل في القسم الثاني، البليد والوعظي. هذا مصداق جديد على مقولة، أعتقد أنها لألبرت حوراني، عن أنّ «اللبناني هو غالباً ليس سوى مقلّد، وليس حتّى مقلّداً جيّداً، لأنّ التقليد المتقن يحتاج إلى بعض الأصالة».

لا أريد أن أفهم خطأ: أنا لا أحقد على أمين معلوف، على العكس تماماً، المشكلة هي أنّي كنت أحبّه. وقد قرأت رواياته الأولى كلّها، حين كنت غرّاً وساذجاً، بإعجاب ونهم، وهي كانت مدخلي للرواية التاريخية. ولكن، حين لا تعود غرّاً وساذجاً، تفهم مقدار السياسة والذاتية و«الكلام إلى مَن هم أعلى» في مسيرة معلوف، حتّى في أعماله الأدبيّة، بل وتحديداً فيها. علينا أن نتذكّر هنا أن معلوف كان صحافياً، وعمل في «جون أفريك» (أي إنّه مؤدلج، ويعرف تماماً ما يفعله)، ومع ذلك فإنّ مساره مفهوم: مَن مِن مثقّفي الجنوب لا يحلم باعتراف من الغرب على هذا المستوى؟ وإن يتمّ تعيينه في دور الشرقيّ الجيّد هناك، وتصبح مرافقاً للرئيس في رحلاته الخارجية، وتذهب إلى جزيرة جميلة، حين تريد الكتابة، من أجل المزاج؟ ثمّ، بعد هذا كلّه، تبتسم بفخرٍ ورضى في زيّك التنكّريّ المضحك وأنت تصبح عضواً في الأكاديمية الفرنسية؟ هذه، بالمقاييس اللبنانية، قصّة النجاح القصوى (أعود دوماً إلى موضوع لباس معلوف في الحفل، مع أنّه ظاهراً تفصيلٌ صغير، وذلك لسبب هو أنني اكتشفت أنّه كان في وسعك أن تذهب إلى الأكاديمية في ثيابك العاديّة، كالناس الطبيعيين، وسيجري انتسابك والاحتفاء بك بالطريقة ذاتها. ولكنّ لديك أيضاً خياراً -وهو ما فعله معلوف- بأن تحوّل الأمر إلى حفلة تنكّرية، وستدفع هنا من جيبك عشرات الآف اليوروهات حتى تظهر باللباس التاريخي والسيف وعلبة السعوط - وهذه الأمور عندي تقول الكثير عن شخصية المرء). نعود للقول بأنّ مسار معلوف وخياراته هي «عقلانية»، بل و«نموذجية»، باعتبار خلفيته وسياقه ومؤسّسته، وهذا تحديداً هو ما يصنع بيني وبينه مسافة جذرية.

كنت أنوي، لو توفّرت لي أيّام إضافية في شمال إيران، أن أزور بقايا قلعة الموت، وهي على مسافة ساعات قليلة من طهران عبر مدينة قزوين. ولكن لَم يتبقَّ شيءٌ تقريباً من الحصن، والناس يزورون أساساً لاستكشاف الموقع الجغرافي الجميل والفريد في جبال «البرز»: القمّة المشرفة المهيبة وتحتها يمتدّ وادٍ صغير منبسط، تحفّه الجبال من كلّ جوانبه وفي وسطه قرية وحيدة. رواية بارتول، بالمناسبة، أفضل من «سمرقند» على أكثر من مستوى: السّرد، تعدّد الشخصيات وغناها، القصّة داخل القصّة... على الأقلّ هناك إلى اليوم اختلافات ومذاهب في تحليل مقصد بارتول من روايته: التفسير الغالب هو أنها كانت تحذيراً من الفاشية الصاعدة في أوروبا وسحر الأيديولوجيا ومشعوذيها، البعض الآخر - على العكس تماماً - يقرأها كرسالة للشعوب الخاضعة (كالسلوفينيين أيّاميها) عن كيفية التنظيم ومقاومة المحتلّ، وهناك أيضاً مَن يقول إن بارتول كان يكتب، ببساطة، عملاً أدبياً خيالياً ورواية مثيرة عن البشر وحالاتهم. هذا النوع من النقاش لا يمكن أن يدور حول «سمرقند».

التاريخ المفقود

المسألة الأساس هنا ليست أدبية ولا تتعلّق بالروايات، بل هي اهتمامٌ قديمٌ لديّ، ونظريّة لي تقول إن التراث الإسماعيلي الفاطمي هو بمثابة «ثقب أسود» في التاريخ الإسلامي، وذلك بمعنيين: أوّلاً، بمعنى أن معرفتنا به قليلة وناقصة، وهو تاريخ قد «طُمس» مع نصوصه وأدبياته إلى حدّ بعيد، وثانياً، بمعنى أنّك لا يمكن أن تبني سردية متّصلة ومتكاملة ومفهومة عن التاريخ الإسلامي من غير أن تفهم مكان الدعوة الإسماعيلية فيه. هناك مفارقة في كمّ الآثار الفاطمية التي لا تزال حولنا، من مدينة القاهرة نفسها إلى مؤسساتٍ عُمّرت إلى اليوم كالأزهر والزيتونة، فيما الذاكرة التاريخية عن الفاطميين ضعيفة وملتبسة. بل ينسى كثيرون اليوم أنّه، لفترة طويلة في التاريخ الإسلامي، كان تعبير «شيعي» يحيل غالباً إلى الإسماعيلي أو الزيدي، وليس إلى الإمامي، إذ كانوا هم الأكثرية والبارزين وذوي السلالات الحاكمة. هذا الجهل له أسباب: الإسماعيليون لم يكونوا يكشفون عن عقائدهم الحقيقية في الكتابات التي تُنشر للعموم، وقد قام أعداؤهم، في الوقت نفسه، بمنع وإتلاف الكثير من آثارهم. وقد مرّ المذهب نفسه بعدّة أطوار وانقسامات، حتى إن المدارس الإسماعيلية السائدة اليوم ليست نفسها الإسماعيلية الفاطمية «القديمة» التي كانت أيّام المعزّ والحاكم والمستنصر. الكثير من أعمال الإسماعيليين الأوائل قد فُقدت، ونحن لا نعرفها إلا عبر كتابات خصومها. تخيّل أن تتعرّف إلى فيلسوفٍ أو فقيهٍ حصراً عبر النصوص التي تهاجمه، إذ لم يصلك منه نصٌّ واحد في صيغته الأصلية، ومعروفٌ كم كان النقاش بين الفرق أيّامها حادّاً وشرساً، والجميع يحاول تشويه الخصم بأي طريقة والتشنيع عليه. حتّى في الأكاديميا، لم نبدأ بدراسة الإسماعيلية جدياً حتى أوائل القرن الماضي، حين فُتحت مكتباتٌ عائلية ودينيّة للإسماعيليين في الهند وسوريا وغيرهما (نزارية ودرزية ومستعلية) وتمكّن الباحثون، للمرّة الأولى، من الكتابة عن الإسماعيليين عبر أدبياتهم هم. وفي العقود الماضية، أغدق متموّلو الطائفة وأثرياؤها على دعم الدراسات الإسماعيلية في الجامعات الغربية، وبخاصة في بريطانيا، فأصبحت تصدر أخيراً كتبٌ جديدة، بانتظام، عن الإمبراطورية الفاطمية والمذهب والجماعات الإسماعيلية - وإن كان النقص لا يزال كبيراً (لو أنّي أريد أن أدرس السّب عند الإسماعيليين يمكن أن يكون بلا تردّد موضوعاً له علاقة بالإسماعيلية، اذ لن ينقصك التمويل).

على الهامش: تعلّمنا الكثير عن الإسماعيلية القديمة وتحليل نصوصها بالاعتماد على المذاهب الحالية. موضوع السّب مثال، إذ تجد في الكتابات الإسماعيلية أن «فلان ابن فلان»، فيما الأوّل عربي والثاني أعجمي، ويستحيل أن يكون والده، وهو ما كان يحيّر المؤرّخين. إلى أن فهمنا في القرن الأخير، عبر الدروز، أن السّب عند الإسماعيليين يمكن أن يكون مادياً أو روحياً، بمعنى أنّ من يدرس على يديك ويتلقّى علمك هو أيضاً ابنك، ويمكن أن ينتسب إليك ويرث اسمك وموقعك (وتجد صدىً لذلك في «رسائل إخوان الصفا»، حيث توصي الرسائل الأستاذ بأن ينفق على تلميذه من دون أن يعتبر ذلك صدقة أو يحمّله منّة، تماماً كحال الأب مع ابنه).

فلنعد إلى «نقطة بداية»، القرنين الهجريّين الثالث والرابع. هي مرحلة تكوّن الإسماعيلية وأكثر الفرق في الإسلام، وكان قسمٌ كبيرٌ من هذا المخاض الفكري والسياسي يدور تحديداً في بغداد. خلق الوضع «الإمبراطوري» الجديد جملةً من الإشكاليات والتناقضات في المجتمع العبّاسي: أصبحت بغداد عاصمة «عالمية»، تتركّز فيها الثروات وبجوارها جموع الفقراء، اختلط العرب والموالي بعضهم ببعض، وظهرت أسئلة جديدة بين الناس والنخب عن شرعية الحكم والحاكم ومصدر القانون ومفهوم العدل... كما يقول برنارد لويس في كتاب قديم له من الستينيات عن «الحشاشين»، فإنّ الدعوة الإسماعيلية قد تمكنت من تقديم ما يشبه «إجابة متكاملة»، روحيّة وسياسيّة واجتماعيّة، تجاه هذه القضايا (والإسماعيلية ذاتها قد نشأت عن التحام أكثر من تيّار وجماعة، وإن كان يبدو أن «الخطّابية» كان لها الأثر الأكبر في تكوينها الفلسفي، ممتزجةً بجذرية أتباع إسماعيل. يزعم بعض الباحثين أنّ كلّ المفاهيم الباطنية تقريباً - الحلول، المعنى الباطن للشرع... - تجد جذورها في الخطّابية المبكرة؛ وهي نسبةً إلى أبي الخطّاب، الذي كان أحد تلامذة الإمام جعفر الصادق قبل أن ينفصل عنه ويؤسّس جماعته الخاصّة).

في الوقت نفسه، كانت الدعوة مشروعاً سياسياً يخطّط على المدى البعيد، وهدفه النهائي استبدال خلافة بغداد بدولة الإمام العادل، وله استراتيجية وتنظيم تراتبي معقّد من الدعاة المحترفين لنشر المذهب في النواحي والأقاليم. هذا المزيج بين العقيدة والتنظيم كان، بمعنى ما، متفوّقاً على كلّ ما حوله، كانت استدخلت نظاماً حديثاً على منافسةٍ من عصر سابق. وهو سرّ النجاح السريع للإسماعيلية في القرنين التاسع والعاشر، حيث تحوّلت دعوة عقائدية بحت (لا عصبية مقاتلة ترفدها أو كيان سياسي)، خلال أقلّ من قرن، إلى إمبراطورية تحكم شمال أفريقيا ومصر وسوريا، وتتهيّأ لوراثة العباسيين. كتب الباحث الجزائري عبدالله بن عمارة سلسلة مقالات قيّمة عن صعود الدولة الفاطمية وانحدارها، واهمّ ما فيها العديد من الإحالات «الباطنة»، عبر سطور السرد التاريخي، إلى إشكاليات عصرنا الحالي وتحدّياته - وهي لن تخفى على القارئ الفطن.

كان هناك دعاةٌ اختصاصهم نشر بذور المذهب في مجتمع غريب عليه، ولديهم منهجيّة تدرّبوا عليها للعمل في مثل هذا السياق. أمّا حين يصل عدد المؤيدين إلى حدٍّ يسمح بالتحرّك العلني، فإنّ تستبدل الداعية باخر من مستوىً أعلى مُهيّأ لتلك المهمّة، وهكذا. وهناك خطابٌ موجّهٌ إلى الخاصّة والمثقفين، ووسائل أخرى للوصول إلى العامّة والجمهور. هكذا تمكّنت الدعوة من الانتشار وبناء «قواعد» لها تحوّلت إلى دول وتوسّعت: في اليمن بدايةً، ثم المغرب الأوسط، فتونس فمصر. في رواية «الموت» مقاطع طريفة يتمّ فيها تعليم الدعاة فنون المُحاجّة واجتذاب المريدين: «اجعله يشعر أنك تكترث لرأيه وأن أفكاره مهمّة... إن كان فارسياً يعاني من نير السلاجقة فاخبره بأنّ الإمام سوف يخلصه من احتلال التُرك، وإن كان أجنبياً ظلمه أهل البلد فقل له إنّ خليفة القاهرة سوف يستردّ له حقّه وينتقم من الظالمين». في الوقت نفسه، الدولة يقودها الإمام، وهو موجودٌ أو متجلٍّ بيننا، فمسألة الشرعيّة محسومة. والإمام، في النظريّة، ليس حاكماً مطلقاً، بل هو «الأساس»: يقود في القاهرة ما يشبه «مجلس حكم» تتمثّل فيه السلطة الدينية والعسكرية والإدارية وهم يشكّلون، مجتمعين، ما يشبه «عقل الأمّة»، الكيان الذي يحفظ المبادئ الأساسية للدعوة ويسير عليها. هذا كان «النموذج»، على الأقلّ، في المرحلة الذهبية للدولة الفاطمية، قبل أن يجري عليهم ما جرى على بني العبّاس، فيصبح الخليفة صورياً والمركز ضعيفاً والعسكر يحكمون، وتبدأ رحلة الانحدار.

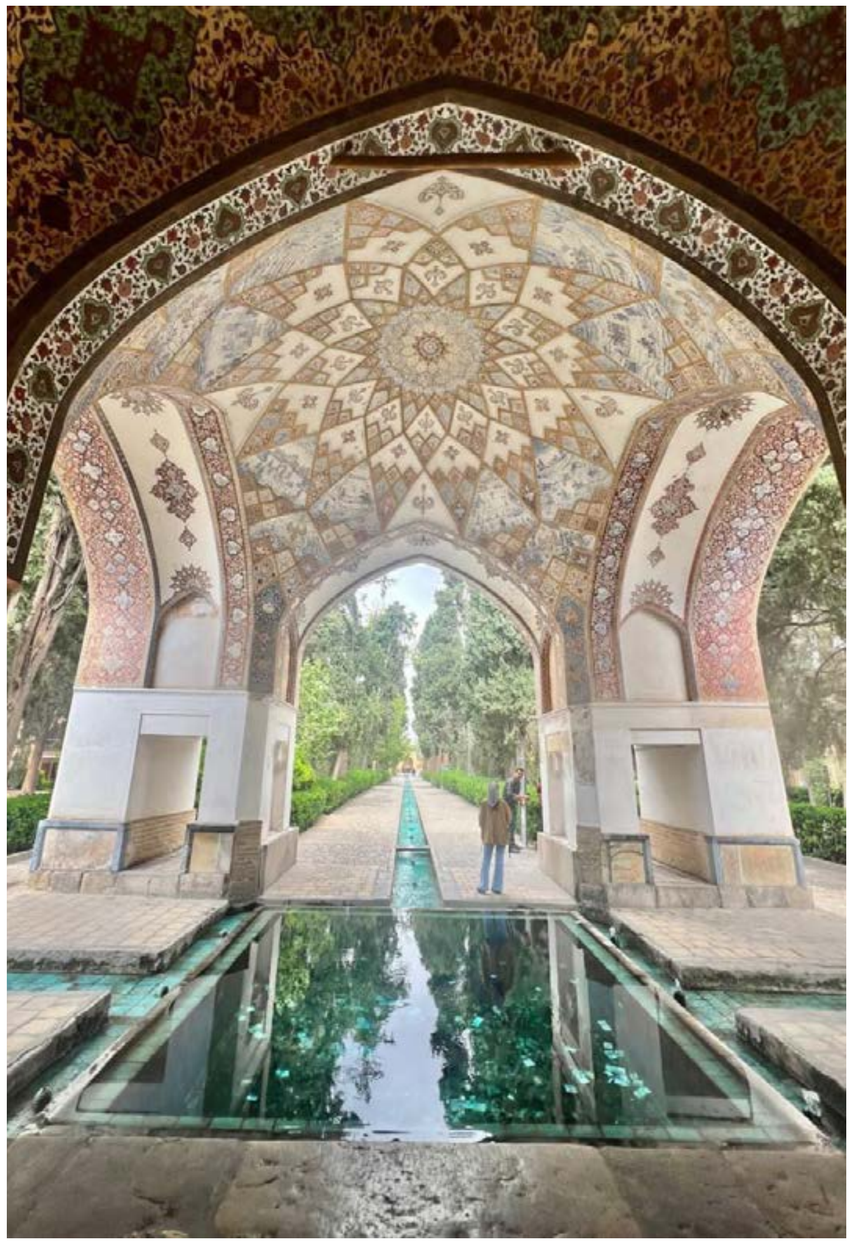

حديقة الفردوس وخيط السماء

عندي أيضاً ما يشبه «فرضية»، لا أدلّة حقيقية عليها، مفادها أن المدرسة الأصولية عند الشيعة وتطوّر الحوزة في القرون الماضية قد استوحت، بشكلٍ مقصودٍ أو غير مقصود، عناصر من التجربة الإسماعيلية (على الهامش: كانت للإمام الطوسي، الأب الروحي للمدرسة الأصولية، كتابات إيجابية عن الدعوة الإسماعيلية - بحسب بول ووكر في كتابه عن الفلسفة الشيعية المبكرة). وبول ووكر، في كتابه الذي يشرح فكر الفيلسوف السجستاني، يقدّم لنا نظرة نادرة عن كوزمولوجيا الإسماعيليين وتأثرها بالأفلوطينية المحدثة. في منظومة السجستاني مثلاً أربع مراتب تمثّل منابع الحقيقة: أولاً «الناطق»، وهو النبي الذي يعطيك الشرع، ثمّ «الأساس»، أي الإمام الذي يفهم الشرع ويفسّره، وبعده «اللواحق» و«الأجنحة»، وهي مراتب الدعاة والمفكرين. هنا لا يجب أن ننسى أنّ الإمام ليس مجرّد قائدٍ سياسي، والإمامة ليست منصباً وراثياً. بل إنّ قداسة الإمام، قبل أيّ شيء آخر، هي في أنّه يفهم المعنى العميق للدين، الذي توارثته الأنبياء والرّسل عبر العصور، ويحفظه؛ ولذلك هو القادر على أن يشرح لك مفاهيم القانون والحقّ والعدل، وهنا تكمن العصمة.

> كانت الدعوة مشروعاً سياسياً يخطّط على المدى البعيد، وهدفه النهائي استبدال خلافة بغداد بدولة الإمام العادل، وله استراتيجية وتنظيم تراتبي معقّد من الدعاة المحترفين لنشر المذهب في النواحي والأقاليم. هذا المزيج بين العقيدة والتنظيم كان، بمعنى ما، متفوّقاً على كلّ ما حوله

ما أريد الوصول إليه هو أنّ الصورة عن الإسماعيلية التي دخلت المخيال الاستشراقي، الموت ومصياف و«شيخ الجبل»، تمثّل مرحلةً متأخّرة، بعد أواسط القرن الحادي عشر، كان قلب الحركة الإسماعيلية فيه قد بدأ يخبو. هي كانت مرحلة ضعفٍ وانحدار مقارنةً بالماضي، وقد بدأت الانشقاقات تضعف المذهب، ويظهر فيه أكثر من إمام يختلف عليهم الأتباع. حتى الإنتاج الفكري في إيران وسوريا، يقول برنارد لويس، كان أضعف بكثير مقارنة بالمراحل الإسماعيلية السابقة، إذ لم تعد الدعوة موجهةً إلى النخبة والمفكرين وعلية القوم (بعد مرحلةٍ كان فيها بعض أبرز المفكرين والفلاسفة المسلمين إسماعيليين بدرجةٍ أو أخرى).

الطابع السرّي للحركة في إيران وسوريا، وتراث الاغتيالات، لم يكن مقصوداً بل جاء عن اضطرار. في بداية الدعوة في إيران، مثلاً، تمكّن أحد الدعاة الكبار من تحويل أغلب البلاط السامّاني في كرمان إلى المذهب، وكان الهدف ببساطة هو الاستيلاء على السلطة علناً، كما في اليمن وشمال أفريقيا ومصر. ولكنّ نكبةً حلّت بهم إثر وفاة الحاكم نزحوا بعدها إلى الأطراف والجبال الحصينة. وفي سوريا، بالمثل، كانت قاعدة الدعوة النزارية بدايةً في حلب ثمّ دمشق، وهناك أيضاً حصلت ضدّهم عمليات «اجتثاث» قاسية أبعدتهم عن مراكز السلطة ودفعتهم إلى السرّيّة. شهد هذا السياق الجديد تطرّفات عقائدية وسط هذه الجماعات المنعزلة، كمثل موجة «تعليق القانون» عند بعض المريدين لاقتناعهم بأن الإمام قد ظهر وأعفاهم من الشعائر والحدود. وفي هذا السياق أيضاً أصبح الاغتيال أداةً برع فيها النزاريون وفي بناء سمعةٍ ترهب الأعداء، حتى أصبحت بمثابة «رأسمال سياسي» في حوزتهم. من الروايات المبكرة عن «الحشاشين» في الوثائق الأوروبية نصّ لرحّالةٍ غربي وصل إلى كاراكورم - عاصمة الخان في منغوليا - في أواسط القرن الثالث عشر، ليجد أنّ الخان الأكبر مختفٍ منذ مدّة لا يظهر لأحد، والسبب هو أنّه قد نُمي إليه بأنّ سيّد الموت قد أرسل لا أقلّ من أربعين فدائياً لاقتناص روحه. والسفارة الوحيدة الموثّقة بين حسن الصبّاح والأوروبيين كانت لوفدٍ وصل إلى أوروبا من الموت في الفترة ذاتها ليعرض تحالفاً ضدّ الهجمة المغولية (وهي، كما نعرف، انتهت باجتثاث مراكز الإسماعيليين وقلاعهم في إيران).

وقد ظلّ قادة النزارية، ورثة الصبّاح، مقيمين في إيران حتى عهد حديث نسبياً، أوائل القرن التاسع عشر، حين توّرطوا في مؤامرة فاشلة ضدّ الشاه انتقل بعدها الآغا خان إلى الهند البريطانية وأعاد تأسيس جماعته في بومباي.

ختاماً، عندي تعليقٌ عن مفهوم «حديقة الحشاشين» وفكرة اصطناع الفردوس على الأرض ومحاكاته. فكرة أنّ زعيم الطائفة كان يخدع المريدين ويوهمهم بأنهم في الجنّة هي بالطبع خرافة، ولكنها لا تخلو من بذرة حقيقية. في الشرق، تاريخياً، كانت الحدائق والقصور تُبنى، بشكلٍ قصدي، كتمثيل لمفهومنا عن الفردوس. هذه ليست نزعة كونيّة. حين ازدهر فنّ تصميم الحدائق في أوروبا في القرن السابع عشر، مثلاً، كان يتمّ تصفيف الأشجار والنباتات ضمن أشكالٍ هندسيّة - مربّعات ومستطيلات ودوائر - لا تجدها في الطبيعة؛ والقصد هنا كان تجسيد سطوة الإنسان وسيطرته على الطبيعة، وليس النظر إلى ما خلفها. جنّة الفردوس، في الديانات الشرقية القديمة، هي أعلى مراتب الطبيعة الدنيوية في اكتمالها وجمالها، وصورتها في عالمنا هي الرياض والجنائن.

تعبير «الفردوس» أصلاً هو كلمة إيرانية قديمة تعني الحديقة، والكلمة جذرها أكادي استخدمها البابليون والآشوريون في صيغة «باراديسو»، وهي للدقّة تحيل إلى مفهوم «الحديقة المغلقة»، المكان المسوّر والتجربة الحصريّة التي لا ينالها إلا الخواص. أجمل الحدائق في إيران تجدها في مدن صحراوية كانت محطّات على طرق التجارة، كاشان ويزد وكرمان، بحيث تصل القوافل بعد سفر طويل في البوادي لتجد نفسها، فجأةً، في بستانٍ أخضر بفيض بالماء، وقنوات وبرك وأكشاك مزخرفة للاستراحة، وقد جلبت الأشجار من مختلف الأقاليم. حديقة «فين» في كاشان، وهي اليوم على لائحة «اليونيسكو»، أرادها الشاه لتكون استراحته له وسط الطريق الصحراوي الطويل بين أصفهان وطهران، مكانٌ يستبدل فيه الحرّ والغبار بـ«جنينة» خضراء. وهذه الحدائق كانت محاطةً بأسوار تحميها من الرمال والجوّ المحيط، لتعطيك انطباعاً مع دخولها بأنّك قد انتقلت إلى عالمٍ آخر، حتى المناخ والهواء فيه يختلفان، ناهيك عن المشهد والألوان. الحديقة، إذاً، في تراثنا، تحمل معنىً يتجاوز المظهر الخارجي البرّاني، بل هي أيضاً سعيٌ للإنسان -قديم- في أن يفارق عالمه الظاهر، بقصوره وباطله وتعبه، وأن يفتح عينيه على السماء.

* كاتب من أسرة «الأخبار»

الأخبار
al-akhbar
السبت 27 تموز 2024 العدد 5256

يحدث في القاهرة الآن

أبواق النظام تعلنها حرباً على محمد صبحي

القاهرة ـ **محمد صلاح**

تحول الممثل المصري محمد صبحي إلى هدف لشركة «المتحدة للخدمات الإعلامية» والعاملين فيها، بعد انتشار تصريح له ينتقد الشركة التابعة لجهاز الاستخبارات المصرية التي تسيطر على نسبة كبيرة من المحتوى الإعلامي والفني في مصر. وجاء انتقاده على خلفية ما اعتبره اغتيالاً لمسرحيته الجديدة «عيلة اتعمل لها بلوك». وبدا صبحي وحيداً أمام حملة شرسة قادتها الصحف والصحافيين التابعين للشركة التي يطلق عليها العاملون في المؤسسات التابعة لها اسم «الكيان»، معتبرين أنّ أي انتقاد لها هو انتقاد لهم شخصياً. «أخطأ» صبحي عندما اعتقد أنّ من حقه أن يوجه انتقاداً إلى شركة تعاقد معها على بثّ عمل فني، وأنّ حديثه بأنّها أخلّت ببنود تعاقد إذاعة المسرحية على قنواتها سيمرّ بسلام. انتقد صبحي عرض المسرحية من دون حملة إعلانية مناسبة، وعرضها على الشاشة في وقت غير مناسب، وحذف مشاهد وكتم للصوت في مشاهد أخرى، مؤكداً أنه سيتخذ الإجراءات القانونية حيال ذلك. وكان هذا التصريح بمنزلة إعلان حرب، ليس من صبحي بل عليه؛ إذ بدأت الصحف والمواقع الإخبارية التابعة لـ «المتحدة» بشنّ هجوم عليه. وفي الوقت نفسه، انتشرت منشورات على فايسبوك لعاملين في هذه الصحف تهاجم صبحي وتحط من قدره وتاريخه. ونشرت «المتحدة» بياناً للرد على صبحي، نفت فيه «بشكل قاطع حذف أي مشاهد، أو مقطع، أو كتم صوت، أو أي تعديل على المسرحية، حيث أذيعت كاملةً؛ كما أرسلتها الشركة المنتجة». واتهم البيان صبحي بأن أعماله لا تلقى رواجاً أو إقبالاً من المشاهدين أو المعلنين، مضيفاً: «تعاقدت الشركة مع الفنان القدير محمد صبحي على إنتاج ثلاث مسرحيات، وبالفعل أنتجت المسرحية الأولى (نجوم الظهر) وصوِّرت بأعلى التقنيات التلفزيونية، إلا أنّها لم تحقق أي عائد جماهيري أو إعلاني. مع ذلك، استمرت «الشركة المتحدة» في دعم مسرحيات الفنان محمد صبحي، رغم التحفظات النقدية والجماهيرية، ولم تخذله مادياً أو مهنياً». واعتبرت الشركة أن صبحي هو «الذي خالف الاتفاق والتعاقد المبرم مع الشركة بتغيير كبير مفاجئ، في نص مسرحيته الأخيرة؛ من دون موافقة الشركة وبالمخالفة للعقد، حتى وصل الأمر بأن تضمّنت المسرحية إيحاءات وألفاظاً لا تقبلها القواعد والأكواد الأخلاقية الإعلامية، ولا مواثيق الشرف المهني». وهددت الشركة صبحي «باتخاذ كل الإجراءات القانونية، حفاظاً على حقها والعاملين فيها؛ في عدم الرضوخ لضغوط تستهدف الربح غير المستحق، تحت مسمّى «القيمة» أياً كان صاحبها». أمام هذا الهجوم، تدخلت نقابة المهن التمثيلية، خصوصاً مع نشر مقالات في صحف كـ «الدستور» و«اليوم السابع» و«الوطن» المملوكة لـ «المتحدة»، تعمّدت إهانة صبحي وتاريخه. وأصدرت النقابة بياناً جاء فيه أنّ النقيب أشرف زكي، اتصل بالرئيس التنفيذي لشركة «المتحدة» شارحاً له وجهة نظر صبحي، بأنّه «لم يقصد أي إهانة للشركة المتحدة أو لمنتسبيها، واحترامه للشركة ودورها الوطني، وقد أبدى تفهمه لسوء الفهم». ووعد رئيس الشركة بإغلاق أي خلاف مع صبحي لما فيه مصلحة الفن المصري، مؤكداً «دعم الشركة المستمرّ لكل مبدع وقوى مصر الناعمة». البيان ردّ عليه صبحي بمنشور على فايسبوك مؤكداً أن ما حدث نجم عن «سوء فهم»، وأنّ «تقديم المسرحية من دون إعلانات وفي موعد غير المتفق عليه، هو الذي سبّب لنا الضيق جميعاً».

مفكرة

مهرجانات بعلبك: غزة في البال

وسط الحرب الإسرائيلية المسعورة على فلسطين ولبنان، ارتأت «مهرجانات بعلبك الدولية» إقامة أمسية واحدة تجمع البلدين في تأكيد على «رسالتها الثقافية التي لا تتزعزع» وفقاً لما جاء في البيان الصحافي. هكذا، تقدّم أمسية «أوتار بعلبك» في 29 آب (أغسطس) تجمع الموسيقي اللبناني شربل روحانا وفرقته السداسية في الفصل الأول من الحفلة، والثلاثي جبران في فصلها الثاني. ويهدف هذا «الحدث الموسيقي المزدوج الفريد إلى الإضاءة على أهميّة الحوار والتناغم الثقافي ردّاً على العنف المحيط بنا». وستُقام الأمسية في «مسرح كركلا» (بيروت) بسبب الظروف الأمنيّة الراهنة.

أمسية شربل روحانا والثلاثي جبران: 29 آب (أغسطس) ـ «مسرح كركلا» (حرش تابت . بيروت) ـ تُباع البطاقات في «فيرجن»

السينما الفلسطينية تقاوم «من تحت الأنقاض»

يتناول وثائقي «مشاهد من الاحتلال في غزّة» (1973) الظروف المأساويّة التي عاشها أهالي غزّة تحت الاحتلال الإسرائيلي أثناء حرب حزيران (يونيو) 1967، مستعرضاً الممارسات القمعيّة والهمجية للاستعمار، وإصرار سكّان القطاع على مواجهته بأساليب مختلفة، منها العمليّات الفدائيّة التي يضيء الفيلم على عدد منها، كما يذكر بعض أسماء الشهداء الذين سقطوا بنيران الاحتلال. الفيلم الذي يحمل توقيع «أب سينما الثورة الفلسطينية» مصطفى أبو علي (1940 - 2009)، سيُعرض في 30 تمّوز (يوليو) في فضاء «برزخ»، يليه عرض وثائقي «إلى أبي» (2008) للمخرج عبد السلام شحادة. في هذا العمل (الصورة)، يوجّه شحادة تحيّة إلى مصوري الاستديوهات الذين عايشهم في مخيّم اللاجئين في رفح، ليرصد تطوّر الصورة في قطاع غزّة على مدى 50 عاماً. يقدّم شحادة أصواتاً مسجّلة لمصوّري الطفولة ليبعثهم إلى الحياة. يذكر أنّ عائدات الفيلمين ستذهب مباشرةً إلى «صندوق التضامن للمساعدات المتبادلة في غزّة»، وهو مشروع شعبي يتخذ من غزة مقرّاً له، وقد ساعد على إحياء مدرسة تحت الأنقاض في خان يونس، وتسليم الخضر للعائلات في الزويدة والنصيرات ودير البلح، وتوزيع الأموال النقديّة على النازحين.

عرض فيلمي «مشاهد من الاحتلال في غزّة» و«إلى أبي»: الثلاثاء 30 تمّوز (يوليو) ـ الساعة الثامنة مساءً ـ «برزخ» (الحمرا). للاستعلام: 78/909472

مكرم والرفاق: ليلة الجاز

يوم 6 آب (أغسطس)، سيكون الجمهور على موعد مع سداسيّة مكرم أبو الحسن (الصورة) المخصّصة للتعبير الموسيقي الفردي والجماعي.
ستقدّم الفرقة مقطوعات جاز من تأليف أبو الحسن، كما سترتجل مقطوعات جديدة على خشبة «مترو المدينة». وتشمل الفرقة الموسيقيين توماس هورنيج ونضال أبو سمرا (ساكسفون)، وشربل صوما (باص الكتروني)، وبافلو ورديني وعبدو صوما (إيقاع)، إضافة إلى قائد الفرقة، أبو الحسن الذي سيتولى العزف على الباص المزدوج.

حفلة جاز مع سداسية مكرم أبو الحسن: الثلاثاء 6 آب (أغسطس) - الساعة التاسعة مساءً - «مترو المدينة» (كليمنصو). للاستعلام: 76/309363

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

ملحق خاص

السبت 27 تموز 2024 العدد 5256 السنة الثامنة عشر
Samedi 27 Juillet 2024 no 5256 18ème année

ملوك السماء

قصة القوة الجوية في حزب الله

ابراهيم الامين

كثيرة جداً المعلومات التي نُشرت أو يجري تداولها في أطر ضيّقة حول القوة الجوية لحزب الله. لم يعد هذا ما يشغل بال العدو. فكل ما جمعه في 15 عاماً من معلومات عن هذا الموضوع كان محلّ اختبار في الأشهر الماضية، ليتبيّن أنّ ما يؤرّق قادة العدو، سياسيين وعسكريين، هو إدراك ما لم يدركوه سابقاً، وكان موضع إنكار ومكابرة: يبدو أن لدى حزب الله قدرات لا يعلم عنها «إله الاستخبارات» شيئاً.

و«إله الاستخبارات» الذي تولّى «كيّ وعي» قوى وجماعات وحكومات على مدى عقود و«إحباط أحلامها»، هو نفسه الذي واجه أكبر انتكاسة في 7 أكتوبر الماضي، تلتها انتكاسات مستمرة في غزة، وفي جبهات الإسناد، من لبنان إلى العراق واليمن. في حالة لبنان، وجد قادة العدو أنفسهم أمام واقع مغاير لكل التقديرات السابقة. فما ظهر حتى الآن من قدرات في عالم «الأجسام الطائرة» لدى حزب الله، لم يكن يوماً على طاولة البحث والتقدير في تل أبيب، بل ويبدو أنّ هذه القدرات لم تكن حتى من ضمن التوقعات أيضاً. ورغم كل ما كان يتردّد سابقاً عن أن اطّلاع إسرائيل على تفاصيل الجهد الإيراني في مجال المسيّرات، والتصرف على أساس أن لدى حزب الله نسخاً عنه، صُدم العدو بأن التفوق الاستخباري المعلوماتي، جمعاً وتحليلاً وتقديراً، ليس هو الآخر حكراً على «إله الاستخبارات» في إسرائيل. فكيف عندما يتكشّف له أنّ التكنولوجيا الموجودة لدى حزب الله ليست من ذاك النوع الذي تحصل عليه جماعات على هامش عمل القوى الكبرى، بل هو موجود لدى الحزب بأصله وفصله، وهناك استثمار كبير فيه، إلى درجة تدفع العدو إلى التصرّف مع الحزب بمستوى عالٍ من الندّية.

لا يعرف كثيرون ما الذي فعله العدو خلال عشرين عاماً في مواجهة «تراكم القدرات» لدى المقاومة في لبنان. ولم يطّلع الجمهور، لا في إسرائيل ولا في لبنان، على الجهود غير المسبوقة في النشاط الاستخباراتي لجيش الاحتلال وأجهزته الأمنية والعسكرية كافة. ولا يعلم كثيرون عن عمليات أمنية، وحتى عسكرية، وعن جرأة فرق كوماندوس إسرائيلية، ضمن خطة مستمرة منذ سنوات طويلة لمنع حزب الله من امتلاك القدرات المطلوبة، ولمنعه من الوصول إلى مرحلة تفعيلها.

والحقيقة المرّة أنّ تقديرات العدو كانت في مكان، بينما يقف حزب الله وقدراته في مكان آخر تماماً. وهو مكان لم يكن خارج الحسابات الإسرائيلية فقط، بل حتى خارج التقديرات والتصوّرات والفرضيات الاستخبارية.

صدمة الاستخبارات الإسرائيلية كبيرة إلى حدٍّ دفعها، لمدة زمنية، إلى إنكار الواقع والبحث عن تفسيرات مغايرة له، وصولاً إلى لحظة الحقيقة التي أيقظت العقل الجمعي لأهل الكيان، مع استحقاق «الهدهد» التي مسحت حيفا. إذ إن مسحاً كهذا وقدرات كهذه كانت في أدنى سلّم التقديرات الإسرائيلية.

لم يتوقف الضرر عند هذا الحد. فقد تسبّب العمى الاستخباراتي في ما خصّ قدرات المقاومة في السماء، في إظهار مستوى آخر من القلق لدى قادة العدو. إذ إن الجهود التي بُذلت في العقدين الماضيين، ركّزت على إيجاد علاجات لما افتُرض أنه أقصى ما يمكن لحزب الله الوصول إليه. وبعدما أفاقت تل أبيب الآن، اكتشفت أن ما تجهله، أو ما لم تتخيّل وجوده، ليس مجرد هامش خطأ يمكن احتواؤه، بل قدرات مجهولة لا يمكن تلمّسها إلا بعد استخدامها، وبينها ما لا توجد علاجات حاضرة له. والخشية تكبر، نتيجة ما بات العدو يحتمله من تأثير هذه القدرات في مجريات أي حرب وفي نتائجها: مسيّرات من نوع مجهول، ودفاع جوي من نوع مجهول.

في أيار الماضي، أوصى مركز أبحاث الأمن القومي في تل أبيب قيادة الجيش بأن «تتجهّز من الآن لإيجاد حلول وردود على تهديدات مستقبلية على شاكلة مسيّرات تسترشد بأنظمة قائمة على الذكاء الاصطناعي، وتعتمد في مسيرها واستهدافها على الصور والمشاهد التي تتلقاها في اللحظة الفورية، وأثناء وجودها في الأجواء، من أجل التغلّب على تشويش نظام تحديد المواقع العالمي (GPS) وأنواع أخرى من الحرب الإلكترونية».

ومرة جديدة، غلب طبع الاستعلاء على عقل قادة العدو، فأنكر على المقاومة القدرة على العمل في هذا العالم الجديد. وهو استعلاء يجعل العدو بعيداً من الجواب عن السؤال البديهي المطروح: تُرى، كيف يمكن لمسيّرات حزب الله أن تسترشد طريقها، وتنجح في الانقضاض على أهدافها، في ظل أكبر عملية إطباق إلكترونية وتقنية وأمنية مفعّلة على الجبهة؟

المقاومة، التي لم تتوقف ساعة عن العمل لتثبيت الحضور النوعي في هذا العالم، وجدت سبيلها إلى السماء أيضاً. فأخر العدو طويلاً بأنه «إله السماء» أو «ملك السماء». لكن ما تقوم به القوة الجوية في المقاومة الإسلامية جعلها تبسط يدها ليكون عديدها وعقولها وكوادرها وقادتها هم «ملوك السماء» أيضاً. وما قدّمته في الأشهر الماضية، ليس سوى عيّنة بسيطة عمّا يمكن أن تقدّمه في حال اضطرّت إلى مواجهة أوسع. فهي مقيّدة بضوابط كبيرة، وممنوع عليها استخدام سوى جزء يسير من طاقتها وأفكارها وخططها وقدراتها التي تمثّل ثمرة جهود عمرها عقود، ودُفع ثمنها عرق ودماء ودموع.

ربما لا يعرف جمهور العدو، أن قراراً سياسياً وأخلاقياً يقف خلف طريقة عمل مُسيّرات حزب الله الآن. لم يحصل أن أُطلقت نحو أهداف عشوائية، ولم تصب مركزاً مدنياً ولم تحرق غابة. لكن في حالة الحرب الشاملة، فإن الصورة ستكون مختلفة تماماً، خصوصاً في مواجهة الوحشية التي يتّسم بها سلوك العدو. وهو أمر، كانت المقاومة في صدده خلال حرب عام 2006، عندما نجحت طائرة حربية معادية، وفي اللحظات الأخيرة، في إسقاط مُسيّرة كانت في طريقها إلى خزانات الأمونيا. ولو وصلت، لعرفت إسرائيل معنى الكارثة الحقيقية التي تحترف هي إنجازها بصورة دائمة في فلسطين ولبنان.

والأهم، لا بل هو الأكثر حساسية، أن العدو لا يقدر على إيجاد حل لعمليات المقاومة التي دمّرت حتى الآن كمية كبيرة جداً من منظومات الكشف، ويمكنها في لحظة معينة، تعطيل منظومات الدفاع الجوي، وهي لحظة تفتح الطريق أمام أنواع من الصواريخ الدقيقة والثقيلة، التي تعرف طريقها إلى أحياء بكاملها في تل أبيب وجميع مدن الكيان.

في حالة الحرب الشاملة، يُفترض بالعدو أن يكون مستعداً لنوع من العمل غير المسبوق في تاريخه. حيث يؤكد المعنيون في قيادة المقاومة، أن العدو سيكون على موعد خاص، تحتل فيه المُسيّرات سماء «مثلث الموت» الذي يربط قواعد كريات شمونة في الشمال الشرقي مع قاعدة بلماخيم في الوسط الغربي وموقع مطار آساف رامون في الجنوب. حيث تتركز القوة الجوية للعدو.

«الأخبار» تعرض في هذا الملف فصلاً من حكاية القوة الجوية في المقاومة الإسلامية يرويه قائد في هذه القوة. ويعالج الملف حصراً عالم المسيّرات في «القوة الجوية». وللحكاية تتمّتها، إذ إنّ التجربة الرائدة في منظومة الدفاع الجوي، إلى جانب القوة الصاروخية التي يفترض بالعدو أن يتوقف عن البحث عنها، لأنه بات يعرف أنها موجودة أينما ذهب وحيثما التفت!

ملوك السماء

قصة القوة الجوية في حزب الله

في مقابلة مع «الأخبار»، قدّم قائد في القوة الجوية في المقاومة الإسلامية (بالقدر المسموح به)، عرضاً أوجز فيه تاريخ بدء العمل في القوّة الجوية، وتطرّق إلى مراحل تطوّر هذا العمل في لبنان، بالتعاون مع الحرس الثوري في إيران، وخصوصاً بعد الانتقال إلى العمل في عالم المسيّرات. ويشرح القائد الجهادي تفاصيل تتعلّق بسلاح المسيّرات كجزء من القوّة الجوية لدى المقاومة، ويقدّم، في هذا المجال، شروحات حول المعركة التي بدأت ولم تتوقف من أجل تحصيل المقاومة لحاجاتها، ومساعي العدو لمنع وصول هذه القدرات إلى الحزب، بما في ذلك عمليات عسكرية، من بينها اغتيال قائد هذه الوحدة الشهيد حسان اللقيس عام 2013. كما يشرح القائد تفاصيل عمل منظومات العدو في مجال رصد المسيّرات وكشفها وتعقّبها، ومنظومات وآليات العمل التي قام بها العدو، وشروحات حول أنواع المسيّرات الموجودة لدى المقاومة، مع الكشف عن بعضها، فيما تحتفظ المقاومة بكثير من المفاجآت في هذا العالم

إعداد: إبراهيم الأمين – خديجة شكر

30 عاماً... من الطيران الشراعي إلى المسيّرات ومن سوريا إلى «كاريش» فـ«طوفان الأقصى»

يوضح القائد في القوة الجوية أنه «في أواخر ثمانينيات القرن الماضي، جرى أوّل نقاش بين القادة العسكريين في حزب الله حول سلاح الجو. كل الجهد الذي كان يُبذل لتطوير عمل مجموعات المقاومة داخل الشريط الحدودي لم يمنع تكليف مجموعة للبحث في سبل لمواجهة «ملك السماء»، الذي هزّم العرب جميعاً، نتيجة التفوّق الجوي، سيّما أن الاستعلاء في عقل العدو، كان مرتبطاً أيضاً بحاجته إلى كل سماء المنطقة، لأن سماء فلسطين تبقى في نهاية الأمر ضيّقة أمام سلاح الجو الإسرائيلي. وهو أعد برامج عمل لم تتوقف عن التطوير لمنع قيام أيّ منافسة له على صعيد سلاح الجو في كلّ الشرق الأوسط.

في مطلع التسعينيات بدأ التفكير العملاني في إنشاء «القوة الجوية» في المقاومة. كانت هذه القوة في بدايتها عبارة عن مجموعة من المقاومين، وكان الشهيد حسان اللقيس أبرز من عملوا في مرحلة النشأة، وكان معه فريق تدرّبوا بداية على الطائرات الشراعية، بهدف القيام بعمليات استشهادية خلف خطوط العدو أو ضد مواقعه. في حزيران 1994، استُشهد جميل سكاف أثناء التدريبات. بعدها جرى العمل على طائرة ثانية، واتفقنا على القيام بعملية جديدة، واخترنا المقاوم حسين أيوب الذي استُشهد أثناء تنفيذ العملية عام 1996. كما استُشهد آخرون لاحقاً، وحتى اليوم، لا تزال القوة الجوية تقدّم الشهداء».

ويضيف القائد الجهادي أنه «منذ اليوم الأوّل، كان حزب الله يعرف أنه يحفر جبلاً بإبرة. لذلك كان الإصرار هو عنوان العمل لدى كلّ من انخرط في هذه الورشة. وعندما انتقلنا من الطيران الشراعي إلى المسيّرات، كان ذلك بسبب التطوّر العلمي، وبقيت روحية المجاهدين واستعدادهم كما كان. وكان الهدف واضحاً: لا يمكن ترك العدو يستبد السماء».

بعد عام 2000، تغيّر كلّ شيء. في إيران، انطلقت ورشة كبرى في ملف المسيّرات، وكان علينا الاستفادة من ذلك. وقد نجحنا في خلق مفاجآت في حرب 2006، رغم أنّ هناك عملاً لم يكن قد أُنهي بعد. لكن حصلت عدة عمليات إطلاق لمسيّرات، وكان مهماً لنا، ومقلقاً للعدو، أن ننجح في اختراق الحدود. وهذا أمر حصل، كان هناك مجموعات تعمل تحت القصف الكثيف على تجهيز مسيّرات انقضاضية، وليس مسيرات للاستطلاع فقط مثل «مرصاد» التي بدأ العمل بها عام 2004. وأثناء الحرب، أطلقنا طائرة إلى حيفا. وأنجزت القوة الجوية في حينه مجموعة من المهام الاستطلاعية والانقضاضية».

وتابع: «بعد عام 2006، انتقلنا إلى مرحلة جديدة. كان السؤال حول كيفية مواجهة التحديات الجديدة، بعدما باشر العدو العمل على إنتاج «القبة الحديدية» التي تعمل على أربع طبقات من الدفاع. وعندما أتيح لنا التعرّف إلى قدرات العدو التكنولوجية، قمنا بالمقارنة من ناحية القدرات المادية، وكان يمكن أن نتوقف نتيجة الفوارق الهائلة. لكنّ القرار بالتطوير كان متخذاً، ولا مجال للتراجع أو التوقّف».

> الشهيد حسان اللقيس كان أيقونة وبصماته واضحة في كل ورشة التطوير حتى في إيران

وفي الحديث عن مراحل العمل يقول القائد الجهادي: «بين عامَي 2006 و2008، تولّى الشهيد القائد حسان اللقيس مهمّة استثنائية لرفع مستوى «القوة الجوية». وللشهيد حسان دور كبير في اختصاصات عدة، وكان بمنزلة أيقونة هنا وعند الإخوة في إيران، وله بصمته في اختصاصات القوات كافة (بحرية، دفاع جوي، جو فضائية، صاروخي، مسيرات...). وفي إيران، يشهدون للشهيد حسان ويحفظون له دوره الكبير في تطوير المسيّرات. وهو كان يردّد دائماً أنّ هذا السلاح نوعيّ ومؤثر، وسنعتمد عليه في الحروب القادمة. ولذلك، سلّم له الجميع، وكان حضوره في إيران كحضوره في لبنان في مجال تطوير المسيّرات. والشهيد حسان كان غارقاً في عالم التكنولوجيا الخاص بهذا النوع من السلاح. وكان متابعاً وملمّاً بكل ما تقوم أميركا به في هذا المجال. وعندما استُشهد نهاية عام 2013، كان قد أنجز، تقريباً، كل المطلوب وأكثر، ودرّب كثيرين أكملوا عمله، وحتى اليوم نعمل بأسلحة أشرف هو على صناعتها. حصل تطوّر كبير في هذا العالم. وإذا كان العدو يعتقد بأن كل ما لدى إيران في هذا المجال موجود لدينا، فليطمئن ما يشاء. لكنّ الحقيقة أن هذا ليس أسوأ سيناريو يجب أن يفترضه».

وتطرّق القائد الجهادي إلى تجربة القوّة الجوية أثناء الحرب في سوريا، وكشف «أن ملف المسيرات كان في إطار سريّ جداً ومغلق تماماً إلى أن شاركت «القوة الجوية» في معارك سوريا. بدأ ذلك في معركة القصير الشهيرة. وصار الأمر معلوماً لأن طبيعة العمل في السماء لا يمكن أن تخفى، فكيف إذا كان ذلك وسط تحدٍّ أمني واستخباراتي هائل مع العدو. عرف العدو أننا صرنا موجودين في المطارات، ولدينا برامجنا للطلعات الجوية، وبتنا نفعّل التردّدات الخاصة بنا للتحكّم بالمسيّرات التي نطلقها. كان العدو أكثر من يتابعنا، وكوننا ندرك ذلك، سلّم له الجميع، قاعدة أنه يرى في مشاركة القوة الجوية في الحرب السورية فرصة له ليتعرف أكثر إلى عملنا. لكننا وفقاً للمبدأ الدائم بتحويل الفرصة إلى تهديد للعدو، تصرّفنا بما يجعلنا نتحكم بالقدر الذي نريد له التعرّف إلى قدراتنا. كان العدو يرصد كل ما تقوم به «القوة الجوية»، وكان مهتماً بمعرفة تكتيكاتنا. وفي مرات كثيرة، وبمجرد ما كنا نرسل سرباً للاستطلاع، كان العدو يستنفر قواته الجوية والاستخباراتية لجمع المعلومات، عن مكان إطلاق الطائرات، وأمكنة وجود الطاقم البشري، والتردّدات وأدوات التحكم. ولكن، بسبب طبيعته الاستعلائية، تصرّف العدو وكأنه بات يعرف كل شيء عنا. وعلى أي حال، ستُظهر الأيام أنّ ما عرفه هو ما كنا نسمح له بمعرفته. علماً أن تجربة سوريا تمثّل بالنسبة إلى القوة الجوية في حزب الله كنزاً كبيراً جداً. فقد تعلّمنا في 8 سنوات ما يحتاج إلى 16 سنة. وهو ما يحصل اليوم، فما تعلّمناه في الأشهر التسعة الماضية كنا نحتاج إلى أكثر من 3 سنوات لتعلّمه».

ويضيف: «نفّذنا في سوريا آلاف الطلعات، ووفرت لنا عمليات الاستطلاع مئات آلاف الصور الجوية. صحيح أنّ قتالنا كان مع التكفيريين، لكنّ عيننا بقيت على إسرائيل، لأنّ المواجهة معها لا يمكن مقارنتها بأي معركة أخرى. وحصل أثناء الحرب السوريّة احتكاك مع العدو. فقد كنا بعيدين «فشخة» عن الجولان. جرت أمور كثيرة في تلك المرحلة. إذ افترض العدو مرات عدة أنه أسقط مسيّرات لنا أو سيطر عليها، لكن، كل ذلك كان جزءاً من خطة أعددناها لتحصيل أمور معينة. وأتيح لنا التعرّف إلى قوّة الكشف وعمل منظومات الرادارات لديه، وكذلك مديات أسلحة الدفاع الجوي. في إحدى المرات، أجرينا اختباراً لتحديد مديات منظومة الباتريوت التي أُطلقت ضد مسيّراتنا. سقطت الصواريخ في الأردن، بينما عادت مسيّراتنا إلى قواعدها سالمة. يومها حصل هرج ومرج لدى العدو حول سبب وصول الصواريخ إلى الأردن فيما كان يتحدث عن تصدّي قواته لمسيّرات فوق سوريا. كان العمل في سوريا فرصة لنا للتعرّف إلى قدرات العدو في كشف أنواع معينة من مسيّرات المقاومة، وتحديد نقاط الضعف في منظومته للرادارات».

ويلفت القائد الجهادي إلى «أن القوة الجوية شاركت أيضاً في الحرب ضد «داعش» في العراق. وكانت فرصة إضافية لتجارب جديدة، وقرارنا مع التجارب القائمة في إيران أو اليمن. لكن، عندما تكون المواجهة مع إسرائيل، فالحديث يتحول إلى شيء آخر، لأن ما لدى إسرائيل غير موجود في الساحات الأخرى، وخصوصاً أنّ وسائل الجمع الاستخباري لدى العدو هائلة وتغطي مساحات واسعة جداً. وهو مضطر إلى طريقة عمل خاصة معنا، إذ أخذنا، مثلاً، موضوع الرادارات ومساحات التغطية. فالمعادلة أن تفصل مئات الكيلومترات بين الرادارات. في دول كبيرة يكون هناك 10 إلى 15 راداراً، فقط. لكنّ العدو ينصب راداراً واحداً كل 30 كلم على الحدود معنا. وهو يوزّع على طبقات عدة من الدفاع الجوي أضعاف ما تقوم به أي دولة أخرى».

ولفت القائد الجهادي إلى أن هذا النوع من الانتشار الاستخباراتي للعدو «فرض علينا آلية عمل مختلفة. والأهم، وفّر أمرين: الأول: ملاءمة السلاح المسيّر ليكون قادراً على تجاوز منظومات العدو. في مرات كثيرة، كان العدو يسقط مسيّرات ويتفاخر بما يقوم به، علماً أنها كانت اختبارات واستطلاعاً بالحركة لآليات عمله. وفي كثير من الأحيان كانت طائراتنا تدخل وتعود. وكنا ندخل تعديلات على المسيّرات بما يلائم التهديد الإسرائيلي المتجدّد دوماً. وعندما نقول كنا، نقصد كل قوى المحور وليس حزب الله فقط، علماً أننا صرنا منتجين لهذا النوع من السلاح وبكثرة كبيرة جداً».

ويضيف: «في تموز 2022، قمنا بالمهمة المعروفة باسم «مهمة كاريش»، أي تهديد حقل الغاز الإسرائيلي في البحر. بعد كلام سماحة الأمين العام، قام العدو بتحضيرات كبيرة جداً في الميدان البحري. ومع أننا فقدنا عنصر المفاجأة، أطلقنا 3 مسيرات، تنوّعت مهامها، بين إلهائية ومعلوماتية. تباهى العدو بأنه نجح في إسقاط المسيّرات. لكنّ الرسالة وصلت إلى أهل الاختصاص عنده. عرفوا أنّ لدينا مسيّرات قادرة على الاختراق ولكن، بسبب طبيعته الاستعلائية، رغم كل الإطباق الموجود جواً وبحراً. إذا سمع الناس صوت مسيّرة، لا يعني ذلك أنهم عرفوا كم يوجد من المسيّرات، ولا في أي عمق تعمل. علماً أنه كانت في الأجواء 4 أو 5 أسراب من الطائرات الحربية والمروحية. مع ذلك وصلت المسيرة إلى فوق حقل كاريش. أي إن الرسالة وصلت. العدو عملياً، نحن نعرف، والعدو يعرف، أن منظومات الدفاع الجوي عنده، بما فيها سلاح الطيران، تعمل على هدف واحد اسمه المسيّرات. وهذا ما يجعلنا نقول إنه السيناريو الأصعب. وعلى العدو أن يعلم، وهو يعلم، أنه وعن مرحلة ما بعد «طوفان الأقصى»، يتطرّق القائد الجهادي إلى مرحلة «واجهنا فيها أصعب سيناريو كان يمكن أن تتوقعه القوة الجوية في حزب الله، لأن كلّ الخطط لم تكن تقوم على أساس أنّ عملنا سيكون محصوراً بالحافة. مع ذلك، بدأنا مهام الاستطلاع، ثم التنفيذ. وهنا تكمن الصعوبة الكبيرة، لأننا مقيدون بضوابط كثيرة. لو كنا في حالة حرب شاملة، حيث لا تكون هناك قيود أو ضوابط، فإن قدرتنا على العمل تصبح مختلفة جداً. والعدو يعرف أنه في الحرب الشاملة لن يكون قادراً على التفرّغ فقط لسلاح المسيّرات، بل سيكون أمام تحدٍّ آخر، حيث ستسقط يومياً آلاف الصواريخ على كلّ مراكزه

> برامج الذكاء الاصطناعي جزء من عملنا وليس بمقدور أميركا أو إسرائيل احتكار هذا العلم ومنع الاستفادة منه

العسكرية والحيوية، من أنواع عدة ومديات مختلفة، والمعركة لن تكون ساحتها جبهة الحدود.

عملياً، نحن نعرف، والعدو يعرف، أن منظومات الدفاع الجوي عنده، بما فيها سلاح الطيران، تعمل على هدف واحد اسمه المسيّرات. وهذا ما يجعلنا نقول إنه السيناريو الأصعب. وعلى العدو أن يعلم، وهو يعلم، أنه في حالة الحرب الشاملة، سيكون أمام زخم من نوع آخر، من المسيّرات والأسلحة الأخرى... وهنا نتحدث عن شيء مختلف تماماً عمّا يراه اليوم. العدو يعرف ما الذي يحصل اليوم، كون القوّة الجوية مقيّدة كثيراً الآن. لذلك هناك سؤال دائم لدى قادة العدو السياسيين والعسكريين: ما الذي يمنع حزب الله من ضرب أي هدف إستراتيجي وحسّاس؟».

ويلفت القائد في القوة الجوية إلى «أننا اليوم في وقت تجارب مهم جداً. وتعلّمنا الكثير في أشهر قليلة. في بداية الحرب، كانت نسبة النجاح قليلة. لكن، مع الوقت، انقلبت الآية. وبعدما خبرنا عدوّنا، وتعلّمنا من الميدان، وأدخلنا تكتيكات جديدة، انقلبت الموازين والفعالية وارتفعت نسبة النجاح. ونحن نقول إننا في القوّة الجوية حدودنا السماء. ونعمل ليل نهار، ونعرف أن العدو ليس غافياً. وقد وصلنا إلى مرحلة بتنا قادرين فيها على تحديد الثغرات عنده، والتنبّؤ بخطواته. وبينما كان العدو مطمئناً إلى أننا غير قادرين على مجاراته، بات مصدوماً الآن، لأنه لا يعرف الإجابة عن سؤال مثل كيف أنّ كلّ طائرات العالم تتأثر بالتشويش، بينما تذهب مسيّراتنا وتعود. وعندما نقول إننا نعمل على معالجة الأمور، فهذا يعني أنّ كل الخبراء في محور المقاومة يعملون على هذا الأمر، بمَن في ذلك إخواننا في الحرس الثوري في إيران».

وعن آليات العمل، يلفت القائد الجهادي إلى أنه «قبل الحرب، كنا نحتاج إلى إذن خاص، حتى نعرف كيف نحرّك مسيّراتنا الاستطلاعية. الآن، فتحت الحرب المجال لكلّ أنواع الاختبارات. ولو أننا مقيّدون بمساحة العمل ونوعيّته. لكننا لا نتوقف عن العمل. ولدينا قاعدة تستند إلى قول الإمام علي إنّ «أخ الحرب الأرق». ما يعني أنّ الفريق يبقى في حالة قلق وتفكير في كل الأمور، بما لدينا وبما يمكن للعدو أن يقوم به. ونحن نجهّز ونطور ونسعى إلى شيء جديد. وما يساعدنا في القوة الجوية أن سلاح المسيّرات ديناميكي جداً، ومرن للتطوير، وكل التقنيات الجديدة بات في إمكاننا إضافتها إلى كلّ ما لم نستخدمه من مسيّرات».

ويشير القائد الجهادي إلى العلوم المتقدّمة في عالم المسيّرات ويقول «هناك ما يتعلق ببرامج الذكاء الاصطناعي. والكل يعلم أنّ الإمام الشهيد السيد علي الخامنئي، قال قبل سنوات أنّ عام 2021 هو عام الذكاء الاصطناعي، وطلب من الجميع الاهتمام بهذا العالم. ونحن نعتبر طلب السيد القائد بمنزلة الأمر. وليس في مقدور العدو الإسرائيلي أو الأميركي الادعاء بأنه يحتكر هذا العلم. وقد دخلنا هذا العالم حتى قبل توصية السيد القائد. ولذلك نقول بثقة إنّ العدو لم يزّ إلا القليل من بأسنا، وسيرى المزيد».

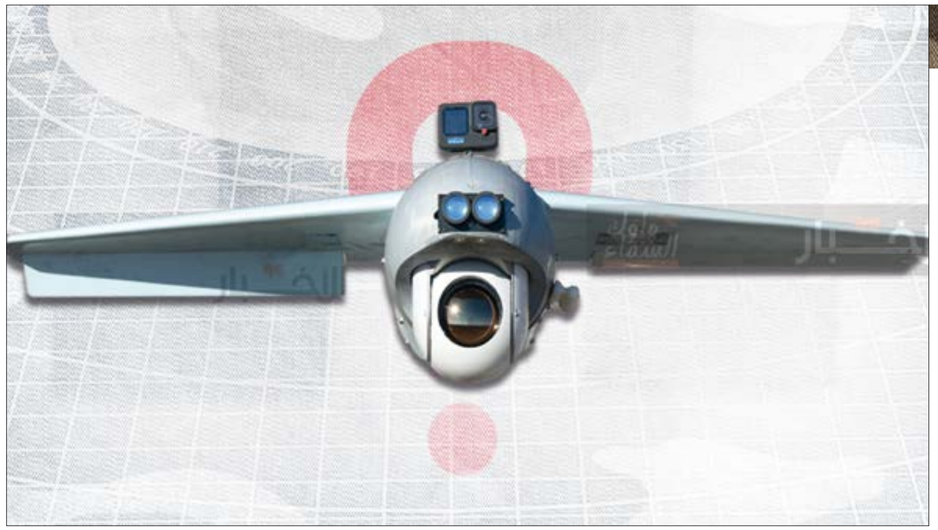

العدو يعيش هاجس مسيّرة «كرار»: تفوّق حزب الله التقني أدهش جيشنا وأرهبنا

نموذج عرضه الجيش الإيراني لمُسيّرة «كرار» بعد إدخالها الخدمة قبل عقد ونصف عقد (من الويب)

انشغل إعلام العدو بالطائرات التي «تصطاد قواتنا على طول الحدود» فتح الشهية على استعادة كل ما سرّبه جيش الاحتلال وأجهزته حول المسيّرات التي يفترض أن حزب الله يملكها. ووجّهت صحافة العدو انتقادات حادة بسبب الفشل الحالي، خصوصاً أن العدو كان قد أعلن العام الماضي أنه نفّذ «بنجاح تجربة في مناورة في الشمال لصد هجوم شنّته عشرات المسيرات في وقت واحد».

موقع «والاه» عاد إلى وقت كان الجميع يعرف أن تهديد المسيرات «صار ملموساً بعد الحرب الأوكرانية - الروسية، ولكن جيشنا لم يستعد بشكل صحيح، ولم يجد الحل الفعّال، والأسوأ من ذلك أن حزب الله تمكّن من تدمير المنشأة العسكرية الخاصة بمنطاد «طل شمايم» الذي يفترض به المراقبة والتعرف والتحذير من التهديدات. وفوق ذلك، إن حزب الله يرينا إطلاقها نحو الهدف، ولا يبدو أن القبة الحديدية تقوم بعملها».

العدو قائد سلاح الجو، اللواء تومر بار، بشرح ما يفعله. وقال تقرير لـ«معاريف»: «لقد حوّل حزب الله الجليل إلى مختبر بحث وتطوير للأسلحة، لتصنيع أسلحة دقيقة وفتاكة استعداداً لمواجهة واسعة مع إسرائيل». بينما دعت «هآرتس» الجمهور إلى عدم «تصديق رئيس الأركان، فهو يعيش في فيلم. لسنا مستعدين لحرب في لبنان، هذا سيؤدي إلى دمار هائل في الجليل وهجمات على حيفا وغوش دان».

ليضيف آخرون أسئلة أكثر حساسية مثل: «لا يزال التفوق الجوي لحزب الله يدهش إسرائيل. إلى متى سيستمر حزب الله في استخدام مسيراته بحرّية في سماء إسرائيل؟ لقد بات واضحاً أنه في الحرب القادمة، لن تكون سماء لبنان تحت سيطرة سلاح الجو». ثم جاءت صرخة وزير الحرب السابق أفيغدور ليبرمان، بقوله: «كل ما نراه الآن من

متوك السماء

قصة القوة الجوية في حزب الله

مواجهة استخباراتية وعسكرية ومنظومات تقنية عالية

تفاصيل الحرب الإلكترونية بين المقاومة والعدو؟

يقول القائد في القوة الجوية للمقاومة إنه «طوال مدة عمل حزب الله على تعزيز قدراته من الأنواع كافة، كان يواجه حرباً إسرائيلية لا يشعر بها الناس، حيث الجهد الاستخباراتي الكبير من جانب إسرائيل لمعرفة ما الذي نقوم به، وما الذي صار عندنا من إمكانات، وقد أقدم العدو على أشياء كثيرة خلال السنوات الماضية لردع المقاومة أو حرمانها من أمور كثيرة».

وأضاف أنه «خلال هذه الأوقات كلها، كان العدو يعمل ضدنا. وكان متوقعاً أن يبذل الجهد كله لمنعنا من تشكيل قوة جوية أو قوة دفاع جوي قادرة على مواجهة التحديات معه. وقد عمل العدو وفقاً لبرنامج متنوع المستويات منها:

أولاً: منعُ تسلّحنا بهذه القدرات. عبر العمل على تهديد أي شركة تتعاون معنا أو معاقبتها، والعمل على إتلاف مصانع الإنتاج وتدميرها. وقد اعتدى العدو على شركات إيرانية وهدد شركات أوروبية، وحاول خداعنا عبر إرسال مواد تفسد المنتج. ونجح في بعض محاولاته، ولكنه فشل كثيراً. وفي هذه الحرب، اكتشف العدو أن ما كان يعتقد أنه نجح فيه، كان وهماً.

ثانياً: وضع برنامج عمل أمني

> بعث العدو موادَّ فاسدة لتخريب مصانع المُسيرات وحاول ضربها في أماكن تخزينها

وعسكري لمنع وصول هذه القدرات إلى المقاومة في لبنان، سواء عبر قصف البضائع أثناء عبورها باتجاهنا، أو العمل على ضرب السلاح في أماكنه قبل الاستفادة منه. ومع ذلك، إن ما يجري اليوم على الجبهة يدلّ على مستوى فشل العدو».

ويضيف القائد الجهادي أن العدو «بعدما أقر بأن القدرات صارت موجودة لدينا، لجأ إلى خطوات جديدة تركزت في عالم الاستخبارات التقنية، مستخدماً رادارات الكشف على أنواعها ومن أهمها رادار القبة elm 2084، ورادار الباتريوت الذي أثبت فشله، ويبدو أن العدو يتجه إلى سحبه من الميدان وإعلان فشله. والرادارات التكتيكية التي يعتمد عليها أكثر ضد المسيرات المنخفضة rps 42، إضافة إلى رادارات «الجهات الصديقة للعدو» مثل فرق الأمم المتحدة ودول في المنطقة».

وبحسب القائد نفسه، فقد «استخدم العدو سفن ساعر الحربية على أنواعها، كونها مجهزة برادار «اي ادير الفا» وغيره لكشف الأجسام الطائرة. كذلك اعتمد على الكاميرات، ولديه سبعة أنواع من الكاميرات البصرية والحرارية، وقد نشرها في مناطقه الإستراتيجية، وخاصة على الحدود معنا. ولذلك كان عملنا من اليوم الأول، ولا يزال، يستهدف تدميرها».

وهناك بُعد آخر في هذه المواجهة يشير القائد الجهادي إليه تحت عنوان «الحرب الإلكترونية». ويقول: «قرر العدو اعتماد أسلوب «soft kill» أو «القتل الناعم»، وهو أسلوب فعّال ومن دون تكلفة مادية عالية وله أثر كبير. وقد راهن عليه بقوة. العدو سفن ساعر الحربية على الاستفادة من هذا المبدأ، حيث عمل على 7 طبقات من الحرب الإلكترونية. ونعرف أن أصحاب الاختصاص في الكيان، ونحن نعرفهم، يعيشون البصرية والحرارية، وقد نشرها الآن ساعات خيبة، لأنهم كانوا يتّكلون على هذه المنظومة، وكانوا في حالة ثقة مفرطة بالنفس، إلى درجة أنهم ظنّوا أنهم لن يحتاجوا إلى تفعيل منظومة القبة الحديدية ضد المسيّرات».

ويضيف: «مع الوقت، تحوّل العدو نحو إستراتيجية الـ hard kill، وهو عبارة عن منظومة عمل، تُستخدم فيها أدوات تقنية وأسلحة موجهة، مثل منظومات باتريوت، و«القبة الحديدية»، وسلاح الدفاع الجوي (سباير - ديبي). بالإضافة إلى المروحيات والمقاتلات على أنواعها، والآن أضاف الفولكان (يد السماء)، وهي عبارة عن رشاشات قادرة على إطلاق 6000 طلقة بالدقيقة، علماً أننا على ثقة بأنها لن تنفعه مقابل تكتيك حزب الله».

ويقول القائد في القوة الجوية إنه «عندما نتحدث عن حرب إلكترونية، نعني أنّ هناك وسائل لاستخدام الطيف لإسقاط المسيرات أو إفشالها، وهذه أيضاً فيها مستويات عدة. وما قام به العدو، حتى خلال المناورات هو:

أولاً: التشويش على منظومات الملاحة العالمية gnss و gps، وإسرائيل من أكفأ دول العالم في هذا المجال. وعندما يفعلها، يؤثر على حركة الملاحة العالمية. لكننا كنا نعلم عن برامجه. ولذلك أفشلنا مشروعه، وحضّرنا له المفاجآت.

ثانياً: تضليل نظام الـgps ، إذ تصبح الطائرة تسير من دون هدف، بينما يضع لها هو عنواناً مغايراً (spoofing). أي إذا كانت هناك طائرة في أجواء الجنوب، يجعلها كأنها في بيروت. هو أسلوب قديم.

ثالثاً: التشويش على آليات التحكّم بالمسيّرات. وهو استند إلى مراقبته لعملنا خلال الحرب السورية، وأطلق عملية تشويش هدفها الوصول إلى الطائرة والتحكم فيها من قبله.

رابعاً: محاولة منع مركز التحكم من استقبال صور المسيرات أثناء وجودها في الجو، عبر التشويش على ترددات خاصة بالصورة. لكننا تخطينا هذه القدرة. وإذا أراد أن يعرف، فنقول له إننا كنا نستقبل الصور في الوقت الذي كان يظن أنه يغبّيها.

خامساً: الاعتراض الإلكتروني للمسيرات، عبر محاولة اعتراض قناة التحكّم بالمسيرات، فإذا نجح، يصبح هو من يتحكّم بالمسيرات بدلاً منا. ثم يعمد إلى إسقاطها. وهو أسلوب معمول به في هذا العالم».

وبحسب القائد الجهادي فإنه «بعد حرب 2006 وصولاً إلى «طوفان الأقصى»، لم يتوقف العدو عن القيام بالمناورات الكبيرة، سواء على مستوى الجبهة الداخلية أو بما يخص قواته. وكان على جدول أعماله دائماً مهمة التدرب على مواجهة قدراتنا الجوية. وهو ركز على هذا الجانب أكثر بعد عام 2016، ربطاً بعملنا في سوريا، سيّما أننا عززنا في تلك المدة دور المسيرات والحرب الإلكترونية. ثم إننا نملك معلوماتنا الخاصة، حول نتائج تقييم العدو للمناورة، حيث كان يقول إنها نجحت. حتى أنه في عام 2020، أعلن أنه صار جاهزاً لمواجهة أي نشاط لنا في السماء، لكن تجربته الآن أظهرت أنه لم يكن ناجحاً، رغم أننا نعمل وفقاً لمستوى مضبوط بناء على قرار القيادة. ومع ذلك، فقد فشل.

والسؤال المطروح أمامه: كيف سيكون وضعه في حال تم استخدام ما لدينا من دون ضوابط؟ وكيف سيتعامل في مواجهة أسلحة عدة تعمل في وقت واحد، من مسيّرات وصواريخ ودفاع جو وغير ذلك من الأسلحة، سيّما أنه استهلك أطناناً من المتفجرات ولم ينجح في تعطيل المسيرات؟»

ويقول القائد الجهادي إن العدو «كان يراهن بقوة على الكشف الإلكتروني المبكر. إذ يكشف المسيّرة مباشرة بعد انطلاقها. استناداً إلى ما تبثّه من إشارات. وكان قادراً على ذلك عبر منظومات «SIGINT» التي تسمح له بالتقاط إشارات المسيّرات مهما كانت بعيدة، والتقاط جسم الطائرة مهما كان الـ RCS صغيراً، وقد اختبرناه نحن من أقاصي البقاع. حتى أننا جرّبنا الأمر خلال مدة المفاوضات على الترسيم البحري. يومها أرسلنا مسيّرة فوق حقل «كاريش»، واضطر العدو إلى إرسال عدد كبير من الطائرات الحربية (أف 16 وأف35). ما حصل يومها، أن العدو التقط الإشارة، ولكنه لم يجد المسيّرة، ويومها قامت القيامة في الكيان».

ويكشف القائد عن «أمر آخر، وهو أن العدو يكذب على نفسه وعلى جمهوره، عندما يبرر فشل اعتراض مسيّراتنا بسبب قصر المسافة، أو قرب مكان انطلاقها من الهدف. علماً أن بعض المسيّرات، كالتي استهدفت منطاد «طل شمايم»، سارت عشرات الكيلومترات حتى قبل الدخول إلى مجاله الجوي. ومع ذلك لم يقدر على كشفها، ووصلت إلى هدفها. وهذا ينفي هذا التبرير. علماً أننا نعرف أنه لا يوجد مكان في فلسطين، توجد فيه كثافة تغطية على مستوى الكشف والدفاع، كما هو موجود في شمال فلسطين. وبالتالي، على العدو أن يفكر أنّ من يقدر على خرق شمال فلسطين ويصيب هذه الأهداف... فكيف سيكون الأمر في الداخل، في تل أبيب وإيلات والمدن الأبعد؟ وهي مهمة أسهل بكثير من تجاوز نهاريا أو الوصول إلى حيفا».

ويدعو القائد الجهادي الناس إلى أن «يعرفوا جيداً أن العدو يضع قبالتنا كل ثقله الاستخباري والدفاعي وأدوات الجمع. وهو عزز وجوده هناك. قبل الحرب، كانت لديه 3 رادارات للبصمات الصغيرة، وعندما أطلقنا عمل المسيّرات، صار عددها 18 راداراً، ثم زاد العدد إلى 23. اليوم لا توجد خلة أو وادٍ بلا رادار، وهذه أمور لا تقوم بها الجيوش عادة. ورغم ذلك كله، فإن مسيّراتنا «عم تقطع وتفوت وتكزدر وترجع»... ونحن، نعمل دائماً على تحسين التكتيكات والتقنيات وتطويرها، كما أننا على مستوى السلاح نعتمد تكتيكاً خاصاً بنا. القصة لعبة شطرنج. ورغم أنه قام بتحسينات، ولكننا نسبقه بخطوة أو أكثر».

كيف نفّست إبرة حزب الله المنطاد الأسطورة؟

«كيف يجيب العدو ناسه عن قصة منطاد «طل شمايم». لقد أنفق عليه مئات الملايين من الدولارات. وفيه رادار من نوع متطور جداً. وفجأة، تنقضّ عليه مسيرة نجحت في اختراق كل الدفاعات، ولم يكتشفها العدو إلا في اللحظات الأخيرة. ومع ذلك تُسقط هذه المسيرة الصغيرة منطاداً ليس له مثيل في الشرق الأوسط؟

كان لعملية الاستطلاع الدور الكبير والفعال. ناقشنا فكرة أن نسقط المنطاد وهو في الجو. وفي النهاية، وجدنا أن الأنسب لنا من الناحية العسكرية ضربه على الأرض. ولسنا مضطرين إلى أن نلحق به على ارتفاع 7000 متر، رغم أننا قادرون على ذلك.

أطلق العدو برويا غندا أساسها أنه متقدم علينا بكل شيء. وقف يؤاف غالانت بالقرب من المنطاد. وتحدث بثقة أن قواته تتقدم وحزب الله يتراجع... وفجأة، من حيث لا يحتسب، تصل مسيرة صغيرة، وتنقضّ على المنطاد وتشلّه تماماً».

هذه العبارات، وردت على لسان القائد في القوة الجوية التابعة لحزب الله، في معرض حديثه عن عملية إسقاط المنطاد. وهي عملية جاءت بعد أقل من أربعة أشهر، على وقوف وزير حرب العدو على منصة وضعت في ظل المنطاد العملاق، وأمامه ضباط وعناصر من سلاح الجو والاستخبارات. وهو لم يكن يحتاج إلى ما يزيد في استعلائه وهو يتحدث عن «انهيار معادلات ظنّ حزب الله أنه خلقها في لبنان».

غالانت، تحدّث مستنداً إلى ما يشبه «القول الجازم» لمنظوماته الأمنية والعسكرية التي أوضحت له أن، هذا المنطاد، يقوم بدوره في دعم عمل سلاح الجو. هو نفسه سلاح الجو الذي أصابته الصدمة حين وصلت الأنباء عن «حادث سيبي» في الشمال. قبل أن تسمح الرقابة بنشر أخبار مقتضبة، ثم قام حزب الله بعرض شريط فيديو، يشرح عملية استطلاع جوية لـ«منطاد المراقبة العملاق»، قبل أن يعرض صوراً إضافية بعدما نجحت مسيرة تابعة للقوة الجوية في حزب الله بالوصول إلى المنطاد وإصابته وتدميره.

سريعاً انقلب المزاج في إسرائيل. وخرج المعلقون يتهكمون على قياداتهم العسكرية والأمنية. وكتب أحدهم عن «فقاعة الهواء لبالون المراقبة» قائلاً: «أبعد من سحق الأنا والإضرار بالصمود الأمني، فإن انهيار بالون المراقبة المتطور يطغى على مشكلة إستراتيجية طويلة الأمد في المفهوم الأمني الإسرائيلي».

شكل منطاد «طل شمايم» المنصة الأكثر قدرة وتفوقاً على جمع المعلومات بحسب سلاح الجو الإسرائيلي. وهو الأكبر من نوعه في العالم، ولا يوجد مثيل له في كل الشرق الأوسط. وقد تم تطويره على مدار سنوات عدة، ضمن برنامج مشترك لـ«مديرية الجدار» في وزارة الحرب الإسرائيلية ووكالة الدفاع الصاروخي الأميركية. نقل من أميركا مفككاً في حاويات، وجمعته فرق أميركية متخصصة. اسمه الأجنبي هو (SKY DEW) والمعروف بالعبرية باسم «طل شمايم» أو «ندى السماء» بالعربية. ومقره في منطقة إيلانيا. وهو يعمل وفقاً لنظام Aerostat HAAS)). وتم تصميمه من أجل تحقيق إنذار مسبق حول الهجمات الصاروخية البعيدة المدى وهجمات المسيرات البعيدة المدى. وهو قادر على اكتشاف التهديدات المختلفة على المستويات البعيدة أو المنخفضة، مع تغذية بيانات التهديد والاستهداف إلى وحدات الدفاع الجوي الإسرائيلية متعددة الطبقات.

يحمّل المنطاد مجموعة من أنظمة الاستخبارات الإلكترونية والتي تشتمل على عشرات أنظمة إلكتروبصرية، رادارات بعيدة المدى، أنظمة استخبار إشارة، معدات اتصالات نشطة وخاملة. كما تتبع له أهداف على ارتفاعات منخفضة وفي الأودية. أما المستشعر الأساسي في المنطاد، فهو نظام الرادار المتقدم «SKY DEW» حيث يتم تركيب هوائي الرادار والإلكترونيات وأنظمة الاتصالات ذات الصلة داخل حاجب أمامي كبير من القماش قابل للنفخ تحت غلاف الغاز المستقر للضغط في المنطاد. ويحتوي على حبل مزود بكابلات بيانات الألياف الضوئية، حيث يتم إجراء اتصالات البيانات بين المنطاد ومحطته الأرضية عبر روابط بيانات آمنة من الألياف الضوئية.

يوم 16 أيار، وبينما كان متوقفاً على الأرض، اخترقت مسيرة صغيرة ورخيصة الثمن غلافه، تم تفجير البالون وسحقه». أحد أغنياء العدو الذي يغدق بتبرعاته للدولة ومشاريعها العسكرية - هو دكتور في الفلسفة إلى جانب كونه رجل أعمال - يدعى شموئيل جرلاف، كان كئيباً من الحدث، وكتب في «يديعوت أحرونوت» أن «انفجار البالون هو اختراق من حزب الله يمثل نظيراً لاختراق «حماس» للجدار العازل والأسوار في 7 أكتوبر. في شمال البلاد وجنوبها، تحطمت غطرسة التفوق الإسرائيلي التكنولوجي والاستخباراتي، ما ألحق ضرراً إستراتيجياً بأمن إسرائيل».

ملوك السماء

قصة القوة الجوية في حزب الله

كلفة المسيّرات مقابل كلفة التصدّي لها

في سياق المعركة القائمة، هناك ملف شديد الأهمية يتعلق بكلفة حرب المسيّرات. حزب الله، في النهاية، تنظيم جهادي، ولديه إمكانات لا تشبه إمكانات الدول. لكن الإدارة المادية لمثل هذه المعركة تستند أحياناً إلى أفكار إبداعية تجعل الفوارق المادية عاملاً ثانوياً.

ويقول القائد في القوة الجوية للحزب إن «الجيوش تلجأ عادة إلى إستراتيجية «الاقتصاد بالقوة»، أي عدم الإسراف في استخدام ما لديها من قدرات. إذ لا يجب استخدام قوة كبيرة في مواجهة تهديد صغير. وهذا ما جعل أسلوب الـ «soft kill» أساسياً في برنامج عمل العدو. وهو قد أعدّ إدارة مركزية كبيرة للحرب الإلكترونية لتحقيق هذا الغرض، وألغى اللامركزية التي كانت قائمة سابقاً، حيث كان سلاح الجو يقوم بعمل، فيما تقوم الوية بعمل مماثل ولكن بشكل مستقل».

ويضيف القائد الجهادي «أن جيش الاحتلال يعمد إلى استغلال هذا النوع من الحرب الإلكترونية لتسويق بضاعته، لأن إسرائيل تحوّلت مع الوقت، إلى جهة مصنّعة ومصدّرة لمثل هذه المواد المستعملة في الحروب الإلكترونية. ولنأخذ مثلاً ما يحاول العدو تسويقه الآن، إذ يُرفق عرضه لتقنياته بملف مدافع الليزر، محاولاً إقناع الزبائن، ومنهم جيشه، أنها مدافع قادرة على إسقاط المسيّرات... لكن ماذا سيقول لهم اليوم؟ هل سيتباهى بأن هذه الكبيرة التي تتحرك فيها المقاتلات، ما يضطره أيضاً إلى الطلب من سلاح المروحيات القيام بالمهمة. ويحصل أن يفشل، لكن خشيته من وصول المسيرة إلى هدفها، يضطره في بعض الحالات إلى استخدام الباتريوت، وكلفة الصاروخ الواحد في هذه المنظومة يساوي 3 ملايين دولار. وأيضاً لا يضمن إسقاط الطائرة. عملياً، ينفق العدو ملايين الدولارات في مواجهة مسيرة لا تتجاوز كلفتها الـ2500 دولار. وعندما نتحدث عن الكلفة،

> **ينفق العدو ملايين الدولارات في مواجهة مُسيرة لا تتجاوز كلفة تصنيعها الـ 3000 دولار فقط**

فنحن هنا لا نبخّس بمسيراتنا، لكنّ هناك أمر يخصّ طريقة استخدام التكنولوجيا. وهذا له تأثيره في أصل الإنتاج. هناك مسيرات تشتريها الجيوش بنصف مليون دولار. أما نحن، فيمكننا صناعة نسخة عنها باقل من 5000 دولار، بل ونضيف عليها نظام الحماية من التشويش. ولنأخذ مثالاً آخر، فإن سرب «scan eagle» الأميركي يشتريه الأردن بـ10 ملايين دولار، وهو عبارة عن 4 مسيرات مع قاعدة تحكم أرضية. ويمنع الأميركيون الأردن من إجراء عمليات الصيانة، وهو أمر مكلف. لكننا ننتج السرب نفسه بكلفة تقلّ عن 100 ألف دولار».

ويقول القائد الجهادي: «مصيبة العدو هي أنه كان يعتقد أن برنامج الحرب الإلكترونية لن تكون له كلفة كبيرة عليه. وأنه يحمي اقتصاده من سلاحنا الجوي. لكن، مجرد أنه اضطر إلى الانتقال إلى استخدام السلاح الناري في مواجهة مسيراتنا، صارت عنده أزمة مالية كبيرة. وذلك كله، وهو لم يختبر بعد بقية مسيراتنا. وهذا يعود أصلاً إلى كون العدو لا يمكنه تقدير آليات عملنا. صحيح أن قدراتنا المادية ليست بحجم قدراته، كما أن تأمين المواد ليس بالسهولة التي لديه. لكن، في نهاية الأمر، تمكنّا من بناء مصانع مع قدرة إنتاج كبيرة. نحن لا نتجاهل قدراته على تصنيع الأسلحة، ولا نغفل عن الدعم الأميركي المفتوح أمامه. وهو إلى اليوم، لا يتوقف عن القيام بكل ما يمكنه لمنع

الأخبار
al-akhbar
السبت 27 تموز 2024 العدد 5256

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات

ملحق أسبوعي

خالد الأمين... فتى الناصرية الأحمر

4

السبت 27 تموز 2024
العدد 5256 السنة الثامنة عشرة
Samedi 27 Juillet 2024 nº 5256 18ème année

[راجع ص 2-3]

* قصيدة «يوم المعاد» للشاعر اليمني عبد الله البردوني (1929 ــ 1999)

(الفنان مجهول ـ 2024 ـ عن «ارشيف ملصق فلسطين»)

طوفان الأقصى

جاؤوها من ارض النخوة والإيمان، هم الذين قال فيهم الرسول العربي: «الإيمان يماني، والحكمة يمانية، وأجدُ نفس الرحمن من قبل اليمن»، يردّون «يافا» إلى يافا وعيونهم اغرورقت بالدمع لعلّهم قد قصّروا، ربما كما يفهمون العطاء: لم تكن المسيرة اليمنية أولى مساهمات أبناء اليمن الشجعان وتضحياتهم في سبيل فلسطين، إذ سبقها تاريخ طويل من البذل والتضحية منذ عام 1948 يذودون عن ترابها، يقفون وهم المعروفون بالشجاعة والمهارة في استخدام السلاح فوق اسوار يافا والنبي داوود والمنشية وكرم التوت ويقاتلون شذاذ الآفاق والعصابات التي قدمت من جهات الأرض الاربع لتغتصب الارض التي رووا ترابها بالدم، ثم تركوا اهلهم وعائلاتهم وزوجاتهم ليلتحقوا بمعسكرات الفدائيين في الاغوار وجنوب لبنان ويهتفوا مع كل عابرٍ للحدود: «إلى فلسطين خذوني معكم». من عملية عكا البحرية (1974) وعملية كمال عدوان (1978) وليس انتهاء بمعركة قلعة الشقيف (1982) والمسيرة يافا (2024)، لم يبخل اليمنيون بقطرة دم كي لا تُضام فلسطين وتنكسر. فهم كما قال شاعرهم عبد الله البردوني: «يا أخي يا ابن الفدى فيم التمادي، وفلسطين تنادي وتنادي؟/ضجت المعركة الحمرا... فقم: نلتهب... فالنور من نار الجهاد/ ودعا داعي الفدى فلنحترف في الوغى، او يحترق فيها الاعادي». نستعرض صفحات مشرقة لعشاق فلسطين اليمنيين، ممّن لن تكون المسيّرة «يافا» آخر ما يدهشونا به، ذلك ان «الهدهد» الذي يطير فوق الارض المقدسة يتصل بهم ايضاً بنسبٍ وحكاية، وسياتينا لا بد غداً بخبر يقين عن النصر القادم لا محالة.

تقديم وإعداد **محمد ناصر الدين**

عشّاق فلسطين اليمنيون: أعطيتُ مهرها دمي

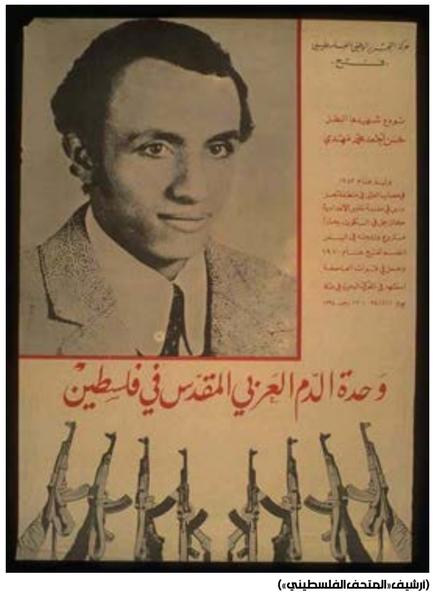

(أرشيف «المتحف الفلسطيني»)

(عن موقع «فلسطينا»)

الشهداء في حرب (1948)

يقول الباحث الفلسطيني عارف العارف في الجزء الثالث المعنون «ملاحق وسجلّ الشهداء» من كتابه الموسوعي «النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947-1949» عن الشهداء اليمنيين: «عددهم تسعة وأربعون. عرفنا أسماء واحد وعشرين شهيداً منهم، والباقون مجهولون. كلّهم كانوا في فلسطين قبل الحرب الفلسطينية، ولمّا نشبت الحرب، تطوّعوا للقتال وراحوا يقاتلون مع إخوانهم المناضلين من أبناء فلسطين، وكثيراً ما كانوا يلتقون في ساحات الوغى بيمانيين كانوا يحاربون في صفوف الهاغاناه، فلا يألون جهداً في مقاتلتهم، لأنهم (أي اليمانيين الصهاينة) أعداء الدين وأعداء فلسطين».

كان اليمنيون مثالاً للنخوة والشجاعة في ساحات الوغى أينما وجدوا على أرض فلسطين، ومنها معركة حي النبي داود، يروي العارف: «في 17 أيار 1948 ولّى الصهاينة وجوههم شطر باب المدينة، وحاولوا اقتحامها من تلك الجهة. وصعدوا إلى ذلك التلّ من الدرب السلطاني المحاذية للسور. وكانوا في باص البقعة الفوقا ذي الرقم 6، فقابلهم المقاتلون العرب (وفيهم حامية يمانية) بنيران شديدة من على السور، وقبل أن يتمكن الباص من اجتياز الطريق المذكورة المؤدية إلى مدرسة صهيون، قذفوه بالقنابل المحرقة، فاحرقوه وقتلوا من فيه ولم ينجُ إلا القليل. والفضل في صدّ الصهاينة يومئذ راجع إلى فرقة التدمير العربية التي زوّدت المدافعين بمقادير كبيرة من القنابل اليدوية، وراجمات الألغام التي صنعتها».

أما في معركة يافا، فقد أبلى اليمانيون البلاء الحسن، إذ كتب قائد منطقة كرم التوت كامل الشريف في 13 شباط (فبراير) 1948 تقريراً إلى قيادة الحامية عن معركة تل الريش التي كان عدد البنادق العربية فيها لا يتعدى السبع، وكانت بيد مجموعة من المناضلين الفلسطينيين والعرب يقودهم الشيخ حسن حسونة من تجار الخضار في يافا وهو لدّي الأصل، وكان أول عمل قام به هؤلاء المناضلون انهم اشتبكوا مع الصهاينة في قتال بين تل الريش ومستعمرة حولون الواقعة إلى الجنوب الشرقي من يافا. ورغم قلة سلاحهم كان النصر حليفهم، فقتلوا عدداً كبيراً من الصهاينة، كما قتلوا قائدهم كاتس ودفنوه في تل الريش. وفي التقرير نفسه، يعدّد الشريف أسماء الشهداء، فيذر من بينهم اسم الشهيد مصلح اليمني، إذ كانت يافا تضم عدداً من اليمنيين والحجازيين الذي عملوا في أسواقها وبساتينها وبياراتها، وكانوا مدربين قبل قدومهم إليها وشجعاناً ومهرة في استخدام السلاح. وكانوا رغم ضيق حالهم يقدمون الشهيد تلو الآخر على محاور البصة وكرم التوت والمنشية، فيكتب قائد فرقة البصة وشارع سلمة في تقريره المرفوع يوم 14 شباط (فبراير) عن صد هجوم صهيوني على المنطقة ويختم: «تمكّنا من ردّهم خاسرين، وقد استشهد أثناء ذلك المجاهد كايد القحطاني اليمني وهو في استحكامه في الخندق الأمامي رحمه الله». ومن الشهداء اليمنيين مثنى حسين اليماني، مواليد اليمن وسكان معان في الأردن، من السرية الثانية عشرة التي كانت متمركزة في الخليل في 12 أيار (مايو) 1948 وتحركت صباح ذلك اليوم لمواجهة الصهاينة في مستعمرة كفر عتصيون واشتبكت معهم حيث قضى مثنى نحبه. أما قبيلة العرادة اليمنية، فتفتخر بشهادة ابنها حسين العرادة الذي انطلق من مأرب عام 1948 مع نجله أحمد تلبية لنداء الجهاد في فلسطين. يروي أحمد ما جرى عليه وعلى والده في تلك المعركة للكاتب اليمني مخلص برزق: «كنّا مع المتطوعين في محافظة القامشلي في سوريا، وكان المفتي الشيخ أمين الحسيني يأتينا على حصانه الأبيض ويحرّضنا على القتال والجهاد والدفاع عن أرض الإسراء والمعراج... ودخلنا بعدها في فلسطين وتجولنا في الضفة الغربية مع المجاهدين ومررنا خلالها بالقدس وصلّينا في المسجد الأقصى. ثم انطلق والدي ببندقيته الإنكليزية (11 طلقة غير أوتوماتيكية) وأرجعني أنا، ابن الرابعة عشرة إلى معسكر المتطوعين في سوريا، ثم انقطعت أخباره. وبعد شهر تقريباً، إذ بعجوز سورية تقول لي: أنت ابن الحجازي؟ (وكانوا يطلقون عليه هذا اللقب)، فأجبتها نعم، فقالت: الله يرحمه...

استشهد في النقب في جنوب فلسطين مع أربعة من الشمامرة السوريين (من قبيلة شمّر). فما كان مني إلا أن اتجهت بمفردي إلى دمشق، ومنها إلى جنوب القنيطرة. وبعدما قطعت الجولان ووصلت فلسطين، فأحاط بي الصهاينة وساقوني إلى معتقل كبير كان عبارة عن بستان محاط بسور طيني جمعوا فيه أعداداً كبيرة من الرجال والنساء والأطفال وساموهم صنوف العذاب. كان الصليب الأحمر يأتينا بالطعام قرابة تسعة أشهر حتى جاءت طائرات مصرية من الفالوجة وألقت منشورات تطلب منّا التوجه نحو البوابة الشمالية الشرقية، وألقت قنابل على السور فهدمته، ففررت ومررت بأحراش كثيفة من الصبار، ثم بدأت القذائف تنهال علينا من الصهاينة فاخترقت إحدى شظاياها بطني وأغمي عليّ على الفور. استفقت في إحدى مستشفيات غزة التي بقيت فيها 11 شهراً ثم انتقلت منها إلى السعودية واليمن، وتركت والدي خلفي في فلسطين يحتضن ثراها المبارك».

والشهداء اليمنيون الذين أحصاهم العارف في موسوعته هم: محمد حسن عبده ومحمد عبد الله (استشهدا في معركة يافا)، وأحمد جبران، أحمد الحبيشي، صالح الحاج، وعبد الله محمد، عمر سلمان محمد علي، كايد رضوان، مصطفى إبراهيم، منصور محمد الحبيني (استشهدوا في جنوب القدس)، محمد علي حسن وعبده الحباشنة (استشهدا في النبي داود) وعايش أحمد اليمني، أحمد حبيش، يحيى عبيده، سعيد عبد الجليل، شمسان مقبل، محمد سعيد، بكاش محمد عامر، ومحمد حسن اليمني (استشهدوا في أماكن متفرقة في حرب 1948).

المراجع: عارف العارف . «النكبة» (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012) ومخلص برزق . «فلسطين واليمن: علاقة ممتدة عبر الزمن» (الوعد للنشر والتوزيع، صنعاء، 2001).

بطل معركة عكا البحرية (1974)

نقلت صحيفة «السفير» اللبنانية (العدد 142، 16 أغسطس 1978) عن وكالة «وفا» الفلسطينية مجريات معركة عكا البحرية التي خاضتها فرقة رجال الضفادع الفلسطينية التابعة لقوات العاصفة قرب شواطئ عكا في المياه الإقليمية الفلسطينية في العاشر من الشهر نفسه. وفي التفاصيل أن مهمة الزورق الفلسطيني كانت قصف عدة منشآت وأهداف حيوية للعدو داخل مدينة حيفا في فلسطين المحتلة، وقد تم تسليح الزورق بإثني عشر صاروخاً، إضافة إلى الأسلحة الفردية من رشاشات وقنابل يدوية. لكن المجموعة، وقائدها الشهيد حسن أحمد محمد مهدي (مواليد تعز، 1953) اصطدموا بينما كانوا بالقرب من مدينة عكا بمدمرة إسرائيلية كشفت مواقعهم، وفي الوقت ذاته كانت هناك ثلاثة زوارق إسرائيلية أيضاً تقوم بمحاصرة الزورق الفلسطيني وتطلب إلى من فيه التسليم. هنا تشاور الثوار سريعاً واتفقوا على التظاهر بالتسليم حتى إذا ما أصبحت الزوارق الإسرائيلية بمحاذاتهم فباغتوا من فيها بنيران رشاشاتهم وقذائفهم الصاروخية. وبالفعل، اقترب أحد الزوارق وعندها تناول المناضل اليمني رشاشه وبدأ برمي العدو بنيران غزيرة، بينما قام زملاؤه بقصف الزورق الإسرائيلي بالقنابل اليدوية المضادة للدروع، ما شكّل مفاجأة للعدو أوقعت في صفوفه الكثير من الخسائر البشرية، إضافة إلى إعطاب الزورق. ثم استمرت المعركة مع الزوارق الأخرى حتى أصيب خزان الوقود الاحتياطي فانفجر، ما أدى إلى تدمير جزء من الزورق الفلسطيني. وعندها قام القائد اليمني بتشغيل أقصى السرعة بالزورق بينما ألقى الثوار بأنفسهم في البحر مشتتين انتباه العدو عن الزورق الذي مضى مسافة من الأمتار، ثم وقع فيه انفجار آخر وبدأ يغرق في مياه البحر تحت الأضواء الكاشفة. وصل مناضل فلسطيني وحيد سالماً إلى قاعدته التي انطلق منها بعد سبع ساعات من مغالبة الموج. أما الآخرون، فقد أمكن بعد ساعات وبواسطة الضفادع البشرية من انتشال جثة أحدهم والعودة بها إلى القاعدة، وهي جثة المناضل اليمني حسن محمد مهدي (أيمن الشمالية) الذي كان يعمل بحّاراً في الكويت وترك زوجته في اليمن لينضم إلى صفوف الثورة الفلسطينية عام 1970. نقل جثمان الشهيد إلى دمشق ومنها إلى «وصاب العالي» في تعز ليدفن في ترابها احتراماً لوصيته التي كتبها بخطّ يده. يمكن اعتبار «أيمن الشمالية» من أوائل الشهداء اليمنيين في صفوف الفدائيين، إذ لم يسبقه سوى الشهيد محمد سعيد باعباد (أبو السعيد) الذي ولد في حضرموت والتحق بالكلية العسكرية في القاهرة. وبعد نكبة 1967، التحق بالفدائيين في الأغوار واستشهد حين اكتشفته دورية إسرائيلية وهو يستطلع إحدى الثغرات عند نهر الأردن أثناء تحضيره لعملية فدائية عام 1970، ليوارى في ثرى مدينته قصير في حضرموت. ورثته المقاومة الفلسطينية في بيان مؤثر جاء فيه: «يا أهالي قصير، ارفعوا رؤوسكم إنّ بطلكم جاء إلينا ولم يذكر الرتب التي يحملها وقاتل معنا كأيّ جندي».

مجموعة دلال المغربي (1978)

لم يبخل اليمنيون في بذل الدماء والأنفس في سبيل القضية الفلسطينية، فانضم كثيرون منهم إلى الفدائيين في حركة «فتح» و«الجبهة الشعبية» و«الجبهة الديمقراطية» و«الكتيبة الطلابية». فكان الشهيدان اليمنيان عبد الرؤوف عبد السلام (أبو أحمد اليمني، صنعاء 1956) ومحمد صالح الشمري (شمّر، 1958) من الكوكبة التي قضت نحبها في عملية الشهيد كمال عدوان التي قادتها المناضلة الشهيدة دلال المغربي. وعن ظروف استشهاد عبد السلام، يروي بهاء شاتيلا (الإسم الحركي) أحد المخطّطين للعملية والمكلّف بعملية إنزال أفراد المجموعة الفدائية إلى الشاطئ الفلسطيني في حوار مع الزميل أيهم السهلي: «تحركنا في اتجاه منطقة الإنزال، وحين وصلنا إليها، شاهدت على رادار الباخرة زوارق متجهة نحونا، وكانت من طراز «الدبور» الذي يتميز بسرعة شديدة، ومحمّلة برشاشات عيار 800 ملم. أشعل القبطان ضوء الاستغاثة باللون الأحمر، وهو من الأمور المتعارف عليها في البحار حين تحدث مشكلة ما للسفن. وصل الزورقان: الأول بقي بعيداً منا بمسافة قريبة، والآخر اقترب بمحاذاتنا، وصعد منه إلى ظهر السفينة، ضابط برتبة عالية ومعه عدد من الجنود. سأل القبطان عن سبب مرور السفينة في المنطقة، وعن الحمولة التي لديه، فأخبره جورج عن العطل الذي أصاب البوصلة، فذهب الضابط ومَن معه مع القبطان ومهندس السفينة التونسي للتأكد من المشكلة. وبعدما تأكدت الدورية الإسرائيلية من العطل، منح ضابطها القبطان مدة ساعتين لإصلاح العطل، أو التحرك في اتجاه آخر. وكانت هذه المدة كافية لإنجاز الإنزال والابتعاد عن الموقع. غادر الإسرائيليون السفينة، وبقيت أراقب الرادار حتى اختفوا تماماً. عندها خرج أفراد المجموعة من العنابر، وبدأنا التجهيز: أخرجنا الزوارق والأسلحة وسائر المعدات الخاصة بالعملية؛ نفخنا الزوارق، وأنزلناهما إلى البحر، فاكتشفت الشهيدة دلال المغربي أن أحد الزوارق فيه تسرب للهواء؛ الزوارق كانت مكونة من خمس طبقات، والعطب كان في طبقتين فقط، ما يعني أنه يمكن استخدامه مع تخفيف الحمولة التي عليه. وكان المخطط أن يصعد في الزورق الأول 7 فدائيين، وفي الثاني 6 فدائيين، لكن بسبب العطب، نقلت أحد الفدائيين من الزورق الثاني إلى الزورق الأول، فصاروا 8 في الزورق الأول، و5 في الثاني. انقلب الزورق الثاني في البحر، وغرق الشهيد أبو أحمد اليمني، وكان محمد الشرعان (وائل) مكلفاً قيادة المجموعة في هذا الزورق، مع الاستمرار في نفخ القارب أثناء مكوثهم فيه»، أما الشهيد الشمري فقد استشهد في المواجهة البطولية والشرسة التي خاضتها مجموعة دلال المغربي التي نجحت في الإنزال على الشاطئ الفلسطيني.

المراجع: «بهاء شاتيلا: السيرة البحرية لعملية كمال عدوان: حوار مع أيهم السهلي» (مجلة الدراسات الفلسطينية، صيف 2023، العدد 135).

«الكورال سي»: انظروا إليها تحترق!

أما «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، فقد انضوت تحت لوائها مجموعات يمنية شاركت في فرع العمليات الخارجية ومنها عملية قصف سفينة «الكورال سي» عام 1972. وقد جاء في بيان الجبهة الشعبية في حينها: «كورال سي سفينة ناقلة حمولتها حوالى 85 ألف طن من الزيت، ويعمل فيها حوالى 40 بحاراً، وتشتغل على خط إيلات-خرج في الخليج العربي. وقد وصلت الناقلة في الساعة الثامنة من صباح اليوم الثامن من نيسان (أبريل) 1971 وغادرت في العاشر منه في السابعة صباحاً، متجهة إلى ميناء خرج الإيرانية. وفي طريق عودتها من خرج، وجّه إليها فدائيو الجبهة الشعبية وهي في طريقها إلى الشمال من جزيرة البريم عند مدخل مضيق باب المندب خمسة صواريخ أدت إلى احتراقها. ومن الشهداء اليمنيين الذين نعتهم الجبهة الشعبية ووردت أسماؤهم في «سجل الخلود»: الشهيدان مهدي سالم القصار وعبدو حميد غالب (استشهدا في منطقة غور الصافي، الأردن أثناء تصديهما للعدو الصهيوني)، وعبد الله محمد ناجي المراني الذي استشهد في عملية ضد عملاء جيش أنطوان لحد في كفرفالوس في جنوب لبنان (1989)، ومحمد حسين العطاب (استشهد في جبل لبنان عام 1983) وأحمد عزمي العوالقي (استشهد في مغدوشة عام 1986).

المرجع: الأرشيف الخاص بـ «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»

قلعة الشقيف (1982)

أما الكتيبة الطلابية التي عرفت باسم «كتيبة الجرمق» التي تمركزت في قلعة الشقيف، فبرز فيها الشهيد عبد الكريم الكحلاني الذي شغل منصب نائب قائد الكتيبة. التحق الكحلاني في أواخر السبعينيات من القرن الماضي بمعسكرات المتطوعين للعمل الفدائي في صنعاء، ومنها انتقل إلى جنوب لبنان لينتظم بكتيبة الجرمق مع كوكبة من المقاتلين اليمنيين الذين أفرد له معين الطاهر مقطعاً كاملاً من كتابه «تبغ وزيتون»: «تدفقت أعداد كبيرة من اليمنيين الذين التحقوا بصفوف «فتح»، وكانوا في غالبيتهم قد تلقوا تدريباً عسكريًا عاليا في صفوف الجيش اليمني على مختلف صنوف الأسلحة. تميّز المتطوعون اليمنيون بالصلابة والروح القتالية العالية والجاهزية الدائمة للقيام بالمهمات الصعبة. اندمج هؤلاء الإخوة بسهولة في حياة الكتيبة ومهماتها اليومية، وتولى بعضهم لاحقاً مهمات قيادية فيها مثل الشهيد عبد الكريم الكحلاني (عبد القادر اليمني) الذي أصبح نائباً لقائد قلعة الشقيف واستشهد فيها وكان سابقاً رقيب أول في الجيش اليمني، وحاز محبة إخوانه وثقتهم، وكذلك الشهيد أبو رعد اليمني الذي أصبح قائداً لمجموعة رشاشات ثقيلة مضادة للطائرات من عيار 37 ملم، وهو الذي تولى تدريب إخوانه على هذا الرشاش الذي دخل في الخدمة خلال وجوده معنا، وكان يعمل في الجيش اليمني على الرشاش ذاته. وقد تمكّن أبو رعد ومجموعته من إسقاط مروحية إسرائيلية «هوت» محترقة مساء السادس من حزيران (يونيو) 1982 على إحدى تلال النبطية، وكانت تقلّ عدداً من ضباط الأركان الصهاينة. كان اليمنيون مثالاً ساطعاً للمقاتل العربي الذي لو أتيح له الوصول إلى مناطق التماس مع العدو الصهيوني لحقّق الكثير من الإنجازات». تذكر عائلة الكحلاني أنّ أخاه قد طلب منه مرة أن يعود إلى اليمن من أجل الزواج وتأسيس عائلة، ليجيبه البطل الذي رفع العلم الفلسطيني فوق القلعة واستشهد أثناء غارات طائرات شارون عليها: «لقد تزوجت فلسطين وأعطيت مهرها دمي».

(عن موقع «فلسطينا»)

ملف

كتابٌ يستعيد ذاكرة الشاعر خالد الأمين المعمَّدة بالدَّم

فتى الناصريّة الأحمر... «لبعض السّفر أحتاجك» (*)

جاء كامل محتوى كتاب «خالد الامين: لبعض السفر احتاجك» (دار قارات للنشر والتوزيع ــ بغداد، 2024) نتاج جهدٍ مضنٍ انكبّ فيه محرّره الشاعر العراقي المقيم في المغرب علي البزاز. بالبحث الحثيث والتجميع شبه الكامل لارشيف الشاعر خالد الامين، على مدى ما يزيد عن عشرين عاماً. في تلك المدة، تعرّف «إلى اشخاص ادّعوا امتلاكهم قصائد ومقالات له، لكنهم للاسف لم يفوا بشيء. يُذكر كانما يراد لسر الامين ان يبقى في تخاريس اسرار وفي طبقات وعود فقط، منطوياً على تخفٍ وخوف من العلن» وفقاً لما يقول البزاز. يفتتح الاخير الكتاب بسيرة وجيزة للشاعر، لانها ربما تشكّل المفتاح الاساس للتعثر والتاخر في تجميع تراثه المكتوب: خالد الامين من مواليد 1945 لاسرة ميسورة من اصول كُردِيّة في مدينة الناصرية، جنوب العراق، ولمدينة الناصريّة سماتٌ خاصّة في تاريخ وجغرافيا العراق، فهي المعقل الاهمّ من بين معاقل الحزب الشيوعي العراقي، حيث أعلن تاسيس الحزب الشيوعي العراقي في 31 آذار (مارس) 1934. هنا ايضاً تشكّلت اوّل خليّة حزبيّة من عمّال معمل الثلج، حيث اشتغل يوسف سلمان فهد، مؤسّس وسكرتير الحزب الشيوعي. كان المناخ الثقافيّ العامّ في المدينة، بتنوّعها الديموغرافي في ملل وطوائف واعراق كثيرة، عامل جذب لكثير من الشباب، للانخراط في تنظيم الحزب الشيوعي العراقي، ذي التفكير السياسي الاكثر دفاعاً عن التنوع المجتمعي.

ترعرع الامين في المدينة، ونال شهادة البكالوريوس في الإدارة والاقتصاد، واشتغل مديرا لدائرة التقاعد والضمان. انتسب إلى الحزب الشيوعي العراقي، ثمّ إلى «تنظيم القيادة المركزيّة»، المُنشقّ عن اللّجنة المركزيّة للحزب الشيوعي العراقي، الذي قاد حركة الكفاح المسلّح في اهوار الناصريّة ضدّ حكم البعث في العراق عام 1968. فشلت الحركة يومذاك، وكان يُديرُ معاركها، الشهيد خالد احمد زكي (احد ابطال تحفة حيدر حيدر «وليمة لاعشاب البحر»). اعتقل الامنُ البعثيُّ خالد الامين في الناصريّة وسجنه في «قصر النهاية» سيّئ الذّكر.

كجلّ ماسي القمع والاغتيال السياسي في العراق، نجدُ انفسنا امام شاعر لا قبر له، اريد له ايضاً، ولاسباب سياسيّة وايديولوجيّة بحت، ان يكون ايضاً شاعرا لا كتاب له، في ظلّ تبعيث الثقافة العراقيّة بعد سحق الحزب الشيوعي ومحو كل اثر للفاعلين اليساريين فيها، ولا سيما إذا كانوا ممن تمّت تصفيتهم جسديا: ليتّخذ هذا الإجهاز بُعداً مزدوجاً: القتل الجسدي متبوعاً بالقتل الرمزي (الثقافي).

اخترنا من مادّة الكتاب قصائد من مجموعتين شعريّتين وذيّلنا مختاراتنا هذه بمقاطع من مقالة يتيمة حول فلسفة هيغل، تبرهن على انّ الشاعر لم يكن فقط متعدّد المواهب الإبداعيّة، وإنما كان له ايضاً اطلاع على ثمرات التفكير الفلسفي. ان الآن لروح خالد الامين الهائمة ان تستريح في قبره الرمزيّ: كتاب اعماله، الناقصة حتماً.

1. منفضة الاصابع المحشوّة بالاصوات

أتنسى الأبوّة؟

أتنسى افتتاحات المدن... والعوائل الوديعة
وتلويث الرّجال، واحتلالنا الحدائق
هنيئة الرّقبة التي تحمل رأس البلاد
وهو بلا صوت... وبلا أحد
وهو يطرد جثّته عن ثواب الحصيرة
يا مجد العربة... «أتشفى؟»
ويا عواء الجنود... يا ضرع النّباح
أيّتها الشعوب المطرودة كالكلاب
تحت أبنية المشانق
أنت للسنين التي بلا براءة...
وللقتلة الذين بلون الأقمار
ثمّ للأحبّاء والحبيبات...
إنّما الأراضي... تساوي البيوت
والرّفوف حيث تبرص الأمطار
وتساوي الرّضع
ونحن الآن عليها أثمن
وأنت بين الخيانة والتّوبة مجاذيف
خجولة
وخلف إبهامك تجري مواقع العمليّات وملاحظات الانحطاط
ولعق المدن
والهجرة من غرفة لغرفة
رحيلك أم البساط؟
أم الزّنج؟
الوسادة أم رأسي منذ ألف عام،
ينطق على الأعمدة؟
أم التنهّدات الصّغيرة في رئة البنات؟
أم الزاوية التي تدخلها الصّحراء؟
في سفينة حليبية
ألمح الحمامة الابتهاليّة وأنت كالزّلزال
تهجين بين ظما الأعضاء
ويقارب جدل العيون
استنكاف البرهان
وتحبّذ لو تسترِيح من تسميات
الإسراف
أو قنص الانزواء والرّكض خلف
التماثيل
أتوسّل توهّم التفسير
وأتمايل بين النّجوم
وأنا وحيد، وصغير، واستثنائيّ.
أقول:
ما بال الباب اعتذرت
تقول وهل ذراع السّفر غير عواطف خاسرة
يا فوّهة النّدم
أيّتها العيون الكوخيّة
بيننا المزاج المعمّق، والخطأ المبهم
واللّغة أنت وأنا الإصغاء...
أين تمضي... كيف تموت
خسرنا
وتشقّقت أسافل الجسارة.

أتنسى الأبوّة؟

أتنسى افتتاحات المدن، والعوائل الوديعة؟
وتلويث الرّجال، واحتلالنا الحدائق.
هنيئة الرقبة التي تحمل رأس البلاد
وهو بلا صوت، وبلا أحد
وهو يطرد جثته من ثواب الحصيرة
يا مجد العربة... «أتشفى؟»
ويا عواء الجنود... يا ضرع النّباح
أيّتها الشعوب المطرودة كالكلاب
تحت أبنية المشانق
أنت للسنين التي بلا براءة
وللقتلة الذين بلون الأقمار
ثمّ للأحبّاء والحبيبات
إنّما الأراضي تساوي البيوت
والرّفوف حيث تبرص الأمطار
وتساوي الرّضع
ونحن الآن عليها أثمن
وأنت بين الخيانة والتوبة مجاذيف
خجولة
وخلف إبهامك تجري مواقع العمليّات وملاحظات الانحطاط
ولعق المدن
والهجرة من غرفة لغرفة
رحيلك أم البساط؟
أم الزّنج؟
الوسادة أم رأسي منذ ألف عام،
ينطق على الأعمدة؟
أم التنهّدات الصّغيرة في رئة البنات؟
أم الزاوية التي تدخلها الصّحراء؟
وأنا وحيد، وصغير، واستثنائيّ.
أقول:
ما بال الباب اعتذر؟
تقول: وهل ذراع السّفر، غير عواطف خاسرة؟
يا فوّهة النّدم،
أيّتها العيون الكوخيّة
بيننا المزاج المعمّق، والخطأ المبهم
واللّغة أنت وأنا الإصغاء...
أين تمضي... كيف تموت
خسرنا
وتشقّقت أسافل الجسارة.

اعتقله الامنُ البعثيُّ في الناصريّة وسجَنه في «قصر النهاية»

فما نفع الدّيوك المعطّرة؟
وما نفع البحر بالزّوارق التي تكفّر
عن نفسها؟
نحو الوراء.. يتقدّم الآتي،
هذا نصيب الكلّ
وولّى الفجر الذي نصعد إليه
وها هو الانتظار يبدأ نقطة.. نقطة
وبجلبة واحدة.
إلى أيّ الغرف ذات الويل... يقودني؟
بعنق غيرك لاحقت أرياف الإعدام.
عزلة مغطاة بأفخم الإنكسارات
تجري من دون توقّف ضدّ حافة
الفضاء
هي مياه الحديقة
وهي هذا المساء ذو العضلات
والأكفّان الزرق
بينما زجاج الفاقة وحده
الذي يصنع محطة لعشب مثير.

3. اطفال بوداعة النسور

أنفاق بوداعة النّفور.
لا يمكن عادة
لا صوت، لا لون، سوى الشعور
بالرّأس بنفصل متسامحا
كم كان مؤكّدا، ولأيّ سبب، أن أظل
ثعلباً من العنب المتفاخر
عندما عبر الموتى باردية الحمّام
هل سيتسنّى لي أن أرى البحر...؟
وأعود ثانية لأتمشّاك... لأضمّك
كالعضة إلى لحم قلبي...
أنت يا سمائي الوحيدة، التي تمشين
معي في كليّة دائمة، هل صار للحب
إلهام أن يضغط بكلّ هامته...
على أنفي... ليخفض أطفال الفوائد
تحت تاج التداول...؟
أنفاق من المقاعد الطائرة
حيث لا صوت، ولا لون، سوى
الشعور بالرأس بنفصل متسامحا.
أمشاط حزينة، رتّبت كلّ دمعي في
مربط الورد، كم هو العزاء الذي تريد؟
إذ لا تشعر بيديك، غير طائر مبكّر
في لقاء من سدى
إذ لا يصبح صدرك غير رقيقة من
الزبد المملم...
وسوى الشعور بالرّأس ينفصل
متسامحا.

4. الالم الذي لا يقنع

الألم الذي لا يقنع المسافر بالعودة،
هو الذي يجعل على حافة المطر وردة
وإنّي أختنق بغبار المقاومة...
تلوح ثمّة ظاهرة هي إجبارية،
أن يكون القلب حيّا في وطن ميّت.

5. موت خصوصيّ

سألوني عن أجمل الأموات
تحجّجت... ثم حوكمت على رقعة
صدري الأيسر
وأعدمت رمياً بالانتظار...
وبالقنابل المسيلة للذكريات.
هذه أوّل عضلة سقطت من محفظة
القلب
وهي بلوريّة... ولها أثداء لا تردّ
أمّا الأعوام القذائفيّة، فهي الجلوس...
على سطح القذفرة بل وعلى قبّعة
النواة
والزمن هذا... هو جمجمة التنك...
تجلس فوق خيمة الأعمى.
وعندما هربت الغابة من شجرها،
وركبت الشاحنة
لم تقصد الإيذاء
نزعت الشوارع الاجتماعيّة، ولبست
القميص الخالي،
وبطريقة التجربة على الغدر
والإشارة.. الإشارة من الخارج.
الإشارة.. والصدمة من الخارج
والخارج من الخارج.
والهواء العاري المقشّر السيّال
يهرب... من عضو الاصطدام صوب
قرية الصيّاد
والفراشة العسكريّة تختنق بين
رفسات الحدائق
وهذا وحده من الداخل إلى الخارج
ويسمّى بحقيقة الاغتصاب
الجماعيّ.
ووحشتي تغلق غيمتها... تتقهقر...
تبحث عن بكاء ما،
ووحدي أسمع النّهمة الأولى.

ما عثر عليه من مقالة عن هيغل

كان هيغل يسعى إلى صنع منهج كاشف لحياة الإنسان التاريخيّة في وجود شعب أو تاريخ، وما الفرد المحدود هنا إلّا تجريد الفرد المحدود في ذاته، لأنّ الكليّ هو الشخص. وبهذا، فإنّ وصف هذا الكليّ من الحاجات الممثّلة حتى أعلى تنظيم اجتماعي (الدولة) هو ما يكوّن الذاتيّة والموضوعيّة فيه في آن واحد. وبهذا فإنّ كلّ اكتشاف لروح الفرد بالنسبة إليه، لا يتم إلّا عن طريق هذا الواقع الأخلاقي وعبره. يكشف فيها مصيره لأنّ روح روحه هذه «العادات والحياة الكليّة» لا تتجاوزه بل هو الذي يحيل إليها. وروح شعب، هي التي توفّق بين الواجب الوجود وبين الوجود، وهي حقيقة تاريخيّة تتجاوز الفرد تجاوزاً لا حدّ له. لكنّها تتيح له أن يكشف ذاته موضوعياً لأنّها ليست مثالاً أعلى هنا، وبهذا فهو يبتعد عن نظرة الفرد الفعّال كما عند كانط وفيخته. وبهذا، فإنّ الحياة الرّوحيّة هي وصف لحياة شعب، وتمثّل تجسيداً لما هو فرديّ وكليّ في آن واحد.

الدّين برهة اساسيّة من البرهات في عبقريّة شعب أو جماعة.

ويستوحي هيغل من روسو فكرة الدين الذاتيّ والدّين الموضوعيّ، فالدّين الموضوعيّ يدع نفسه ينظّم الراهن ويخرج من مذهب ويقوم في كتاب وينقل إلى الآخرين بالكلام، بينما الدّين الذاتيّ لا يظهر إلى الخارج إلّا بالمشاعر والأعمال. فهيغل يرى واقع الإنسان الفعليّ في عمله، وهو الذي يعتبر تاريخ العالم الحكم على قيمة هذا العالم.

(*)، خالد الأمين. «لبعض السفر أحتاجك» ـ تحرير وتقديم علي البزاز ـ «دار قارات للنشر والتوزيع» بغداد، 2024.

شهادة

شاعريّة الشّخص الحيّ

عبد الرحمن طهمازي *

في منتصف ستينيّات القرن الماضي، تعرّفت إلى خالد الأمين في بغداد وكان الوقت ملائماً لعقد صداقات غير طارئة؛ حيث كلّ شيء يدفع إلى أن يكون الشبّان اليساريّون مقبلين على التعايش في جوّ منطلق، هو في الأساس جوّ سياسيّ تنسجه ثقافة أدبيّة من السّهل وصفها بأنّها ثوريّة. فقد كان الأدب يمنح غطاء للتطلّعات غير الأدبيّة التي لم يكن الواقع العام يستطيع تلبيتها بصراحة. وأنا أذكر جيداً أنّ من بين ما يمكن وصفه بعوامل الانجذاب الشخصيّ حداثة ما كان يلبسه خالد والملاحة التي يتمتّع بها فتى تتناسب فيه البهجة والحسن مع تلقائيّة ذات أثر غير عابر، مع نحافة كان فيها من العافية ما لا يدفع إلى التفكير بأنّه كان عليلاً، بل هو العكس تماماً. إنّه سرعان ما يوصل إليك انطباعاً بكونه يستحقّ حياة تليق بإنسان يتمتّع بإرادة لا ينقصها التفكير المتأنّي والسخاء العاطفيّ.

ربّما جاء خالد إلى بغداد طالباً جامعيّاً قبيل منتصف ستينيّات القرن الماضي، جاء من مدينة الناصريّة، وما لبث أن اعتبره الزّملاء البغداديّون واحداً منهم، وهو ما نعرفه عن أهالي الناصريّة الذين تجانسوا مع اختلافاتهم العرقيّة والدّينيّة قبل أن يغادروا مدينتهم، ويعود هذا في الأغلب إلى ظروف نشأة المدينة التي شيّدها إداريّاً وحضريّاً بعض السوريّين من أرمن حلب في نهايات القرن التاسع عشر. في ذلك الوقت، تعرّفت إليه شابّاً يساريّاً ترتشف شيئاً من أنين تشيخوف وتوتّب سارتر مع الوعود الأصليّة لماركس ولينين وتروتسكي...

كانت المرحلة آنذاك ما زالت انتقاليّة من الناحية السياسيّة، فلا النظام الملكيّ قد تشبّع بالمجتمع، ولا المجتمع قد استوعب الجمهوريّة بعد، وقد بدا هذا الفراغ الانتقاليّ قاسياً منذ 14 تموز و8 شباط و8 تشرين، وهذا الفراغ المشوّش كان باستمرار يهدّد بوضع استبدادي سواء أكان حكوميّاً أم أهليّاً. وإذا جاز لي الاختصار، فإنّ خالد الأمين عرف تطور شخصيّته الشاعريّة في تلك الأثناء. وحين عرفته، كان يرتجل بعض الأفكار بشكل موهوب، ويستطيع المواصلة من دون أن يخونه الذكاء. كان كلامه يتقطّع من دون أن يقاطعه أحد وقد بقيت هذه الصّفة الفولكلوريّة في شعره: التقطّع أو التفكّك الذاتي الذي يشكّل النسيج غير المحسوس للإيقاع، أي: تضارب أجزاء الكلمات حين تريد أن تتوصّل إلى ما نسمّيه قصيداً. إنّ شيئاً من عدم الوضوح كان يحاصر الشبّان آنذاك ويضايقهم ويجعلهم يختارون الانطلاقة قبل تهيئتهم للبناء. دم الشباب الحارّ الذي لا تنقصه الجروح.

كان خالد يعمل في السياسة ونشط مع جناح القيادة المركزيّة للحزب الشيوعي العراقيّ ثمّ اعتقل في بداية السبعينيّات (ربّما في عام 1971)، وخضع للتعذيب في «قصر النهاية». وأصيب بالغانغرينا في إحدى رجليه ونقل إلى المستشفى واختفى. وقد يكون اختفى قبل وصوله إلى المستشفى (هذه رواية أحد الذين تقاسموا معه المعتقل). لا أدري إن كانت هناك رواية أخرى، ولا أستطيع إلى الآن أن أطيق هذا الاختصار لكنّي لم أجد قولاً آخر يمكن الاطمئنان إليه. هكذا ضاع خالد الأمين. ضاع قبل أن نستطيع إقناعه بالعدول عن الغرق في العمل الحزبيّ آنذاك حيث البطش في حدوده القصوى من السريّة وحيث باعة الضمائر يلبسون قفّازات الحرير ويسلّمون المطلوبين إلى برائن الجلاوزة يداً بيد. أولئك الباعة المتوغكون والمتبرّجون في الوقت نفسه: تخانثوا واسترجلوا كلّما بدت لهم المصلحة الخاصّة مطيّة للرّعاديد (هذه حالة يمكن تسميتها الطاعة العدوانيّة كما لخّصها أحد فلاسفة السياسة).

إنّ آخر مبادرة من مبادرات أريحيّته هي التي قادته من الكرم إلى المجهول، فقد يكون من بين أضيافه من ترك خيوطاً لحياكة المصيدة التي وقع فيها، أو يكون غير ذلك من الأقدار التي نفرّ منها إلى أقدار أخرى كما قيل.

ولعلّ من أهالي بلدته من يستطيع أن يلمّ شعث الذاكرة، فقد كان يضمّن شعره الرسائل الشخصيّة، أي إنّ هناك ما هو مشترك بينه وبين الآخرين، بل هناك معايشة متّصلة بالشعر، والثقافة والسياسة والحياة.

من الممكن للمرء في مثل حالتي أن يتنفّس بأسف أو بغيره مع تصوير شكسبير للقرار الذي هو تحت إمرة الذاكرة أو للإرادة تحت إجراءات التقصير. نتنفّس من دون إسادة إلى كثافة التعبير الذي لا يفارق التجربة التي انغلقت والتي تنفتح الآن أيضاً.

ذهبوا بخالد إلى الغياهب ولم يعد. أمّا أشعاره والبقيّة من أدبه، فقد كانت موزّعة عند عدد من معارفه وأصدقائه، وكأنّ ذلك امتداد لعدم الاكتراث إلّا بما هو جوهري في حياته، وهو الإيمان المطلق بالعدالة على أنّه شاعريّة الشخص الحيّ نفسه من دون سواه.

هنا أو بعد هنيهة، يستطيع القارئ أن ينصرف ولا بدّ له من أن يتحرّر. ولكن يا ويلتاه على اللّغة، ولا سيّما في ذنوبها وهي «اللّغة»: لم تتّسع، ومن تخومها الخاملة التي لا تقبل الترخيم، لشرط الميّت الحيّ والحيّ الميّت، فمتى، متى لا نقول للفقيد وداعاً حتى إذا وجد القانون ماهيّته في الحقّ المطلق، فلن يمرّ على بالنا أن نودّع أمراً له بقيّة:

النور الظليل أو شبه الظلّ في حالة كسوف القمر أو في قطعة الظّلمة الباقية خلال الغبش: كلّ هذا من شؤون الطبيعة التي لا تريد أيّ سلطة سياسيّة قائمة أن تراها كما لو كانت من قواعد السياسة الثابتة إلّا حين تهدف إلى بلبلة ومخادعة الرأي العام المجهول والمعلوم في تقديم خلطة من التكتيكات في طبق إستراتيجيّ.

(مكر السلطة الشيطاني، الذي يجترّه مكر التاريخ).

ما تريده السلطة أمر واضح في تطرّفه: أن تكون هي معتمة بينما تكون طيّات المجتمع شفافة، كما يقول أحد الروائيّين الأوروبيّين، وكما هي تجربة خالد وغيره، فإنّ على المعتقلين السياسيّين أن يكونوا شفّافين: تغطّي أعينهم حتى تنطفئ وتصرخ السّندوج المعدنيّة في آذانهم إلى أن تطرش. ولا بدّ من الشفافيّة. وإذا لم ينبس الموقوف ببنت شفة، فستكسر منه العظام ويشقّ منه اللّحم بالسّكاكين ويحلّ الموت قطرة فقطرة، والمحصول هو عتمة الأجساد أمام عتمة النظام التي ستطفو عليها جثّته.

كلّ هذا يحصل مع الشيوعيّين وغيرهم من اليسار القوميّ ومن المتديّنين، والإعلام الحكوميّ يبشّر بقرب انبثاق الجبهة الوطنيّة والتقدّميّة... هذا هو جزء من الديكور الذي يسعى فيه كادر الفيلم إلى أن يضيع فيه من ضاع: هذا إذا كان قد حصل في العتمة التي أرادها النظام مصدراً لقوته، إلّا أنّه لم يكن على علم بأنّ إجراءاته تلك خلقت تراكماً لم يستطع إدارته، حتّى إنّ أسلوبه في الحكم صار مجرّد العمل على الاستمرار في السلطة من دون مضمون لأيّ حكم سوى النفاق المتوحّش، الذي امتدّ إلى القياديّين في حزب الحكومة والذين ذاقوا مصارعهم بأيدي الرّفاق.

ليس هذا تلخيصاً لفائض النقائص التي طفت على مزايا الفرد العراقيّ الجيّدة، وعلى الأنظمة الوقائيّة التقليديّة للمجتمع التي كانت تنوب عن السلطة الغائبة في رأب الصّدع الطارئ بعد سقوط النظام، وإنّما هو بعض الإطارات التي رافقت ضياع خالد وغيره وما تلا ذلك، وليس أولئك الضّحايا إلّا جزءاً من لبّ الصورة التي تنتظر أن تتلون بالكامل.

أودّ هنا أن أذكر للقارئ أنّ هذا الاستطراد غير الشامل عن الشأن العامّ هو في صلب المشروع الذي كان خالد محمود الأمين منذوراً له: فقد ركّز في أشعاره المتقطّعة على أعماق ملتاعة بما في داخله ويرنو إلى الدوافع المعقولة التي تلوح في الخارج، وفي هذه المنطقة وقع الفتى صريعاً، تلملم الذّاكرة أشلاءه كما لو أنّها مقبرة خياليّة تحلو من صور القبور الشاخصة.

* شاعر عراقي . مقتطفات من شهادته في الكتاب

علم نفس

ماتياس دسميت: التوتاليتارية تجتاح المجتمعات الحديثة

سلوى دبوق

في كتابه «سيكولوجية التوتاليتارية» (2022) الذي انتقل أخيراً إلى العربية عن «دار الساقي» (ترجمة مالك سلمان)، يستكشف أستاذ علم النفس السريري في «جامعة غينت» في بلجيكا ماتياس دسميت، الديناميات النفسية والاجتماعية التي تؤدّي إلى صعود الأنظمة التوتاليتارية في المجتمعات الحديثة ودور وسائل الإعلام في مساعدة الحكومات على إحكام سيطرتها على الشعب. تقوم أطروحة الكتاب على فكرة أنّ المجتمعات الحديثة أصبحت تتجه إلى أشكال معينة من التوتاليتارية بسبب ظاهرة «الجمهرة» (mass formation)، إذ أصبح جزء كبير من السكان منوّماً مغناطيسياً بواسطة سرديات مُبَسّطة للواقع، غالباً على حساب الحقيقة والحريات الفردية. يرى دسميت أنّ الأفراد في عالم اليوم، يشعرون بالعزلة والقلق والاكتئاب بسبب تضاؤل التفاعلات العاطفية والإنسانية وسيطرة المادية الآلية. لذا يميلون إلى الاجتماع والتوافق حول روايات سهلة تُفسّر لهم العالم من حولهم، وتُقدّم لهم شعوراً مزيفاً بالأمان والانتماء. تعتقد الجمهرة، المشابهة لعلم نفس الحشود، على روايات إعلامية موحية تركّز القلق على أشياء محددة (مثل الفيروسات واللقاحات المضادة والإرهاب أو تغيّر المناخ) لتحويل المجتمع من الفردية إلى الجماعية غير العقلانية. يؤدي الامتثال للطقوس الرمزية (مثل عمليات الإغلاق وفرض ارتداء الكمامات) إلى تعزيز تماسك المجموعة وقمع المعارضة. يلاحظ دسميت أنّ الجمهرة أصبحت أكثر فعالية بفضل وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي والخطابات السياسية، ما خلق أرضية خصبة للتوتاليتارية. ويوضّح أنّ هذا التنويم الجماعي يؤدي إلى نزع الإنسانية عن الأشخاص المعارضين للسرديات الشمولية أو المنشقّين، إذ تظهر الأصوات المعارضة على أنها معادية للمجتمع، ورافضة للتضامن، ومكروهة، ومُحبِطة للجماهير.

يؤكد دسميت بأن الأزمات العالمية، مثل جائحة كوفيد-19، قد رفعت حالة الهستيريا الجماعية عبر زيادة مستوى الخوف وعدم اليقين في المجتمع. وقد استطاعت السلطات في عدد من الدول استغلال حالة الرعب من الفيروس لتعزيز سيطرتها وتنفيذ إجراءات صارمة، عادة ما تكون غير مقبولة في الظروف العادية كالإغلاق التام وقمع الحريات الفردية. ويلاحظ الكاتب أنّه تم إسكات الأصوات التي حاولت مناقشة فعالية هذه الإجراءات وجدواها. كما يثير تساؤلات حول أرقام الضحايا في أزمة كورونا، مشيراً إلى أنّ الحكومات ووسائل الإعلام استخدمت أرقام الوفيات لتضخيم الخوف بهدف دعم سياسات معينة وتعزيز السيطرة على الجمهور. يُشكّك الباحث أيضاً بالطريقة التي تم بها تصنيف الوفيات المرتبطة بكوفيد-19، مشيراً إلى أنّ عدداً من الحالات التي تمّ احتسابها كوفيات لكورونا، قد تكون لأشخاص ماتوا لأسباب أخرى ولكنهم كانوا مصابين بالفيروس عند وفاتهم. هذا الأمر قد يؤدي إلى تضخيم الأرقام والإحصائيات بشكل غير دقيق.

يرى دسميت أنّ صعود التكنوقراطية يسهم في المزيد من التحكّم بالجماهير. لقد أصبح الخبراء والبيروقراطيون البليدون قادرين على اتخاذ القرارات باسم العلم والأمن العام، غالباً من دون مراعاة الحريات الفردية. يؤكد دسميت أنّ العلم ـ رغم كونه ذا قيمة كبيرة ـ ليس معصوماً من الخطأ ولا يحمل دوماً الحقيقة المطلقة. كما لا يتوانى عن التشكيك في مصداقية الأبحاث العلمية، مشيراً إلى أنّ الكثير منها (85%) في بعض المجالات تنتهي إلى استنتاجات خاطئة بسبب ممارسات البحث المشكوك فيها، والأخطاء الحسابية، وحتى الاحتيال الصريح. يجادل دسميت بأن العلم، كعملية بشرية، يخضع للتحيّزات والأخطاء التي تخضع لها أي مجالات أخرى من النشاط البشري. ويشمل ذلك تفضيلات الباحثين الشخصية، والضغوط لنشر الأبحاث، والتأثيرات المالية. ويمكن لهذه الأمور مجتمعةً أن تؤدي إلى استنتاجات خاطئة أو متحيّزة. كذلك، ينتقد الثقة العمياء التي نضعها في البيانات الرقمية، وخصوصاً أنه يسهل التلاعب بالأرقام لتتناسب مع بعض السرديات الشخصية أو المؤسّساتية. يستنكر الباحث أيضاً تحوّل العلم إلى أيديولوجيا مادية، ما يقلّل من شأن جميع الظواهر، بما في ذلك ظواهر الوعي البشري، وبحوّلها إلى مجرد عمليات مادية وميكانيكية. إن العلم، الذي كان يُنظر إليه ذات مرة على أنه سيُحرر الإنسان من السرديات الدينية، أصبح بحدّ ذاته عقيدةً تعزل الأفراد عن الطبيعة والآخرين عبر تطبيقاته العملية. يُشدّد دسميت على أن العلم الأصيل يتبنى الشك وبعده فضيلة. لتأكيد رأيه، يستشهد بإنجازات علماء الفيزياء البارزين مثل هايزنبرج وبور وبلانك وشرودنغر، الذين برهنوا عبر نظرية الكم على الطبيعة الاحتمالية والمعقدة للواقع المادي. أشار هؤلاء العلماء جميعاً إلى أن الواقع على المستويين الذري وما دون الذري يتميز بخصائص غير تقليدية يصعب تفسيرها بالكامل وفقاً للمنطق العلمي التقليدي.

«الجمهرة» جعلت جزءاً كبيراً من السكان منوّماً مغناطيسياً بواسطة سرديات مُبَسّطة للواقع

يرى دسميت أنّ تزايد الخوف وانعدام الأمن أديا إلى زيادة النرجسية، إذ يميل الأفراد إلى التركيز على الصورة المثالية لأنفسهم بحثاً عن الشعور بالأمان في مواجهة عدم اليقين. وفي الوقت نفسه، ينتقد انتشار القواعد والمعايير الصارمة التي تنظم السلوكيات البشرية، ويشير إلى أنها تترك تداعيات اجتماعية عميقة، تقمع الحريات الفردية وزيادة الانقسامات الاجتماعية.

في الجزء الأخير من كتابه، ينصح دسميت باللجوء إلى الأساطير والرموز لمواجهة أزمات التفكك الاجتماعي والشعور بالاغتراب في المجتمع المعاصر، كونها تلعب دوراً أساسياً في تقديم تفسيرات متعددة الأبعاد للظواهر الطبيعية والاجتماعية، وتساعد في تعزيز الروابط الإنسانية والشعور بالهوية المشتركة بين الأفراد وتحقيق معنى أعمق للحياة البشرية. كما يدعو إلى تعزيز التفكير النقدي والتواصل الإنساني والوعي بالمخاطر المرتبطة بالثقة العمياء في السلطات العلمية والسياسية.

يدعم الكاتب حججه بالاستعانة بأعمال كلاسيكية في علم النفس الاجتماعي والنظرية السياسية، مثل أعمال الفيلسوفة حنة أرندت حول التوتاليتارية، وكتاب الفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون حول «سيكولوجية الجماهير». كما يُقدّم تحليلاً نفسياً مفصلاً ومقنعاً لعملية تشكيل الجماعات وآثارها اللاإنسانية، ما يعزز فهمنا للديناميات الاجتماعية الكامنة وراء صعود التوتاليتارية. إضافة إلى ذلك، يربط نظرياته بالأحداث المعاصرة، ما يجعل أفكاره ذات صلة وجاذبية للجمهور المهتم بالتحديات الاجتماعية والسياسية الحالية.

من جهة أخرى، يرى بعض النقاد أن دسميت يعمّم نظرياته بشكل مفرط، حيث يطبق مفاهيم الجمهرة والتوتاليتارية بشكل واسع وغير دقيق على مجموعة متنوعة من الظواهر الاجتماعية والسياسية، ما يؤدي إلى فقدان الفروق الدقيقة والمعقّدة بين الحالات المختلفة. عبر تناوله لمواضيع علمية حساسة وانتقاده لإجراءات الصحة العامة، يخاطر دسميت أيضاً برفض حججه من قبل أولئك الذين يرون التدابير الوقائية أساسية لإدارة الأزمات مثل جائحة كوفيد. يؤخذ أيضاً على الكتاب تركيزه على الجانب السلبي للعلم والسلطة، من دون تقديم نظرة متوازنة حول الفوائد الكبيرة التي حققها العلم والتكنولوجيا للمجتمع البشري.

لمحات

ساسين عساف

يتناول كتاب «أفكار في الدولة اللبنانية، وقائع في الفشل وتطلعات إلى البناء» (مركز دراسات الوحدة العربية) للكاتب والباحث اللبناني ساسين عساف، الأزمة اللبنانية الراهنة بعمق وشمولية. يُقدّم الكتاب تحليلاً دقيقاً للأسباب التي أدت إلى تحوّل هذه الأزمة إلى كارثة وطنية أفضت إلى دولة فاشلة ومُفكّكة. يستعرض المؤلف المسار التاريخي لتأسيس الدولة اللبنانية، بدءاً من عام 1920 مروراً بالميثاق الوطني عام 1943، وصولاً إلى اتفاق الطائف، مبرزاً كيف خانت المنظومة السياسية الأمانة وضيّعت على اللبنانيين فرص العيش بكرامة في ظل دولة مدنية عادلة تحترم حقوق مواطنيها. كذلك يُسلّط الكتاب الضوء على الفوضى الفكرية والسياسية والقانونية التي أدت إلى تغييب الفقه الدستوري وسقوط مفهوم الدولة، ويسعى إلى إعادة التفكير في الأسباب التي أدت إلى فشل الدولة اللبنانية. كما يستكشف سبل بناء دولة ناجحة قادرة على أداء وظائفها تجاه شعبها ومحيطها العربي، داعياً إلى إيجاد تفاهمات تأسيسية جديدة تأخذ في الحسبان المتغيّرات العربية والإقليمية والدولية.

عائشة اتيجي ارايانجات

تُقدّم الباحثة التركية عائشة أتيجي أرايانجان في كتابها «الحشاشون: الأساطير والحقائق» (دار النهضة العربية) في بيروت ـ ترجمة أحمد زكريا) دراسة تاريخية مُتعمّقة وموضوعية عن طائفة الحشاشين الإسماعيلية. تهدف الباحثة إلى التمييز بين الحقائق التاريخية والأساطير المتداولة حول الإسماعيليين. يتناول الكتاب شخصية الشيخ حسن الصباح مؤسس الإسماعيلية، ويستكشف هيكل الطائفة التنظيمي والاستخباراتي، مفنداً أساطير شهيرة عنها كقصة «حديقة الجنة» في قلعة آلموت التي استقطبت الشباب، وادعاءات استخدام حسن الصباح للحشيش للسيطرة على أتباعه. كما تطرح الباحثة أسئلة جوهرية حول طبيعة التنظيم وعلاقاته بالدولة السلجوقية والصليبيين، وتتعمّق في دراسة عقائد الإسماعيلية وأساليب المقاومة التي اعتمدتها. يُقدّم الكتاب تحليلاً دقيقاً لقوائم الاغتيالات في أصفهان، ويدرس العلاقة المزعومة بين حسن الصباح ونظام الملك وعمر الخيام، وكيفية تغلغل الحشاشين في مؤسسات الدولة السلجوقية. تتميّز الدراسة باعتمادها على الوثائق التاريخية لتمنح القراء منظوراً جديداً ودقيقاً عن هذه الحقبة المثيرة للجدل في التاريخ الإسلامي.

سليم بركات

يحكي الكاتب والشاعر السوري سليم بركات في روايته الثلاثين «رؤوس وتوابل: ميثاق اللهب في مطبخ الأمير السلجوقي» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) قصة تاريخية مثيرة. تدور أحداث الرواية في فترة ضعف سلطنة سلاجقة الروم، إذ تتمحور حول أمير سلجوقي يواجه مطالب من أميرين تركيَّين لاسترداد بعض الأراضي كونها كانت في القديم مُلكاً لعائلتهما قبل امتداد سلطة الدولة السلجوقية من شرق إيران إلى أرض الأناضول غرباً. هذا الموقف يؤدي إلى صراع حاد داخل القصر بين الأمير السلجوقي الذي يفكر بقبول طلب الأميرين التركيين، وزوجته وابنه الأكبر اللذين يرفضان بشدة التنازل عن الأرض. نتيجةً لهذا الصراع، يُعزل الأمير في مطبخ القصر، الذي يتحوّل إلى المسرح الرئيسي للأحداث اللاحقة. تتميّز الرواية بتفاصيل غنية عن الحياة داخل المطبخ، بما في ذلك وصفات الطعام والتوابل، وتُصوِّر مؤامرات وخطط انتقامية مُعقّدة يحيكها الأمير المعزول. كما تحتوي على مشاهد مسرحية قوية، مثل مشهد النزهة الوهمية التي يقيمها الأمير لحريمه في المطبخ. تنتهي الرواية بمشهد عنيف ودرامي تتكدس فيه رؤوس أهل القصر إلى جوار الأفران. عبر هذه الأحداث، تُقدّم الرواية صورة مُفصّلة عن انحلال السلطة وتعقيدات العلاقات داخل القصر، مع التركيز على دور المطبخ كمكان مركزيّ للمؤامرات.

محمد علي لطفي

يقوم الباحث اللبناني محمد علي لطفي في كتابه «مؤسسات الرعاية في لبنان وإشكالية العزل الاجتماعي للأشخاص ذوي الإعاقة» بتحليل عميق لواقع الأشخاص ذوي الإعاقة في لبنان والعالم العربي. يستكشف الكتاب الحضور المحدود لهذه الفئة في المجتمع، ويُحلّل العوامل التاريخية والاجتماعية التي أدت إلى تهميشهم وتجاهلهم. يتخذ المؤلف من لبنان نموذجاً لدراسة تطوّر التفاعل المجتمعي مع قضية الإعاقة، مُسلطاً الضوء على تأثير النظام الرعوي القائم، الذي تعود جذوره إلى الحقبة الكولونيالية، في ترسيخ سياسة العزل المؤسساتي للأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة. كما يتناول الكتاب بالتحليل الدين النمطية للإعاقة في الصحافة اللبنانية والسينما العربية، مقدماً بذلك نظرة شاملة ونقدية لدور المؤسسات والإعلام في تشكيل التصورات المجتمعية النمطية حول الإعاقة. يُعدّ هذا العمل مرجعاً مهماً للمهتمين بقضايا الإعاقة والعدالة الاجتماعية في المنطقة العربية، إذ يجمع بين التحليل التاريخي والنقد الاجتماعي، ويرسم صورة متكاملة عن واقع الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة وتحديات دمجهم في المجتمع.

زاهر الغافري

ينطلق الشاعر العماني زاهر الغافري في مجموعته «مدينة آدم» (دار مرفأ ـ بيروت) من الذات والآخر والتاريخ الفردي والجماعي، ليصل إلى جماليات جديدة وغير مطروقة. في هذه المجموعة، يستكشف الغافري مفاهيم الغربة والرحلة والسفر عبر محطات شعرية وبشرية مختلفة، تجمع بين الواقع والخيال، ويتوقف عند مرافئ حقيقية وأخرى تُتخيّلة. تضرب النصوص عميقاً في الإنسانية وتستحضر ثقافات متعددة وشخصيات بارزة من تاريخ الأدب والفكر، لتُقدّم للقارئ تجربة فريدة في الشعر العربي المعاصر، مليئة بالصور والعوالم الفريدة التي لم نر مثيلاً لها من قبل في الأدب العربي الحديث. في المجموعة، يلتقي الشاعر بشخصيات بارزة في مجال الموسيقى والسينما مثل غوستاف ماهلر وبيورن أندرسون ولوتشينو فيسكونتي، ليجمعها في نصوصه بمهارة فنية راقية. يؤسّس زاهر الغافري في «مدينة آدم» لرؤية شعرية فريدة تتعامل مع القصيدة كنظام وفضاء مفتوح الآفاق، ولا يُخفي إعجابه بقصيدة النثر، إذ يُعدّ كتابتها تحدياً كبيراً وعملاً أنطولوجياً عميقاً يستنزف أفكار الشاعر وأحاسيسه.

رحاب لوّي

تجمع الكاتبة والصحافية المصرية رحاب لوّي في روايتها «قرية المائة» (دار الشروق) بين الواقع والخيال. تُقدّم لنا صورةً تفصيلية وجذابة لحياة الريف المصري. تتناول الرواية قصة قرية صغيرة تعيش تحت سيطرة الخرافات والأساطير، ما يُضفي على الحكاية جواً من الغموض والسحر. بأسلوبها الرمزي والميتافيزيقي، تستكشف الكاتبة أعماق الحياة الريفية والمجتمع القروي الذي يتأرجح بين الواقعية القاسية والخيال الملهم. استخدمت رحاب لوّي براعتها الروائية لبناء شخصيات عميقة ومُعقّدة، واستطاعت التعبير عن تجارب أبطالها وصراعاتهم الداخلية بشكل واقعي ومؤثر. تدفع الرواية القارئ إلى التفكير في القيم الأخلاقية والتناقضات الإنسانية عبر تصويرها للصراع الأبدي بين الخير والشر، وبين النموذج الثقافي التقليدي والتطلعات الحديثة. اعتمدت الكاتبة على الوصف الدقيق والتشبيهات الجميلة والاستعارات المبتكرة لتجسيد المشاهد والأحداث، ما يساعد القارئ على الفهم العميق للبيئة والشخصيات الروائية. تتميّز رواية «قرية المائة» أيضاً برمزيتها العميقة واستخدامها الفعّال للحوارات والوصف المُفصّل للمشاعر والأفعال. ما يجعلها تجربة ممتعة لكل من يبحث عن قراءة أدبية فريدة.

دراسة

الرواية الفلسطينية تحت مجهر سلمان زين الدين

منى سكرية

في كتابه الصادر حديثاً تحت عنوان «أسئلة الرواية الفلسطينية» («مركز ليفانت» للدراسات الثقافية والنشر ـ الإسكندرية)، كتب الشاعر والناقد سلمان زين الدين إهداءً «إلى غزّة التي اجتاح طوفانُها العالم، فجّرت شوارعُهُ أنهاراً، تصبُّ في بحر الأقصى». في هذا العمل، تناول الباحث اللبناني ثلاثين عملاً روائياً «كتبها فلسطينيون أو من أصول فلسطينية» (مع الإشارة إلى أن الروائية الشاعرة جمال سليم نويهض لبنانية متزوجة من المؤرخ الراحل الفلسطيني عجاج نويهض. كما أن الروائي الياس خوري لبناني وليس من أصول فلسطينية!). في كل الأحوال، يعدّ الكتاب بين أيدينا ثمرة جهد الناقد زين الدين «لأنّ الرواية الفلسطينية تكتسب خصوصية معينة، ولا سيما على المستوى الحكائي. وإن كانت تتقاطع مع الرواية العربية في أسئلة كثيرة، فإنها تفترق عنها في معظم الأسئلة، لأنّها تصدر عن واقع مغاير، غرائبي، سحري، سوريالي، موجع، قاتل، ما يمنحها هويتها الخاصة» (من تعريف الكاتب).

للكاتب الشاعر الناقد زين الدين حرية انتقاء أسماء لروائيين فلسطينيين يسائلهم في نصوصهم «الفلسطينية»، فالكمّ الهائل من المنتج الأدبي الفلسطيني لا تتسع له جهود شخص بمفرده، وإنما ـ في سياق الحرص على هوية القضية وسرديّاتها ـ تقتضي جهود مؤسّسات معنية ورائدة في هذا المجال. نشير هنا إلى كتاب الأكاديمي الفلسطيني منار مخول بعنوان «سيسموغرافيا الهويّات: الانعكاسات الأدبية لتطور الهوية الفلسطينية في إسرائيل 1948-2010» الصادر عن «مؤسسة الدراسات الفلسطينية»، إذ قدّم قراءة لـ 75 عملاً روائياً لأدباء فلسطينيين في أراضي الـ48، استقصى عبرهم تطور الهوية الفلسطينية، وإن لم يكن بقرب النقد الأدبي/ الفنّي لكل رواية. الأمر نراه متماسكاً عند زين الدين إذا ما استعرضنا عناوين أسئلته للروايات الثلاثين للروائيين الـ 24 (بعضهم نال مناقشة الكاتب لأكثر من عمل). إذ اشتمل على مضمون الرواية ونقدها فنياً. كما نلاحظ أنّ الجهد الانتقائي للكاتب جاء حرصاً منه على عدم تكرار العناوين/ الأسئلة/ التساؤلات، رغم أن القضية واحدة. ويمكننا الإشارة إلى تنوّع ما أراده فكانت أسئلة في: القيادة والإرادة والتاريخ، والذاكرة والتطبيع، والمقاومة، والعمل الفدائي، والإرهاب والسلطة، إضافة إلى قضايا المعتقل، الأرض، الوجع، المخيم، القدس، الجذور، العمالة، المرأة... وهنا يشير زين الدين إلى قسمين اثنين تطرح فيهما الرواية الفلسطينية أسئلة تتعلق بالاحتلال الإسرائيلي وممارساته الاستعمارية التي طاولت الإنسان والمكان والزمان، وأسئلة تتعلق بالشعب الفلسطيني ومقاومته المشروعة.

من رواية «أرواح كليمنجارو» (إبراهيم نصر الله)، يعرض زين الدين لهدفيّة النص، والبُعد المتمثّل لدى الأطفال الفلسطينيين الثلاثة المبتورة الأطراف، وبلوغهم القمة ورفعهم العلم الفلسطيني، كما يتوقف عند سؤال الذاكرة في رواية الياس خوري «باب الشمس»، فيدخل إلى الذاكرة الفلسطينية، «بلملمها، يرفو ثقوبها، يرمّم تصدّعاتها، ويصوغ الحكاية الفلسطينية بالأسماء والوقائع في مواجهة الحكاية الإسرائيلية المستندة إلى الأساطير والخرافات» (ص55)، ومن في حين لا تغيب «قناع بلون السماء» لإياد البرغوثي، يعرض لمسألة العمالة في روايته «بردقانة» التي «تخرج على الثيمات الفلسطينية النمطية للرواية الفلسطينية، من مقاومة وتهجير واعتقال واستشهاد وتدعو مداورة إلى إعادة النظر في مصطلحات ومفاهيم»، وقد كتبتها مرتين: المرة الأولى في منتصف الخمسينيات والثانية في بداية التسعينيات من القرن الماضي وكانت قد بلغت الرابعة والثمانين من العمر. والمثير أن بطل رواية «الفدائي» هو خالد حمدان ابن غزة.

أمّا سلوى البنّا، فتطرح في «عشّاق نجمة» سؤال الإرهاب عبر اجتماع ثلاثي في الزنزانة وهم ضحايا الاحتلال والسلطة والتشدّد الديني، كأنها تقول إنّ «هذه الجهات القامعة هي ثلاثة وجوه لعملة واحدة»، مُثنياً على الرواية بقوله («عشاق نجمة» رواية مشغولة بحرفية واضحة، وصاحبتها تمتلك أدواتها الروائية، وتتقن استخدامها» (ص141). كما أنّ البنّا «تغرد خارج سرب الحكايات المكررة في الرواية الفلسطينية في روايتها «أمرأة خارج الزمن» لأنها تتطرق إلى الثورة التي راحت تتخلّق بأخلاق السلطة» وفقاً لزين الدين.

من أعمال الروائيين قيد قراءة زين الدين، تطرّق إلى رواية مروان عبد العال «60 مليون زهرة» وسؤاله حول الأرض «باختلافه عن الآخرين هو أنه يفكّك هذا الواقع في إطار تغلب فيه الواقعية السحرية، فالرواية ترصد الانسحاب المفاجئ من المستوطنات، وإصرار مزارعي غزة على زراعة الزهر وتصديره، وبذلك تلعب الرواية دورها في إضاءة الواقع واستشراف المستقبل»، متسائلاً: «وهل للأدب من دور بعد؟».

لعلّ زين الدين غارقٌ بعد إصداره القيّم هذا في متابعة الإصدارات الفلسطينية الجديدة وهي كثيرة ومتنوعة، خصوصاً ما يتعلق بإبداعات الأسرى وأدب السجون، فيضيء شموعاً على طريق فلسطين وحفظ مكانتها الثقافية.

أسئلة تتعلق بالاحتلال الإسرائيلي وممارساته الاستعمارية والمقاومة

رواية

أميرة غنيم: «تاريخ» تونس من زاوية نسوية

منير الحايك

أسئلة كثيرة ترافق النصوص الروائية التي تتخذ من شخصية تاريخية شخصيةً روائية وتحبك من حولها أحداثاً مرجعية ومتخيّلة، تخلق شخصيات معها وتنشئ بينها علاقات كثيرة، كلها تصبّ في خدمة البنية الروائية والفكرة والقضايا المطروحة. أمّا أن تكون الرواية مبنية على ثلاث شخصيات حقيقية، وواحدة أو اثنتين متخيّلتين، فهذا أمر جديد وشائك!

تبدأ رواية «تراب سخّون» (منشورات مسكيلياني ـ 2024) لأميرة غنيم بالعثور مصادفةً على تسجيلات لوسيلة بورقيبة، التي طلبت ـ بحسب الرواية ـ أن تُنشَر بعد وفاة الرئيس المخلوع، زوجها الذي طلّقها بعد قصة حبّ طويلة وزواج وادوار ادّتها وسيلة. تظهر في الرواية أربع سيدات: وسيلة (الملقّبة أيضاً بـ«الماجدة») وتسجيلاتها، وجاكلين غاسبار وسعاد الكامل ومحادثاتهما من خلال الرسائل الإلكترونية عبر فايسبوك، وجيهان التي عثرت على التسجيلات، إضافةً إلى سعاد وحفيدتها اللتين تظهران في نهاية الرواية. تؤكّد الأخيرة على فكرة الأسطورة أو الخرافة أو العجائبية، أو فليسمّها المتلقّي ما يشاء. سعاد كانت ممرضة الرئيس ومرافقة زوجته وسيلة، التي حكت القصة في خطّ متوازٍ مع تسجيلات وسيلة. ولعلّ المتخيّل في النصّ كان يظهر عبر الحواشي، ويتمثّل في الرسائل بين سعاد وجاكلين، ليُعيد المتلقّي إلى خطّ السرد وضبط إيقاع النصّ ككلّ.

يظهر الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة (1903 - 2000)، في استرجاعات عدة على صورة الرجل العاشق، والرجل العادي الذي قد يصل به الأمر إلى الضرب والصراخ والتعنيف، ويظهر القائد الذي لا يقبل الفساد، لكن يبقى السؤال المُلحّ: هل يحقّ للأدب أن يجعل الرجل ينطق بما يفرضه الخيال والتأليف والإبداع؟! ولكن هذا السؤال يصبح بسيطاً أمام تساؤل أكبر، يتعلّق بوسيلة بو رقيبة التي كانت الرواية . في جزئها الأكبر ـ عبارة عن تسجيلات منسوبة إليها، تظهرها وتظهر علاقتها بحبيبها الرئيس والرجل والعجوز والمكسور، وتُظهر قصصاً حول السيدة الأولى، وأدوارها السياسية، وفي النهاية تراها هاربة ملاحَقة، تسرد قصة هروبها وملاحقتها، وكيف تعود وتصل إلى طليقها وحبيبها، بحضور سعاد الممرضة/الشخصية المتخيّلة... كل ذلك يأتي مع ارتباطه بذلك الشيء، الذي مات الرئيس وهو قابض عليه، الشيء الذي نعرف أنّه سلسلة، أعطاها النصّ صفات قد ترتبط بالخرافة والسحر والأسطورة، وظهرت في مواضع عدة، في يد الماجدة، ويد ابنة سعاد في المدرسة، وتحت التراب الذي يسجن بسببها. لكنّ الرمز الأقوى لهذا الشيء، يبرز في نهاية النصّ مع التأكيد على سرقته، وما يقابله من رمزيّة الوحمة الضرب والصراخ والتعنيف، ويظهر الذي بدأت تزنّر في قدم الحفيدة آمال، كما نزفت وحمة الحبيب بورقيبة عندما كان الشيء بعيداً منه.

وبعيداً من الرأي المرتبط بحقّ الكاتب في تحميل الشخصيات التاريخية أقوالاً وأحداثاً ومواقف، بعضها يعتمد على التاريخ وأكثرها على الخيال، وموقف المتلقي وموقف النقد من ذلك، يمكن القول إنّ السرد وأدواته، واللعبة التقنية والفنية كانت ناجحة، فالتنقل بين عامَي 1999 و2013، وما سبقهما من تواريخ ترتبط بالانقلاب على الرئيس، وما سبقها وما لحقها، كانت ضرورية طالما أن النص قرّر اللجوء إلى التاريخ وشخصياته، فمع ما يصيب المتلقي من جهد في ملاحقة الماجدة في تسجيلاتها، كانت كل «حاشية» تأتي لتعيد ترتيب الأفكار لديه. وقد استطاعت الكاتبة، ببراعة واحترافية، أن تكتب بأسلوبين مختلفين، بين التسجيلات وبين الحواشي، حتى يكاد المتلقّي يقتنع بأنّ الماجدة كانت تحكي بالفعل، وسعاد وجاكلين تتحدثان بشكل منفصل بالفعل، وهذا أمر يُحسب للنص ولكاتبته.

لم يظهر بورقيبة بوصفه الرئيس البطل، ولم يستطع المتلقي تقفّي أثر موقف الرواية منه بشكل واضح، بل كان يُقال عنه ما تريده «الماجدة»، تلك الزوجة التي تركت زوجها من أجله، وطلّقها لأسباب جعلتنا الرواية نتعاطف مع وسيلة. إنها رواية نسوية، سردتها النساء، وتصارعت فيها النساء، وكان الرجل يظهر فيها ليكمل ما تقوم به النساء، حتى التسجيلات، فقدها رجلٌ في عراك سخيف مع الشرطة، لتجدها امرأة، ومعها تبدأ الأحداث. كأنّ «تراب سخّون» أرادت أن تحيي التاريخ، وتحيي الخرافة، لتقول إنّ للمرأة في تونس ـ وخصوصاً في ظلّ ما تمرّ به البلاد اليوم ـ دورها المؤثّر، والتاريخ يثبت ذلك. ويظهر دورها في الحاضر أيضاً، مع سعاد العجوز وجيهان المرأة العاملة. أما ظهور جاكلين، المرأة الغربية، التي أجرت بالفعل حواراً مع وسيلة بورقيبة ونشرته في كتاب، فيكون من أجل رمزية «الأجنبي»، فقد اتهمتها الرواية بأنها هي التي استغلت المراسلات والمعلومات التي مرّت فيها لتسرق السلسلة، التي تبقى الرواية حتى نهايتها تحمّلها قوّةً خارقةً ما.

«تراب سخّون» رواية تاريخية، فيها ما يمكن ردّه إلى واقعية سحرية بطريقة ما، وفيها ما قد يظهر عجائبياً، ولكن كل تلك التصنيفات اجتمعت لتشكّل نصاً ثقيلاً، يعود إلى التاريخ وإلى شخصيات بارزة في المجتمع التونسي، ولعلّ الماجدة كانت الأبرز في مرحلة من مراحل تاريخها، إذ كانت تأمر وتُطاع. عرفناها عجوزاً لا حول لها ولا قوة، وعرفنا بورقيبة عجوزاً مخلوعاً بعدما كان رمز التحرير والاستقلال، لتقول إنّ من، أو ما، يشيخ ويصيبه العجز في البلاد، لا بدّ من أن يُستبدل بمن يستطيع الاستمرار. لكنها تحيلنا إلى التساؤل الكبير: هل من تسلّم بعد العجوز، الشابّ المندفع، كان شابّاً في أفكاره وطروحاتها ورؤاه لبلاده؟

تدور الأحداث حول وسيلة بورقيبة

أوراق

النسويّة والحرب على غزة

زينب التوجاني *

كثيراً ما يُساء فهم النسوية في العالم العربي وتُتهم بمعاداة الرجال والدين والأخلاق، ويُنظر إلى رموزها بنظرة الاحتقار والاستهزاء على أنهن مسترجلات أو مُتشبّهات بالرجال أو مُغرّر بهن من قبل نظام يتلاعب بعقولهن ويسلّعهن ويدفعهن إلى الحرب مع مجتمعاتهن. يوضع كل النسويات المطالبات بالمساواة وحقوق النساء التامة في سلة واحدة، ويُرمَين بالكفر والشذوذ والخبل أحياناً. وتُستغلّ الحرب للسخرية منهن، حتى إن بعض من يحمل لقب دكتور كتب تدوينة قال فيها: «لا نسويات في الحرب. كل امرأة تبحث عن ظل رجل».

في مقابل هذا الاستهزاء، كانت بعض الأصوات النسوية القوية في الحرب الأخيرة على غزة أقوى سلاح فتاك في الحرب الرمزية والإعلامية لتوضيح أثر التدمير ومداه وبشاعة الحرب ولا إنسانيتها. لقد أثبتن أنّ النساء اللواتي يخترن مواجهة النظام الأبوي والظالم يقفن في صف العدالة والحقوق في الحياة حين يتطلب الأمر منهن ذلك ولو كان في ذلك إبحار عكس التيار العالمي وقوى الضغط والمصالح العالمية. اتخذت الفيلسوفة جوديث باتلر مثلاً موقفاً قوياً ضدّ إسرائيل في غزة، فقد وصفتها بأنها أعمال إبادة جماعية. وهي ترى أنّ العنف ضد الفلسطينيين ليس مجرد صراع بين طرفين، بل استمرار لعمليات التهجير والعنف التي تعود إلى نكبة عام 1948. وتؤكد أن الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى متواطئة في هذه الأفعال عبر تقديم الدعم الأيديولوجي والمادي لإسرائيل، وغالباً ما تُصوَّر المقاومة الفلسطينية على أنها إرهاب لتبرير العنف. وشددت باتلر على نزع إنسانية الفلسطينيين في الخطاب العام، إذ تعدّ حياتهم أقل قيمة مقارنة بحياة الإسرائيليين. وهذا يتضح من التغطية الإعلامية، إذ يتم تصوير الأطفال الفلسطينيين الذين يُقتلون في الصراع كإحصائيات فقط، بينما يتم تغطية الإسرائيليين بشكل شخصي أكثر، فالمجتمع الدولي بحاجة إلى الاعتراف بهذه الأفعال وإدانتها كجرائم حرب، ودعم حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم السياسي لتحقيق السلام والعدالة الدائمة في المنطقة. إضافة إلى موقف جوديث باتلر الداعم للمرأة الفلسطينية، هناك مواقف أخرى لنساء بارزات مثل نويل مكافي وكارولين فوهلين، اللتين عبرتا عن تأييدهما العلني لحقوق الفلسطينيين. نويل مكافي، رئيسة قسم الفلسفة في «جامعة إيموري»، تعرضت للاعتقال أثناء احتجاجات داعمة لفلسطين في الحرم الجامعي. هذه الاحتجاجات جاءت كرد فعل على الأحداث الجارية في غزة، وأظهرت تضامنها مع النساء الفلسطينيات اللواتي يعانين جراء الصراع المستمر. كارولين فوهلين، أستاذة الاقتصاد في الجامعة نفسها، اعتُقلت أيضاً بطريقة عنيفة أثناء الاحتجاجات نفسها. تعرّضت فوهلين للاعتقال بعدما اقتربت من ضباط الشرطة لتسأل عن سبب اعتقال أحد الطلاب. كانت تصرخ: «أنا أستاذة جامعية»، فرمى بها الشرطي أرضاً بعنف واعتقلها بقوة. هذا الحدث أثار اهتماماً واسعاً وسلّط الضوء على القمع الذي يواجهه المتظاهرون السلميون في الجامعات الأميركية الداعمين للقضية الفلسطينية. وهذه المواقف التضامنية من نساء أكاديميات أسهمت في انتشار ودعم القضية الفلسطينية.

«كود بينك» حركة نسوية مناهضة للحرب، دعمت بشكل فعال حقوق الفلسطينيين وهي تعمل على تسليط الضوء على معاناة النساء في غزة والضفة الغربية. وتنظم الحركة فعاليات وحملات توعية لجمع التبرعات وتقديم الدعم النفسي والاجتماعي للنساء الفلسطينيات اللواتي يعانين من آثار النزاع. تعرّف العالم العربي إلى هذه الحركة، وخصوصاً في الحرب الأخيرة، إذ نظّمت الكثير من الاحتجاجات والتظاهرات. أنجيلا ديفيس، الناشطة النسوية والحقوقية الأميركية، عبّرت كذلك عن دعمها القوي للقضية الفلسطينية. وهي ترى أن النضال

> **دعمت «كود بينك» بشكل فعال حقوق الفلسطينيين وأضاءت على معاناة النساء في غزة والضفة الغربية**

من أجل حقوق المرأة والنضال ضد الاحتلال الإسرائيلي مترابطان، وأن الحرية الحقيقية للمرأة لا يمكن تحقيقها إلا في إطار التحرر الكامل للشعب الفلسطيني. كثيرات هن النسويات الفلسطينيات اللواتي يعملن على تعزيز الوعي بالقضايا الفلسطينية من منظور نسوي. ويشددن على أهمية التضامن العالمي مع المرأة الفلسطينية في مواجهتها للتمييز والعنف الممنهج تحت الاحتلال الإسرائيلي، ويعملن على بناء تحالفات مع الحركات النسوية العالمية لدعم حقوق النساء في فلسطين.

أما النسوية الفلسطينية فإنّها أشد التصاقاً بآلام النّساء وتحديات الاستعمار والحرب، تعاني الوصم والظلم الفكري والثقافي في الوقت الذي تتخذ فيه موقفاً وطنياً لا يفصل بين الدفاع عن حقوق النساء والدفاع عن حقوق الوطن. تلتبس الظروف وتقسو قسوة مضاعفة لانتماء هؤلاء النسويات إلى ثقافة وأد النساء. مع ذلك، يجدن أنفسهن في صراع مرير مع كلّ العراقيل الثقافية والسياسية. يجدن أنفسهن أمام واقع النساء العربيات عموماً والفلسطينيات خصوصاً.

فالنساء العربيّات في البلدان التي تعاني من النزاعات المسلّحة يواجهن عبئاً كبيراً، إذ تتضاعف المعاناة بسبب الأدوار المتعدّدة التي يؤدينها في الأسرة والمجتمع. وتتجلى تأثيرات الحرب على النساء العربيات عبر جوانب رئيسية عدة تشمل الاقتصادية، الاجتماعية، النفسية، والصحية. يعانين من تبعات اقتصادية قاسية أثناء النزاعات وبعدها. وبفقدان عدد من الرجال حياتهم في الحروب، تضطر النساء إلى تحمل مسؤولية إعالة الأسر، فيؤدي ذلك إلى زيادة تأنيث الفقر، وخصوصاً في البيئات التي تفتقر إلى البنية التحتية الداعمة مثل الخدمات الاجتماعية والرعاية الصحية، وإلى ازدياد الاستغلال الاقتصادي سواء عبر العمل بأجور منخفضة أو العمل في ظروف غير إنسانية.

تتعرّض النساء في مناطق النزاعات والحرب إلى تغيير جذري في أدوارهن الاجتماعيّة. في بعض الأحيان، يضطررن إلى القيام بأدوار غير تقليدية مثل القتال أو دعم المقاتلين. تعلن هيئة الأمم المتحدة أنّه في كل يوم تستمر فيه الحرب في غزة، بالمعدّل الحالي، سيتواصل قتل 63 امرأة في المتوسط وتُقتل نحو 37 أماً كل يوم، ما يدمر حياة أسرهن ويقلص حماية أطفالهن. هكذا تؤدي الحروب إلى تدمير النسيج الاجتماعي وتفاقم الفجوة بين الجنسين، ما يعيق تقدم المرأة في المجتمع بعد انتهاء النزاع. وتواجه النساء أيضاً تزايداً في حالات العنف الجنسي والاستغلال.

ولا تقتصر آثار الحرب على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية فقط، بل تتعداها إلى الجانب النفسي، فيعانين من ضغوط نفسية هائلة نتيجة فقدان الأحباء، والتعرض للعنف، والعيش في ظروف غير مستقرة. والاكتئاب، والقلق، واضطرابات ما بعد الصدمة. هذه التأثيرات النفسية لا تؤثر فقط على النساء أنفسهن، بل تمتد لتؤثر على الأطفال والأسر بأكملها.

ورغم هذه الظروف القاسية والوحشية رأينا النساء العربيات في مناطق النزاع يظهرن قدراً كبيراً من الصمود والقوة، ويلعبن دوراً محورياً في إعادة بناء كل بيت انهدم وكل حياة أزهقت بوحشية. ولهذا فإنهن محتاجات دعماً محلياً ودولياً للبقاء على قيد الحياة ولتعزيز قدرتهن على البقاء والمواجهة.

إن الحروب تسلب النساء الكثير من حقوقهن، ولكنّها في الوقت نفسه تكشف عن قدرتهن على التحمل والصمود. لقد أثبتت الحرب الأخيرة على غزة أن النسوية الإنسانية قادرة على إسماع صوت العدالة والضحايا في أرجاء الكون، ذلك أنه بمقدار الوجع المضاعف تكونُ الصّرخة مدويّة.

* باحثة تونسية في الإسلاميات وتحليل الخطاب الديني

أنجيلا ديفيس: الحرية الحقيقية للمرأة لا يمكن تحقيقها إلا في إطار التحرر الكامل للشعب الفلسطيني

Samedi 27 Juillet 2024 no120
السبت 27 تموز 2024 العدد 120

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

روزنامة الجرائم الإسرائيلية

تجدون على موقعنا حصيلة جرائم العدو الإسرائيلي يومياً في فلسطين ولبنان

أن تكون محامياً في فلسطين المحتلة

[7_6]

«إسرائيل» تتّهم سلام بـ «الخيانة»

[5_4]

هل هناك حاجة إلى قانون لاسترداد الودائع أم يكفي قرار حكومي؟

2

خطوة قانونية نحو زوال الاحتلال

3

الهندسات المالية ومخالفات المصارف

أونلاين

في الواجهة

هل هناك حاجة إلى قانون لاسترداد الودائع أم يكفي قرار حكومي؟

صادق علوية

قد يكون الكلام عن استرداد الودائع ضرباً من الخيال في ظل المماطلة التي تعيق استصدار قرارات واضحة، وخاصة للمودعين. فالحاجة إلى طمأنة المودعين من أهم الأولويات، سيّما في ظل التخبّط الحكومي والنيابي، ليقتنع من خسروا جنى أعمارهم أنها قيد المعالجة، أو على الأقل وضع خطة توصلهم إلى برّ الأمان ولو بعد سنين. فطفرة القوانين التي تتناول مسألة الودائع تبدو للوهلة الأولى وكأنها لمصلحة المودعين، في حين أنها تهدف إلى تعزيز حظوظ المصارف عند التداعي أمام القضاء. ولكن، ماذا عمّا ورد في قانون النقد والتسليف لجهة إعادة انتظام مالية مصرف لبنان لجهة تكوين الاحتياطي، وهل يكون هذا الاحتياطي الخاص بمصرف لبنان هو المدخل إلى إعادة الودائع وإنصاف أصحابها عملاً بنص المادة 113 من قانون النقد والتسليف؟

يعلم القاصي والداني أنّ حركة ميزان المدفوعات تؤثر في حركة العملات الأجنبية في لبنان، سيّما ان لبنان يعاني من عجز تجاري. لكن اللافت أن ميزان المدفوعات سجل تغيّر صافي الموجودات الخارجية للقطاع المالي بحيث شكّل فائضاً بمقدار 2,2 مليار دولار في عام 2023، مقارنةً بعجز مقداره 3,2 مليارات دولار في عام 2022، في حين أن الفائض في الأشهر الخمسة الأولى من عام 2024 بلغ 786 مليون دولار.

قد يبرر بعض الاقتصاديين هذا الفائض عن المدة الممتدة بين شباط 2023 ونهاية السنة بأنه ناتج عن اعتماد سعر الصرف البالغ 15 ألف ليرة بدل 1507,5 ليرة، ما يؤدي إلى تقليص التزامات المصارف تجاه المودعين غير المقيمين بالليرة اللبنانية. ولكن إن كان صحيحاً ما يورده مصرف لبنان على صعيد انعكاس هذا الأمر إيجابياً على موجودات المصرف المركزي واحتياطاته، فقد تكون سكة الحلول قد بدأت تتبلور معالمها انطلاقاً من التحسّن الذي تشهده مالية المصرف المركزي وحصة الدولة فيه، ولا سيّما حين يتناول الأمر الربح الصافي لمصرف لبنان.

ولكن، ما هو الربح الصافي لمصرف لبنان؟

يتألف الربح الصافي من فائض الواردات على النفقات العامة والأعباء والاستهلاكات وسائر المؤونات. وعند احتساب هذا الربح يقيّد نصفه (50%) في حساب في المصرف المركزي يدعى «الاحتياط العام»، ويدفع 50% منه إلى الخزينة. وعندما يبلغ الاحتياط العام نصف رأسمال المصرف، يوزع الربح الصافي بنسبة 20% للاحتياط العام و80% للخزينة. أما إذا كانت نتيجة سنة من السنين عجزاً، فتغطى الخسارة من الاحتياط العام. وعند عدم وجود هذا الاحتياط أو عدم كفايته، تغطى الخسارة بدفعة موازية من الخزينة. وإذا أصبح رصيد حساب «الاحتياط العام» من جراء اقتطاع مبلغ بموجب الفقرة السابقة أقل من نصف رأس المال، يجري توزيع الربح الصافي مجدداً بنسبة 50% لهذا الحساب و50% للخزينة، إلى أن يبلغ الحساب مجدداً نصف رأس المال، وذلك وفقاً لما تنص عليه المادة 113 من قانون النقد والتسليف.

فالفروق بين ما يوازي موجودات المصرف من ذهب وعملات أجنبية بالسعر القانوني وبين السعر الفعلي لشراء أو بيع هذه الموجودات تقيّد في حساب خاص باسم الخزينة وليس باسم المصرف المركزي. كما أن الأرباح أو الخسائر في موجودات المصرف من ذهب وعملات أجنبية، والناتجة من تعديل سعر الليرة اللبنانية القانوني أو سعر إحدى العملات الأجنبية، تقيّد أيضاً في الحساب نفسه وفقاً للمادة 115 من قانون النقد والتسليف.

فهل يمكن للمصرف المركزي والدولة معاً ضمان ردّ أموال المودعين من هذه الفوائض حال تكوينها، أم أن سنوات تطول ستحول دون ذلك؟ وماذا عن أرباح المصرف المركزي من أصوله العقارية والمالية؟ وهل يحقق المصرف المركزي أرباحاً من هذه الأصول؟

تحصيل مصرف لبنان

على صعيد إدارة أصوله العقارية والمالية، شهد مصرف لبنان العمليات الآتية في عام 2023 في إطار تحقيق إيرادات مجموعها ما يوازي / 11,014,137,077 / ليرة من عقارات مصرف لبنان المؤجرة. أما في إطار المساهمات والمشاركات فقد قام مصرف لبنان بالعمليات الآتية:

- تحصيل 17,974,929 دولاراً من توزيع أنصبة أرباح من شركة ميدكلير ش.م.ل.
- تحصيل 54,575,949 دولاراً من

> قانون النقد والتسليف يشكل إطاراً تضمن فيه الدولة ردّ المصارف أموال المودعين منه دون أن تكون هي المسؤولة عن عملية الاسترداد

توزيع أنصبة أرباح من شركة طيران الشرق الأوسط ش.م.ل.
- تحصيل 357,500 دولار من توزيع أنصبة أرباح من الشركة العربية للاستثمار.

وفي إطار التسليفات الممنوحة للقطاع المصرفي بموجب قانوني تسهيل اندماج المصارف وإصلاح الوضع المصرفي، قام مصرف لبنان بما يأتي:
- تحصيل 4,352,783 دولاراً من بنك بيبلوس ش.م.ل. نتيجة تحصيلات من ديون بنك فرعون وشيحا من عقارات بقرون ميسرة.
- تحصيل ما يوازي 202,500 دولار و1,580,629,000 ليرة من فرنسبنك ش.م.ل. نتيجة تحصيلات من ديون بنك المتّحد للسعودية ولبنان المغطاة بقروض ميسرة.
- ترصيد قرض بنك بيبلوس ش.م.ل. البالغ 106 مليارات ليرة عند استحقاقه.
- ترصيد قرض بنك الموارد ش.م.ل. البالغ 300 مليار ليرة.

16,518 مليار دولار تسليفات للقطاع العام

تتضمن التسليفات للقطاع العام تسهيلات لوزارة المالية استناداً إلى المادتين 85 و97 من قانون النقد والتسليف. ووفقاً لتقرير مصرف لبنان الرسمي، قام مصرف لبنان منذ نهاية عام 2007 بتسديد مدفوعات عن الدولة اللبنانية بالعملات الأجنبية من احتياطاته وذلك ريثما تقوم الدولة بسداد هذه المبالغ بالعملة الأجنبية لاحقاً. لقاء هذه المدفوعات، تم تخصيص قيمة موازية باللبرة اللبنانية بمنزلة ضمانة نقدية وفقاً لمعدل صرف مقداره 1507,5 ليرة للدولار. وبعد اعتماد معدل صرف 15 ألف ليرة بدلاً من 1507,5 ليرة لبنانية للدولار الأميركي الواحد بتاريخ 2023/2/1، أصبح الرصيد التراكمي للمبالغ المسدّدة عن الدولة بالعملات الأجنبية يفوق قيمة الضمانة النقدية، فنتج من ذلك «صافي مدين» لمصلحة مصرف لبنان، ما استوجب إظهار ما يوازي باللبرة اللبنانية رصيد المدفوعات الصافي التراكمي والبالغ 16,518 مليار دولار ضمن بند تسليفات للقطاع العام، وتعدّ من الموجودات وفقاً للمصرف المركزي.

السؤال الأساسي والمركزي الذي يقتضي الإجابة عنه قبل البحث في هوية الجهة التي ستعيد أموال المودعين هو حول مدى جدية الحاجة إلى قوانين تشريعية، أو أن قانون النقد والتسليف يشكل إطاراً تقوم فيه الدولة بضمان رد المصارف أموال المودعين من دون أن تكون هي المسؤولة عن عملية الاسترداد وإنما الضامنة لهذه العملية، وأن يكون مصرف لبنان وسيطاً نزيهاً بين كل من المودعين والمصارف، اعتماداً على صلاحياته المنصوص عنها في قانون النقد والتسليف واعتماداً على إمكاناته المادية وحصة الدولة من الأرباح أو من الاحتياطي المشار إليه في هذا المقال، ولا سيما لجهة ما ورد حول المادة 113 من قانون النقد والتسليف.

جرائم الاحتلال

الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية

خطوة قانونية نحو زوال الاحتلال

لونا فرحات

الرأي الاستشاري الصادر عن محكمة العدل الدولية في 19 يوليو/تموز 2024 هو رأي تاريخي يؤكد المبادئ الأساسية للقانون الدولي، خاصة في ما يتعلق بحظر الاستيلاء على الأراضي بالقوة وحق الشعوب في تقرير مصيرها، ويشكل تحدياً قانونياً كبيراً لسياسات إسرائيل في الأراضي المحتلة ويفضح الأفعال الجرمية التي ترتكبها إسرائيل والتي حرمت الشعب الفلسطيني من حقوقهم وهمشتهم لعقود من الزمن. فقد أكد الرأي الاستشاري أن الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية (المعروفة بأراضي الـ 67) هو احتلال غير قانوني وأن ممارساته من بناء المستوطنات وزيادة عدد المستوطنين وحرمان الفلسطينيين من أساسيات الحياة واستغلال الموارد الطبيعية الفلسطينية هي ممارسات غير قانونية، وأن الاحتلال الإسرائيلي يرتكب جريمة الفصل العنصري في الضفة الغربية والقدس الشرقية، وعلى الاحتلال أن يفكك المستوطنات ويمنح الفلسطينيين حق تقرير المصير. ولا يجوز للمجتمع الدولي أن يستمر في تجاهل الأحكام القانونية المتعلّقة بالسياسات غير القانونية والممارسات التي تنتهجها إسرائيل ويتعين على مجلس الأمن أن يتحرك الآن ويضع حداً للإفلات من العقاب الذي تتمتع به إسرائيل منذ عقود من الزمان.

رغم أن آراء محكمة العدل الدولية الاستشارية هي غير ملزمة قانونياً، فإنها تحمل سلطة أخلاقية وقانونية كبيرة وقد تصبح في نهاية المطاف جزءاً من القانون الدولي العرفي الذي يعتبر ملزماً قانوناً للدول. إن الرأي الاستشاري سيفتح المجال أمام إجراءات قانونية وسياسية جديدة في المحافل الدولية والاستفادة منه لتعزيز الضغط الدبلوماسي والقانوني على إسرائيل لإنهاء احتلالها. هو خطوة في مسار طويل نحو تحقيق العدالة للشعب الفلسطيني كغيره من الشعوب التي ناضلت لنيل حريتها.

إن النتائج القانونية للرأي الاستشاري لا يمكن تخطيها أو تجاهلها، فهو صادر عن الجهاز القضائي الرئيسي للأمم المتحدة، ما يحتم على أجهزة الأمم المتحدة الأخرى اتخاذ مواقف وقرارات تتماشى وتعكس ما جاء فيه. ويمكن القول إن الرأي الاستشاري الصادر عن محكمة العدل الدولية سيرتب بعض النتائج القانونية والسياسية المرتقبة:

- قوّض الرأي الاستشاري الحجج الأساسية التي تسوقها إسرائيل لاحتلالها طويل الأمد للضفة الغربية وقطاع غزة، وسيمكّن الدول ومعها الشركات والبنوك بشكل أساسي بمبرر قوي لمعاقبة إسرائيل أقله بمقاطعتها وسحب الاستثمارات المالية منها.

- إن الجمعية العامة للأمم المتحدة قادرة على عقد مناقشة حول رأي المحكمة الاستشاري وتبني قرارات بناء عليه كما فعلت في عام 2004 عندما صوتت الجمعية العامة بغالبية ساحقة لصلحة إلزام إسرائيل بالالتزام بالرأي الاستشاري الذي أصدرته المحكمة في يوليو من عام 2004 والذي خلص إلى أن الجدار الفاصل الذي تبنيه إسرائيل ينتهك القانون الدولي ولا بد من تفكيكه.

- يمكن أن يوفر الرأي الاستشاري خارطة طريق للدول التي تسعى إلى حماية حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة وإنهاء سنوات من الإفلات من العقاب عن انتهاكات جسيمة يرتكبها الاحتلال الإسرائيلي. فعلى سبيل المثال أعلنت الخارجية النرويجية أن الرأي الاستشاري بشأن الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية واضح تماماً وأن انتهاك «تل أبيب» للقانون الدولي وسياسات الضم لأجزاء كبيرة من الأراضي الفلسطينية المحتلة هي انتهاكات يجب أن تنتهي. الممثل الأعلى للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية والسياسات الأمنية، جوزيف بوريل، أعلن أن الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية يعبّر بوضوح عن موقف الاتحاد الأوروبي بأن احتلال الأراضي الفلسطينية والضفة الغربية غير قانوني تماماً ويجب إنهاؤه. بريطانيا أعلنت أيضاً أنها تؤكد موقفها المعارض تماماً للتوسع في المستوطنات غير القانونية وعنف المستوطنين المتزايد وأنها تؤيد حل «الدولتين».

- الرأي الاستشاري الصادر في 19 يوليو الحالي هو إلى حد كبير مماثل للرأي الصادر عنها في عام 1971 والمتعلق بمسألة الآثار القانونية التي تترتب على الدول نتيجة لاستمرار وجود جنوب أفريقيا في ناميبيا، وخلص رأيها آنذاك بالقول «إن استمرار وجود جنوب أفريقيا في ناميبيا غير قانوني، وجنوب أفريقيا ملزمة بسحب إدارتها من ناميبيا على الفور وبذلك تضع حداً لاحتلالها للإقليم؛ وإن الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ملزمة بالاعتراف بعدم مشروعية وجود جنوب أفريقيا في ناميبيا وبطلان أعمالها باسم ناميبيا أو في ما يتعلق بها، والامتناع عن القيام بأي أعمال، ولا سيما أي تعامل مع حكومة جنوب أفريقيا ينطوي على اعتراف بمشروعية أو تقديم الدعم أو المساعدة إلى هذا الوجود والإدارة». إن هذا الرأي قد أسهم في زيادة الضغط الدولي على جنوب أفريقيا في سبعينات القرن الماضي وأدى في نهاية المطاف إلى استقلال ناميبيا وانسحاب جنوب أفريقيا منها وإن استغرق الأمر ما يقرب العشرين سنة. وعمدت الجمعية العامة في عام 1974 إلى اتخاذ خطوة تعتبر سابقة في تاريخ الأمم المتحدة إلى تعليق مشاركة وفد حكومة جنوب أفريقيا العنصرية في اجتماعاتها بناء على قرار صدر بغالبية أعضائها. فهل تتخذ الجمعية العامة خطوة مماثلة ضد «إسرائيل» وتعلّق مشاركتها كما فعلت مع جنوب أفريقيا سابقاً؟

- إن الرأي الاستشاري أوضح أن إسرائيل هي قوة احتلال في الأراضي المحتلة وأن الضفة الغربية وغزة هما وحدة إقليمية واحدة بما فيها القدس الشرقية، وأن انسحابها من غزة لا يعفيها من التزاماتها كقوة احتلال، وأن الأراضي المحتلة (الضفة الغربية والقدس الشرقية وقطاع غزة) تنطبق عليها اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949. وبالتالي يتمتع الشعب الفلسطيني بحماية القانون الدولي الإنساني. وهذا التأكيد يعزز أمرين لصلحة الشعب الفلسطيني، الأول أن إسرائيل كقوة احتلال طويل الأمد فقدت حجة التمسك بحق الدفاع عن النفس والدواعي الأمنية لتبرير احتلالها للأراضي المحتلة منذ عام 1967. فهو مبرر مقبول لبداية الاحتلال ولكن لا يمكن قبوله لاستمرار الاحتلال أكثر من 50 سنة. الأمر الثاني وهي كقوة احتلال، لا يمكن لإسرائيل التذرع بحق الدفاع النفس ضد أعمال المقاومة التي اعترفت بها اتفاقيات جنيف والتي اعترفت بحركات المقاومة المنظمة ضد الاستعمار والاحتلال وتحديداً المادة الرابعة من اتفاقية جنيف الثالثة واعتبارها أن أعضاء هذه الحركات يُعاملون معاملة أسرى الحرب. وهو أمر سيعزز الوضع القانوني للمعتقلين الفلسطينيين سواء أكانوا مقاتلين أم مدنيين، فهم في الحالتين يحظون بحماية القانون الدولي الإنساني.

- حق تقرير المصير أكدته المحكمة في رأيها الاستشاري، وهذا مكسب آخر للشعب الفلسطيني. فقد تطرقت المحكمة إلى آثار سياسات إسرائيل وممارساتها على الشعب الفلسطيني وممارسته لحقه في تقرير المصير. و أكدت المحكمة أنه وفي حالات الاحتلال الأجنبي، يشكل الحق في تقرير المصير قاعدة قطعية من قواعد القانون الدولي ما يعني التزام إسرائيل، بوصفها السلطة القائمة بالاحتلال، بعدم إعاقة الشعب الفلسطيني عن ممارسة حقه في تقرير المصير وأن سياسة إسرائيل الاستيطانية وضمها لأجزاء كبيرة من الأرض الفلسطينية المحتلة يعيق حق الشعب الفلسطيني في تقرير وضعه السياسي بحرية والسعي إلى تحقيق تنميته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. المحكمة هنا أعادت إحياء قرار الجمعية العامة رقم 2787 الصادر في 1971/12/6 والذي جاء في بنده الأول أن الجمعية العامة «... تؤكد شرعية نضال الشعوب في سبيل تقرير المصير والتحرر من السيطرة الاستعمارية والأجنبية والاستعمار وبشكل خاص شعوب زيمبابوي وناميبيا وكذلك الشعب الفلسطيني بكل ما في متناولها من وسائل متفقة مع ميثاق الأمم المتحدة».

- اتفاق أوسلو وتوابعه لا يُسقط حقوق الشعب الفلسطيني: تلاحظ المحكمة أنه من الضروري، عند تفسير اتفاقات أوسلو، مراعاة المادة 47 من اتفاقية جنيف الرابعة، التي تنص على أنه «لا يجوز حرمان» السكان المحميين من مزايا الاتفاقية «بموجب أي اتفاق يبرم بين سلطات الأراضي المحتلة ودولة الاحتلال». ولكل هذه الأسباب، ترى المحكمة أنه لا يمكن فهم اتفاقات أوسلو على أنها تنتقص من التزامات إسرائيل بموجب قواعد القانون الدولي ذات الصلة المنطبقة في الأرض الفلسطينية المحتلة. أو من «الحقوق المشروعة» للشعب الفلسطيني المعترف بها في اتفاقات أوسلو والتي تشمل الحق في تقرير المصير. وهذا التأكيد من جانب المحكمة سيعزز حتماً موقف المحكمة الجنائية الدولية لناحية المسألة المعروضة أمامها والمتعلقة بالاحتجاج الذي تقدمت به المملكة المتحدة أمام الدائرة التمهيدية وتدعي فيه أنه لا صلاحية للمحكمة الجنائية إصدار أوامر اعتقال إسرائيليين، لأن السلطة الفلسطينية كانت قد تنازلت عن حق مقاضاتهم لإسرائيل وفقاً لأوسلو 2 وبالتالي لا تستطيع المحكمة اعتقال أفراد لا تستطيع السلطة الفلسطينية مقاضاتهم. والرأي الذي اعتمدته المحكمة الجنائية الدولية هو أن اتفاقيات أوسلو لا تقوض من صلاحياتها في نطاق الأراضي الفلسطينية المحتلة (راجع القوس أوسلو 2 تمنع اعتقال نتنياهو؟ 2024/7/6)

- باعتبار أن الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية هو غير قانوني سواء أتعلق بوجوده أم بممارساته، هذا يستتبع بالتأكيد مسؤولية قانونية سواء على مستوى «إسرائيل كدولة» وتتمثل بالتعويض واستعادة الأوضاع التي كانت قائمة قبل ارتكاب الفعل غير المشروع، وكذلك تترتب مسؤولية الجناية الفردية على مرتكبي الفعل غير المشروع.

● بموجب الرأي الاستشاري، فإن جميع الدول ملزمة بعدم الاعتراف بشرعية الحالة الناشئة عن الوجود غير القانوني لإسرائيل في الأرض الفلسطينية المحتلة. كما أنها ملزمة بعدم تقديم العون أو المساعدة في الإبقاء على الوضع الناشئ عن الوجود الإسرائيلي غير القانوني في الأرض الفلسطينية المحتلة. وعلى جميع الدول، مع احترامها لميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي، أن تكفل وضع حد لأي عائق ينجم عن الوجود غير القانوني لإسرائيل في الأرض الفلسطينية المحتلة أمام ممارسة الشعب الفلسطيني لحقه في تقرير المصير. وبالإضافة إلى ذلك، يقع على عاتق جميع الدول الأطراف في اتفاقية جنيف الرابعة، مع احترامها لميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي، التزام بضمان امتثال إسرائيل للقانون الإنساني الدولي على النحو الوارد في تلك الاتفاقية. وبناء على ذلك، فإن خبراء القانون الدولي يميلون إلى الاعتقاد بأن الرأي الاستشاري سيؤدي حتماً إلى تغيير في السياسات الغربية حيال إسرائيل وسيزيد الأخيرة من عزلتها الدولية.

> خبراء القانون الدولي يميلون إلى الاعتقاد بأن الرأي الاستشاري سيؤدي حتماً إلى تغيير في السياسات الغربية حيال إسرائيل وسيزيد الأخيرة من عزلتها الدولية

جرائم الاحتلال

«يو إن واتش» تهاجم رئيس محكمة العدل الدوليّة

إسرائيل تتّهم نواف سلام بـ «الخيانة»

«منذ أن أصبح رئيسًا لمحكمة العدل الدولية في شباط 2024، قام القاضي نواف سلام بتسريع الإجراءات في قضية الإبادة الجماعية التي تقدّمت بها جنوب إفريقيا ضد إسرائيل، على حساب إسرائيل»، كتب الإسرائيلي الأميركي دانيال سميث في تقرير نشرته منظمة «يو إن واتش» المختصّة بالدفاع عن جرائم الكيان الإسرائيلي في الأمم المتحدة كما يتبيّن من زيارة موقعها الرسمي. وطالبت المنظمة رئيس محكمة العدل الدولية السفير اللبناني السابق بالتنحّي بسبب تصويته، خلال تولّيه رئاسة بعثة لبنان في الأمم المتحدة، على قرارات تدين الاعتداءات الإسرائيلية وتطالب بمحاسبتها بسبب خرقها للقوانين الدولية. نعرض في هذا النص أهم ما ورد في التقرير من مزاعم وادّعاءات ساقتها المنظمة بحق القاضي سلام

بطاقة هوية

ولد نواف عبد الله سليم سلام في 15 كانون الأول 1953 لعائلة بيروتية معروفة. والده عبد الله سلام ووالدته رقت بيهم. جدّه لأبيه هو سليم سلام مؤسس «الحركة الإصلاحية في بيروت»، وقد انتخب نائبًا عن بيروت في مجلس المبعوثان العثماني عام 1912. عمّه صائب سلام الذي عرف بنضاله من أجل استقلال لبنان عن الانتداب الفرنسي، وتولّى لاحقًا رئاسة الحكومة اللبنانية أربع مرات بين 1952 و1973. تولّى ابن عمه تمام سلام رئاسة الحكومة اللبنانية بين 2014 و 2016.

نال نواف سلام شهادة دكتوراه دولة في العلوم السياسية من معهد الدراسات السياسية في باريس عام 1992 وشهادة ماجستير في القانون من كلية الحقوق في جامعة هارفرد (1991) ودكتوراه في التاريخ من جامعة السوربون (1979). انتخبته الجمعية العامة للأمم المتحدة رئيسًا لمحكمة العدل الدولية في شباط 2024 وكان قد انضمّ إلى المحكمة لأول مرة كقاض في شباط 2018، بعدما قضى 11 عامًا سفيرًا للبنان في الأمم المتحدة.

عمر نشّابة

«كان القاضي سلام مرشحاً لرئاسة وزراء لبنان، وهو الاسم الذي طرحه حزب الله» (صفحة 5). وردت هذه المعلومات الخاطئة حرفياً في تقرير مؤلف من 28 صفحة وضعته منظمة «يو إن واتش» في 18 تمّوز الجاري. صحيح أن سلام كان مطروحاً لتولي رئاسة مجلس الوزراء في لبنان، لكن حزب الله لم يطرح اسمه. يبدو أن كاتب التقرير دنيال سميث لم يدقّق جيداً في المعلومات التي جمعها أو أنه قصد إبراز هذه المعلومات الخاطئة لأنها تربط سلام بمنظمة تصنّفها الولايات المتحدة منظمة إرهابية.

وورد في التقرير أن سلام «بصفته سفير لبنان السابق لدى الأمم المتحدة، صوّت 210 مرات لإدانة الدولة اليهودية. وألقى عشرات الخطابات التحريضية التي اتّهم فيها منظمات يهودية إرهابية بارتكاب مجازر منظّمة»، علماً أن تصويت سلام على قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي تدين الكيان الإسرائيلي لم يكن بمثابة حكم مسبق أو تجاوز لقرينة البراءة، بل كان يستند الى وقائع وخلاصات تقارير صادرة عن وكالات تابعة للأمم المتحدة، اتّبعت منهجية علمية واحترمت المعايير والأصول الأخلاقية. في معظم المرات التي صوّت خلالها لبنان على قرار يدين «إسرائيل» في الأمم المتحدة، كان الجيش الإسرائيلي يخرق قرارات صادرة عن مجلس الأمن الدولي ويجتاح أجزاءً من جنوب لبنان ويعتدي على أهله وينتهك سيادته. ولم يصوّت لبنان ضد «إسرائيل» للهجوم عليها، بل لكفّ شرّها. «إسرائيل ملزمة كعضو في الأمم المتحدة باحترام واجباتها القانونية الدولية من خلال تطبيق القرارات الملزمة الصادرة عن مجلس الأمن وعلى رأسها القرار 194 (1948) الذي ينص على عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى بيوتهم وممتلكاتهم، والقرار 242 (1967) الذي يأمرها بالانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزّة والجولان السوري المحتل، والقرار 605 (1987) الذي يشجب الممارسات الإسرائيلية التي تنتهك حقوق الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة ويطلب من إسرائيل أن تتقيد فوراً وبدقة باتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب، وغيرها العديد من القرارات المماثلة التي تضرب إسرائيل بها عرض الحائط. ولا بد من التذكير بأن «إسرائيل» قتلت أكبر عدد من موظفي الأمم المتحدة منذ تأسيسها، وخصوصاً في قطاع غزة وكذلك في جنوب لبنان. ولم يخف المسؤولون الإسرائيليون قصفهم المباشر لمدارس ومنشآت تحمل العلم الأزرق، ولم ينفوا قتل وخطف وتعذيب وإذلال موظفي الأمم المتحدة في فلسطين المحتلة. أما بشأن المنظمات اليهودية الإرهابية التي ارتكبت «مجازر منظّمة»، كما ذكر سلام، فيمكن تأكيد ذلك من خلال وزارة العدل الأميركية نفسها التي أوردت تقارير تؤكد ضلوع منظمات «أرغون» و«شتيرن» و«هاغانا» الإرهابية الإسرائيلية في مجازر منظّمة. كذلك أكد بعض المؤرخين الإسرائيليين، مثل بيني موريس وآفي شلايم أن المنظمات اليهودية الإرهابية ارتكبت مجازر وحشية بحق الفلسطينيين.

تهديد بعقوبات أميركية

يحذّر تقرير «يو إن واتش» من أنه «إذا لم ينحَّ نواف سلام نفسه عن رئاسة المحكمة، يجب أن يواجه عقوبات». وقبل عرض موضوع العقوبات، نشير الى أن الغالبية الساحقة من قضاة محكمة العدل الدولية (14 أو 13 قاضياً من أصل 15) صوّتت على القرارات الدولية تدعو الى وقف إطلاق النار وفتح الممرات الإنسانية والتمنّع عن قتل المدنيين واستهداف المستشفيات والطواقم الطبية. القرار الأول الذي طالب بذلك صدر عن محكمة العدل الدولية قبل تولّي سلام رئاستها. يومها كانت القاضية الأميركية، التي كانت موظفة في وزارة الخارجية الأميركية قبل ذلك، جوان دونوهيو تشغل مركز رئيسة المحكمة. أما القاضية الأميركية سارة كليفلاند التي انضمت الى المحكمة في شباط الماضي، فصوّتت لمصلحة وقف إطلاق النار كما صوّتت لمصلحة الرأي الاستشاري الذي يدين «إسرائيل» ويقول إنها خالفت التزاماتها القانونية (ملخص الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية في الصفحة 8).

لكن رغم ذلك، دعت رسالة من الحزبَين الجمهوري والديموقراطي في 28 آذار 2024 أعضاء الكونغرس الأميركي ووزير الخارجية الأميركي بلينكن وإدارة جو بايدن إلى تقييد سفر سلام إلى الولايات المتحدة «وتطبيق عقوبات أخرى» إذا لم ينحَّ نفسه عن النظر في القضيتين المتعلقتين بـ«إسرائيل» أمام المحكمة. ويشير التقرير الى أن سلام لم يرضخ لهذا التهديد «بل على العكس من ذلك، هناك أدلة تشير إلى أنه يعمل على تسريع القضيتين» (شكوى جنوب إفريقيا المتعلقة بالإبادة الجماعية في غزة والرأي الاستشاري بشأن الاحتلال الإسرائيلي) ذات الدوافع السياسية»، علماً أن لا دوافع سياسية للقضيتين، بل إن الدوافع لطلب تدخل المحكمة الدولية والهيئات الدولية ومجلس الأمن ينطلق من وقائع بشعة ومعاناة أليمة وضحايا بعشرات الآلاف واغتصاب لأبسط القواعد الإنسانية. والمطلوب بداية وقف إطلاق النار والانسحاب من الأراضي المحتلة. لا بل المطلوب بداية السماح بإدخال الطعام ومياه الشرب الى أطفال؛ من بينهم جرحى ومرضى ومعوّقون محاصرون في غزة. ومنع التجويع والتعذيب والقتل ليس ولا يمكن أن يكون مناورة سياسية.

اتهام بتسريع الإجراءات القضائية؟

في 10 أيار 2024، مع استمرار الإبادة الجماعية التي ترتكبها «إسرائيل» بحق الفلسطينيين في غزة قدمت جنوب إفريقيا طلبًا لتعديل التدابير المؤقتة. وكان ذلك الطلب الرابع الذي تقدمت به جنوب إفريقيا إلى المحكمة خلال خمسة أشهر. فقرر سلام تحديد يوم 15 أيار موعدًا لتقديم المذكرات المكتوبة من قبل الفريقين الإسرائيلي والجنوب أفريقي، ويومي 16 و17 أيار لجلسات الاستماع الشفهية. وفي 13 أيار، طلب الوفد الإسرائيلي من المحكمة تأجيل جلسات الاستماع إلى الأسبوع التالي، حيث إن مستشارها القانوني لن يكون موجوداً في لاهاي يومي 16 و17 أيار. رفض سلام هذا الطلب. وأصرّ على أن تنعقد الجلسات يومَي الخميس والجمعة 16-17 أيار. رفض سلام طلب تأجيل الجلسات ليس لأنه يريد تسريع الإجراءات، بل لأنه أراد تجنّب إبطائها من دون أسباب موجبة. فالوفد الإسرائيلي لم يقدم أسبابًا معقولة تبرّر التأجيل، وإن غياب أحد أعضاء الوفد لا يبرّر استمرّة ومتزايدة بحقّ مدنيين أينما كانوا.

بدع الأدلة «الدامغة» وروايات أخرى

يحلّل تقرير «يو إن واتش» سجلّ نواف سلام كسفير لبناني بين عامَي 2007 و2017 ويدّعي كاتبه أنه عثر على «أدلّة دامغة على أن سلام ليس حَكَماً عادلاً ومحايداً في القضايا المتعلقة بإسرائيل أو حقوق الإنسان». وعدّد التقرير ما يزعم أنها «أبرز النتائج المتعلقة بانحياز نواف سلام ضد إسرائيل» ويقول: «خلال فترة عمله، ممثلاً للبنان لدى الأمم المتحدة، صوّت سلام لإدانة إسرائيل 210 مرات». وتضمّنت هذه القرارات «بشكل روتيني إدانات أحادية الجانب لإسرائيل، ومنحت حرية الحركة لحماس». على سبيل المثال، في كانون الأول 2008، صوّت سلام لمصلحة قرار يتّهم إسرائيل بارتكاب «أعمال إرهابية واستفزاز وتحريض وتدمير، ضد الفلسطينيين، لكنه لم يشر إلى حماس أو الجهاد الإسلامي»، علماً أن القرار الذي صوّتت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة يومها يتعلق تحديداً بالممارسات الإسرائيلية في الأراضي التي تحتلّها، ومسؤولية «إسرائيل» كقوة احتلال (الفقرة العاشرة من القرار). ولا يتعلق القرار بالوضع في فلسطين المحتلة مثلاً حتى يكون هناك مناسبة لإثارة موضوع حماس والجهاد الإسلامي.

التقرير الإسرائيلي يشير كذلك الى «قرار آخر أيّده سلام، في عام 2017، اتهم إسرائيل بالانتهاك المنهجي لحقوق الإنسان للشعب الفلسطيني»، و«التسبب في مقتل وإصابة المدنيين الفلسطينيين، بمن فيهم الأطفال والنساء والمتظاهرون السلميون».

نشير أولاً الى أن هذا القرار صوّتت لمصلحته 153 دولة في الجمعية العامة للأمم المتحدة ويشكّل إدانة المجتمع الدولي وغالبية شعوب العالم للممارسات الإسرائيلية التي تشكّل انتهاكًا صارخًا للقانون الدولي. ومن الصعب التخيّل مثلاً امتناع لبنان عن التصويت على هذا القرار.

في خطاباته أمام الأمم المتحدة، أدلى سلام أيضًا بالعديد من التصريحات التي عدّها التقرير «تحريضية» و«تظهر الانحياز الشديد ضد إسرائيل». ففي خطاب ألقاه في الأمم المتحدة في تشرين الثاني 2008، قال سلام إن «القيادة الصهيونية العليا» اتّبعت خطة «للتطهير العرقي» من خلال «الإرهاب والمذابح المنظّمة». وهناك العديد من الدراسات القانونية الموثوقة التي تؤكد دقّة ما قاله سلام. في تشرين الثاني 2009، قال سلام أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة إن «مجرمي الحرب [الإسرائيليين] استفادوا لفترة طويلة جداً من الإفلات من العقاب». وهذا واقع لا يمكن إنكاره، وخصوصاً في الأمم المتحدة.

ويوم استخدم سلام لغة أكثر ديبلوماسيةً ولطفاً مثل اتهامه إسرائيل عام 2011 بارتكاب «أعمال غير مشروعة»، لم يشفع له ذلك لدى جماعة «يو إن واتش» التي اتهمته بالانحياز. لكن في الشهر نفسه الذي نشر في 26 تموز 2011، أشار المنسق الأممي لعملية السلام في الشرق الأوسط، ممثل الأمين العام للأمم المتحدة روبرت سيري إلى أن «هذا الاحتلال غير القانوني ما زال مستمرًا بلا هوادة في انتهاك للقانون الدولي»، مذكّرًا بأن المستوطنين الإسرائيليين، في الشهر الماضي وحده، «شجّعوا بشكل واضح الاتجاهات المتطرفة لحكومتهم، وقاموا باكثر من 139 هجومًا إرهابيًا ضد المدنيين الفلسطينيين».

تابع كاتب التقرير الإسرائيلي تعداد خطابات السفير سلام قبل تولّيه رئاسة المحكمة، فلفّا منه أن فيها ما يدفعه الى التنحّي أو يدفع المحكمة الى تنحيته. زعم أنه في 13 حزيران 2014، «اتّهم سلام إسرائيل بارتكاب جرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب». كان سلام يتناول يومها جرائم يرتكبها مستوطنون بحق الفلسطينيين في تجاوز واضح للاتفاقات الدولية بشأن الضفة الغربية. ونشير في هذا السياق الى أن الولايات المتحدة نفسها فرضت عقوبات على المستوطنين بسبب تجاوزاتهم. كما نشير الى أن وزراء خارجية مجموعة السبع انضمّوا إلى الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي في مطلع الشهر الجاري لإدانة قرار الحكومة الإسرائيلية الشهر الماضي بإضفاء شرعية على خمس بؤر استيطانية في الضفة الغربية، وقالوا في بيان مشترك إن ذلك «يتعارض مع القانون الدولي» (الغارديان 11 تموز 2024).

في 18 حزيران 2014، اعترض سلام على ترشيح «إسرائيل» لمنصب نائب رئيس اللجنة الرابعة للجمعية العامة، على أساس أنها «الدولة الأكثر إدانة» في الجمعية العامة. وقال سلام إن إسرائيل ليست مؤهلة للترشح «لأيّ منصب» في الأمم المتحدة. وفي مناسبات عديدة، اتهم سلام إسرائيل بممارسة «الأبارتايد» في فلسطين المحتلّة («الأبارتايد» أي التمييز العنصري يعدّ جريمة ضد الإنسانية بحسب القانون الجنائي الدولي).

ورد في التقرير أن نواف سلام اتّهم (عام 2016) إسرائيل باستخدام «الأسلحة الأكثر شراسة ومثيرة للاشمئزاز على الإطلاق» خلال عدوانها على لبنان عام 2006 و«لم يدن حزب الله لشنّه الحرب، أو لمهاجمته المدنيين الإسرائيليين بآلاف الصواريخ. بل على العكس من ذلك، قلب سلام سبب الحرب، فكتب كذبًا أن إسرائيل هي التي شنّت حربًا دامت 33 يومًا». حزب الله شنّ عام 2006 هجوماً على هدف عسكري محدّد في منطقة لبنانية حدودية يحتلّها الجيش الإسرائيلي ولا يوجد فيها مدنيون. هدف الهجوم كان أسر جنود إسرائيليين لمقايضتهم لاحقاً بأسرى لبنانيين يعتقلهم الإسرائيليون ولم يكن الهدف شن حرب شاملة أو استهداف المدنيين. وبالتالي إن ما قاله سلام دقيق حيث إن الجيش الإسرائيلي هو الذي بادر إلى قصف المدنيين والمنشآت المدنية في العمق اللبناني وليس حزب الله.

> رفض سلام طلب تأجيل الجلسات ليس لأنه أراد تسريع الإجراءات بل لأنه أراد منع إبطائها من دون أسباب موجبة

خيانة ضحايا حقوق الإنسان؟

الأستاذ الجامعي والديبلوماسي البيروتي معروف بمواقفه الحذرة وبتجنب إطلاق التصريحات بنبرة عالية. ويُقال إنه لا يُزعّل الأميركيين والأوروبيين وخصوصاً الفرنسيين الذين تربطه بهم علاقة وثيقة. وفي لبنان، يُحسب نواف سلام من حصّة الوسطيين مع ميل إلى الجهة التي تبتعد عن أيّ توجه أو حزب إسلامي أو تتبنّى عقيدة إسلامية. تابع سلام دراسته الجامعية العليا في أعرق الجامعات الأميركية والفرنسية، وهو يقيم في الغرب منذ عشرات السنين. لكن بالرغم من تعلّقه بالغرب وبالقيم الغربية وبُعده عن الجمهورية الإسلامية في إيران وعن حزب الله، اتّهمه الإسرائيليون بانحيازه لمصلحتهم وعدّوا ذلك «خيانة لضحايا حقوق الانسان».

كما اتّهمه تقرير «يو إن واتش» زورًا بالوقوف الى جانب الحاكم المستبدّ ضد شعبه في العديد من البلدان. فادّعى التقرير أن سلام «وقف باستمرار إلى جانب الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وخلال فترة ولايته، صوّت ضد 11 قراراً للجمعية العامة يدين انتهاكات النظام الإيراني ضد شعبه». ومع اندلاع الحرب في سوريا في نيسان 2011، ساهم سلام بحسب التقرير «بمنع إصدار بيان صحافي جماعي من المجلس كان من شأنه أن يدين النظام السوري لمهاجمته المتظاهرين المدنيين». كما أعرب سلام عن دعمه لـ«إصلاحات» الرئيس السوري بشار الأسد، علمًا أنه في 2011 كان هناك محاولة لمنع توسّع الحرب في سوريا وقد جاء القرار لعدم التصويت على قرار قد يزيد من تفاقم المشكلات. وفي تشرين الأول 2011، امتنع سلام عن التصويت على قرار لمجلس الأمن كان من شأنه أن يدين الرئيس السوري بشار الأسد. «دفع ذلك الامتناع سياسيين لبنانيين إلى المطالبة باستقالة سلام». واستند التقرير الى مقال كتبته مونيك بوفيه ونشرته صحيفة «العربي الجديد» في 14 تشرين الثاني 2017 لا ترد فيه أسماء «السياسيين اللبنانيين» الذين طالبوا بإقالة او استقالة سلام. أخيرًا ذكر التقرير أن سلام نشر على وسائل التواصل الاجتماعي مديحًا لـ«أيقونة التمرد والمقاومة» القائد الثوري الكوبي الراحل فيدل كاسترو، فهل يمكن اعتبار ذلك «خيانة لضحايا حقوق الإنسان»؟

جرائم الاحتلال

تدمير ممنهج لمرفق العدالة
أن تكون محامياً في فلسطين المحتلة

«ما بديش إشي غير إنه اصير محامي»، لم يعد في استطاعة سامي، طالب الحقوق، تحقيق حلمه كغيره من طلاب غزة نتيجة حرب الإبادة التي طالت كل أشكال الحياة في القطاع. إذ استهدف الاحتلال بشكل ممنهج كل مرافق غزة ومن ضمنها المرفق العدلي. فطال الدمار والقتل كليات الحقوق وطلابها ونقابة المحامين ومحاميها والمحاكم وقضاتها إلى مراكز الضابطة العدلية ورجالها. ومن غزة إلى الضفة واراضي الـ 48، النهج واحد بالتضييق والاعتقال لكل محامي فلسطين ومحاربة مهنة العدالة والدفاع عن الحقوق

أحمد مدلج

يبلغ عدد المحامين في غزة 3,000 وفي الضفة 7,000 وفي أراضي الـ 48 نحو 30 ألفاً. ويتألف الجسم القضائي في فلسطين من محكمة بداية (تنظر في الجنايات والنزاعات التجارية ذات المبالغ العالية) ومحكمة صلح (تنظر في الجنح والنزاعات التجارية ذات المبالغ البسيطة) في كل محافظة. أما في القضاء العسكري، فهناك

> **عدد من مكاتب المحامين دُمر من قبل الاحتلال في الضفة والقدس وتم وضع محامي القدس تحت الإقامات الجبرية**

هيئة القضاء العسكري الفلسطيني (قضاتها عسكريون) التي تحاكم منتسبي الأجهزة الأمنية الفلسطينية عند ارتكابهم جرائم ومخالفات، وهي محاكم مستقلة عن محاكم الصلح والبداية. وهناك محاكم الاحتلال العسكرية التي يحاكم فيها الأسرى الفلسطينيون في الضفة (محكمة سالم ومحكمة عوفر)، إضافة إلى مجلس قضاء أعلى فلسطيني يرأس رئيسه المحكمة العليا في كل مدينة من مدن فلسطين. أما محاكم الاستئناف، فهي ثلاث: محكمة استئناف القدس واستئناف الخليل واستئناف نابلس. وتقع مراكز كل من محكمة النقض والمحكمة الإدارية والمحكمة الدستورية في رام الله، فيما المحاكم الخاصة مثل محكمة تسوية الأراضي والمياه فتقع ضمن كل مدينة. وفي ما يتعلق بقطاع غزة، يوجد في كل مدينة قصر عدل مع مجلس قضاء أعلى مركزه محافظة مدينة غزة.

أما كليات الحقوق، فهي عدة وأهمها جامعة النجاح الوطنية في نابلس وجامعة بيرزيت في رام الله وجامعة القدس أبو ديس في القدس والجامعة العربية الأميركية في جنين وجامعة الخليل في الضفة، وجامعة فلسطين في غزة.

تنقسم نقابة المحامين إلى نقابتين منفصلتين إدارياً وماليا، الأولى في الضفة والثانية في غزة. ولكلا النقابتين نقيب ونائبان وأمين سر وأمين صندوق. ويبلغ عدد أعضاء مجلس كل نقابة 15 (9 من الضفة والقدس و6 من غزة). ولكل من غزة والضفة وزارة عدل.

وللانتساب إلى نقابة المحامين، يمر طالب الانتساب بثلاث مراحل، امتحان خطي ثم امتحان شفهي يليه تقديم بحث قانوني كآخر مرحلة للتسجيل في النقابة. كما يؤخذ المعدل الجامعي في الحسبان.

تدمير الجسم القضائي في فلسطين

يشير تقرير الأمم المتحدة عن الهيكل القضائي في غزة (أعدته مارغريت ساترثوايت المقرّرة الخاصة المعنية باستقلال القضاة والمحامين، وإيرين خان المقررة الخاصة المعنية بحرية الرأي والتعبير) إلى قصف الجيش الإسرائيلي في 9 تشرين الأول 2023 مبنى نقابة المحامين الفلسطينيين، ما أدى إلى تدمير أرشيفها الرسمي. وفي 4 كانون الأول 2023، نشر الجيش الإسرائيلي مقطع فيديو يُظهر تفجير مبنى محكمة غزة بالكامل. وأشارت الخبيرتان إلى أنه منذ تشرين الأول 2023، واجه المحامون الفلسطينيون داخل أراضي الـ 48 الذين عارضوا الهجوم الإسرائيلي المستمر على غزة أو تحدثوا دفاعاً عن حقوق الفلسطينيين، مضايقات عدة. كما كانوا موضوع شكاوى قُدِّمَت إلى نقابة المحامين الإسرائيليين بسبب خطابهم العلني.

وفي 12 تشرين الأول، أرسلت نقابة المحامين الإسرائيلية رسالة إلكترونية إلى جميع المحامين المسجلين تفيد بأن اللجنة الوطنية لأخلاقيات المهنة لن تتسامح مع أي محامٍ ينشر محتوى على حساباته الشخصية على وسائل التواصل الاجتماعي يُعتبر «تحريضاً على العنف»، وأن اللجنة ستتخذ إجراءات قانونية بحقّ هؤلاء المحامين.

وفي 18 تشرين الأول ، نشر نائب رئيس نقابة المحامين في إسرائيل على وسائل التواصل الاجتماعي أن لجنة أخلاقيات مهنة المحاماة قدمت لوائح طوارئ جديدة إلى وزير العدل الإسرائيلي، تمنح اللجنة سلطة تعليق عمل المحامين المشتبه في دعمهم للإرهاب فوراً.

قتل واعتقال

ضمانات كثيرة ينص عليها الصك العالمي للمبادئ الأساسية بشأن دور المحامين، لكنها لم تستطع إنقاذ 115 محامياً من الموت في القصف الهمجي الإسرائيلي على غزة. فيما سُجل اعتقال 30 محامياً منذ بدء حرب الإبادة. واستهداف المحامين والحقوقيين ليس وليد اللحظة بل هو نهج للاحتلال الإسرائيلي، لكنه تصاعد بعد السابع من أكتوبر. فمنذ بدء حرب الإبادة، لفتت هيئة الأسرى إلى تعرض الطواقم القانونية العاملة في المؤسسات الحقوقية، وتحديداً من يقومون بزيارة الأسرى وتمثيلهم، لعدد من الإجراءات التي تحول عن تنفيذ عملهم. ومن هذه الإجراءات تعمد إدارة السجون إعلان حالة الطوارئ لدى وصول المحامي إلى السجن بهدف إلغاء الزيارة بعد أن يكون قد سافر لمسافة طويلة، إضافة إلى المماطلة في إعطاء ردود على طلبات الزيارة. وتعرّض عدد من المحامين لعمليات إذلال وتهديدات خلال تنفيذهم للزيارات.

معاناة محامي الضفة

ممثل اللجنة الفرعية لنقابة المحامين في محافظة قلقيلية المحامي عمرو شواهنه أوضح لـ «القوس» أن «المحامي الفلسطيني كغيره من فئات المجتمع الفلسطيني تأثر كثيراً منذ 7 أكتوبر، سواء على مستوى الأداء والعمل والخدمات أم على مستوى الدخل والمعاملة». فـ «المحامي الفلسطيني حالياً يعتبر عاطلاً عن العمل بنسبة 90% بسبب تعثر الدوام الرسمي في المحاكم والدوائر نتيجة انقطاع رواتب الموظفين، ما أدى إلى نقص في الكوادر بنسبة 50%، وإلى توقف الجلسات». وأضاف أن «إغلاق الاحتلال للطرق واعتداءات المستوطنين على المارة في الطرق الرئيسية التي تربط المدن ببعضها، أدى إلى منع المحامي من التنقل بشكل طبيعي». ولفت شواهنه إلى أن «المحامي في نظر الاحتلال هو مواطن فلسطيني. لذلك تم فرض قيود كبيرة على المحامي، ومُنع كغيره من المواطنين من نشر أي منشورات عبر مواقع التواصل الاجتماعي لنقل الصورة الحقيقية أو نعي شهيد او الوقوف بجانب الأسرى أو تمجيد عمل المقاومة أو أي شيء من هذا القبيل. واعتُقل عدد من المحامين بتهم التحريض ضد إسرائيل وعقوبتها السجن ستة أشهر وفقاً لقانون طوارئ الاحتلال». ونبّه شواهنه إلى نقص الدخل والإيرادات لصناديق النقابة، «فبعد استشهاد عدد كبير من المحامين في غزة واعتقال آخرين في الضفة، زاد الإنفاق من الصناديق لإعانة عائلاتهم، فيما لم يتمكن نحو 40% من دفع رسوم النقابة التي تراوح بين 500 و700 دولار، ولهذا أثر كبير على إيرادات النقابة».

وشدد شواهنه على أن «الاحتلال لا يعترف بأي اتفاقية دولية ولا بأي حقوق إنسان، والمحامي لا يعدّ بنظر الاحتلال صاحب مهنة سامية ورسالة عادلة كباقي المجتمعات، ولا يتمتع بأي حصانة ولا بحرية التنقل للقيام بواجبه تجاه الأسرى والمعتقلين، عدا عن تدمير عدد من المكاتب في الضفة والقدس ووضع محامي القدس تحت الإقامة الجبرية».

وختم شواهنه بأن «رسالتنا لكل محامي العالم أن المحامي الفلسطيني هو في خط الدفاع الأول عن قضية فلسطين. في غزة استشهد 115 محامياً دفاعاً عن أرض فلسطين، ودمرت مباني نقابة المحامين ومباني قصور العدل، ولا توجد الآن محاكم أو مكاتب أو نقابة في غزة».

حق الدفاع ممنوع

وقال المحامي مازن أبو عون المختص بقضايا الأسرى لـ«القوس»، إن «ما من شيء بقي على حاله من حيث المعاملة ومن حيث الأوامر العسكرية التي تتعلق بالمحاكمات. محكمة سالم العسكرية في شمال الضفة الغربية لم تشهد عقد أي جلسة لنحو شهرين، وأرجئت كل الجلسات غيابياً. حتى هذه اللحظة لم نشاهد المعتقلين بل تتم المحاكمات من بعد عبر نظام «video conference». وأشار أبو عون إلى «منع المحامين من النزول إلى مكاتب النيابة ومرافق المحكمة وسكريتارية المحكمة بحجة الخوف على حياة الجنود وأعضاء المحكمة»، إضافة إلى «التغيير الدائم لمواعيد الجلسات وأماكن انعقادها والتحقيق والاستجواب، وكذلك لآليات الدخول والخروج إلى المحكمة للتضييق على المحامين. فحظر وجود المحامين في مرافق المحكمة وحصروا في غرفة انتظار المحامين وقاعة المحكمة، ولم تعد هناك قدرة على التواصل وإدارة الملفات بشكل عملي ومهني».

القوانين لا تطبق على العرب

المحامي في الأراضي المحتلة 48 حسن عبدي، تحدث لـ«القوس» عن «تغير جذري في ظروف عمل المحامي الفلسطيني في دولة الكيان بعد السابع من أكتوبر.

> **محاكم الاحتلال أصبحت صوريّة إذ استغرقت 9 جلسات 27 دقيقة فقط من دون إحضار المعتقل إلى قاعة المحكمة**

فالجهاز القضائي بات يرى فيه عدواً وجبهة مقاومة دائمة، لذلك «المعاملات توضع في الجوارير، وبات القضاة أكثر عدوانيّة وتشدّداً ضد كلّ ما هو عربي. ويتم التعامل معنا بفوقيّة، وهناك تخوّف دائم من الانحياز ضد المحامي العربي وموكّله»، ناهيك بافتعال تعقيدات والمماطلة بهدف تأجيل الملفات، و«يشعرونك كل الوقت بأنك شخصيّة غير مرغوب فيها ويحاولون تخسيرك القضيّة بأي طريقة».

الصعوبات التي يعاني منها المحامي الفلسطيني داخل محاكم الاحتلال

- المنع من النزول إلى مكاتب النيابة ومرافق المحكمة.
- عدم تعيين مواعيد جلسات للأسرى.
- تغيير دائم لمواعيد الجلسات.
- حظر تواجد المحامين في مرافق المحكمة.
- اللقاء مع الأسير أقل من ساعة، بمرافقة 4 سجّانين.
- إلغاء زيارات في اللحظات الأخيرة.
- عدم السماح بالمرافعة حسب الأصول.

ولفت إلى أنه قبل السابع من أكتوبر، كان يسمح للمحامي بزيارة الأسرى والمعتقلين بعد ترتيب مسبق يأخذ بضعة أيام، ويلتقي 3 و4 أسرى في كل زيارة، وكانت مدة اللقاء مفتوحة وتستمر بضع ساعات. اليوم يستغرق الترتيب للقاء أسابيع، وتقتصر الزيارة على أسير واحد فقط رغم أن الوصول إلى السجن يتطلب سفراً طويلاً». وأوضح أن مدة اللقاء «أقل من ساعة، بمرافقة 4 سجّانين، 2 من جهة الأسير و2 من جهة المحامي، وكثير من الزيارات يتم إلغاؤها في اللحظات الأخيرة، أو يجري خلال اللقاء الإعلان عن حالة طوارئ وهمية لإبعاد المحامي، و«في المدة الأخيرة منع الكثير من المحامين من زيارة المعتقلين والأسرى». أما المحاكمات، فقد «أصبحت صوريّة ولا يسمح ويحاولون تخسيرك القضيّة بأي لافتاً إلى أنه «في إحدى المحاكم، كنت أنتظر دوري وشاهدت مشهداً سريالياً لا يُصدّق، إذ استغرقت 9 جلسات 27 دقيقة فقط من دون إحضار المعتقل إلى قاعة المحكمة».

ولفت عبدي إلى أن محامي أراضي الـ 48 «باتوا يعانون من تضييق لم يتعرضوا له سابقاً»، فيما «محامو غزة ممنوعون من المرافعة خارج حدود قطاع غزة. أما محامو الضفة الغربية، فعملهم يقتصر في محكمتي عوفر وسالم ويواجهون عراقيل».

وأشار عبدي إلى أن محامي العالم «يدافعون عن حقوق الإنسان ويحملون راية الحرية ولهم مكانتهم المهنية بموجب القوانين المحلية والدولية، غير أن الكيان لا يحترم هذه القوانين ويحاول بشتّى الطرق عرقلة عمل المحامي الفلسطيني والتضييق عليه وعدم السماح له بممارسة مهنته بحريّة، ومحاولة جعل عمله صورياً».

شهداؤنا ليسوا مجرد أرقام

115 محامياً ومحامياً متدرباً طالتهم الصواريخ والقذائف لتنهي على حياتهم وأحلامهم. منهم من دخل المهنة بعد سنوات من التعب والدراسة لتحطم آلة الحرب الإسرائيلية أمالهم. ومنهم من يمارس المهنة أو على وشك التقاعد بعد سنوات من العمل الدؤوب.

تنشر «القوس» بعضاً من صور الشهداء المحامين واسمائهم لأن شهداؤنا ليسوا مجرد أرقام.

الشهيد المحامي حمادة مخيمر

الشهيد المحامي المتدرب رمضان الشافعي

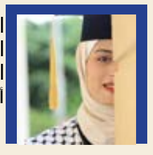
الشهيدة المحامية المتدربة لينا أبو صفية

الشهيد المحامي المتقاعد جمال الخيري

الشهيد المحامي واستاذ القانون في جامعة فلسطين ممدوح أبو الحسنى

الشهيدة المحامية الهام الحطاب

الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية
القانون الدولي فوق أوسلو

جاء الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية للإجابة على السؤال الموجه للمحكمة من قبل الجمعية العامة للامم المتحدة في قرار تبنته في كانون أول 2022

تضمن السؤال:

ما هي الآثار القانونية الناشئة عن انتهاك إسرائيل المستمر لحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وعن احتلالها الطويل الأمد للأرض الفلسطينية المحتلة منذ عام 1967 واستيطانها وضمّها لها، بما في ذلك التدابير الرامية إلى تغيير التكوين الديمغرافي لمدينة القدس الشريف وطابعها ووضعها، وعن اعتمادها تشريعات وتدابير تمييزية في هذا الشأن؟ كيف تؤثر سياسات إسرائيل وممارساتها المذكورة أعلاه على الوضع القانوني للاحتلال، وما هي الآثار القانونية المترتبة على هذا الوضع بالنسبة لجميع الدول والأمم المتحدة؟

الجواب:

1 مخالفة إسرائيل لالتزاماتها الدولية كسلطة احتلال

- انسحاب إسرائيل من غزة عام 2005 لم يعفها بشكل كامل من التزاماتها بموجب قانون الاحتلال. وينبغي المحافظة على الضفة الغربية والقدس الشرقية وقطاع غزة كوحدة إقليمية.

- المصادرة الواسعة النطاق للأراضي وحرمان السكان من وسائل العيش الأساسية واجلاؤهم فضلاً عن صيانة وانشاء المستوطنات وتعزيزها، ينتهك اتفاقية جنيف الرابعة.

- تطبيق القانون الإسرائيلي على نطاق واسع ليشمل الضفة الغربية والقدس الشرقية مخالف لاتفاقية جنيف الرابعة.

- سياسات وممارسات اسرائيل تتعارض مع المادة 3 من اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، في انتهاك لحظر الفصل العنصري segregation والأبارتايد apartheid.

2 القوانين الدولية فوق أوسلو

- اتفاقيات أوسلو لا يمكن أن تنتقص من التزامات إسرائيل بموجب القانون الدولي المطبق في الأرض الفلسطينية المحتلة، ولا تسمح لإسرائيل بضم جزء من الأراضي الفلسطينية المحتلة لتلبية احتياجاتها الأمنية، كما أنها لا تسمح لها بالحفاظ على وجودها في الأرض الفلسطينية المحتلة.

3 إسرائيل دولة احتلال

- تعترف المحكمة بالطبيعة المؤقتة للاحتلال وعدم شرعية السيادة على الأراضي المحتلة، وأن ممارسة السيطرة على الأراضي المحتلة يجب أن تكون متسقة مع حظر التهديد باستخدام القوة أو استخدامها.

- لا يحق لإسرائيل السيادة على أي جزء من الأراضي الفلسطينية، ولا يمكن للمخاوف الأمنية الإسرائيلية أن تلغي مبدأ حظر الاستيلاء على الأراضي بالقوة.

- استمرار إحباط حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير يجعل من الوجود الإسرائيلي في الأراضي المحتلة غير قانوني، وأن إسرائيل ملزمة بإنهائه في أسرع وقت ممكن.

4 إسرائيل ملزمة بالتعويضات

- إسرائيل ملزمة بتقديم التعويضات عن أفعالها غير المشروعة، بما في ذلك رد الحقوق والتعويض، ويشمل ذلك إعادة الأراضي والممتلكات غير المنقولة وجميع الأصول التي استولت عليها منذ عام 1967، بما في ذلك الممتلكات والأصول الثقافية.

5 القوانين الدولية فوق أوسلو

- على إسرائيل إجلاء جميع المستوطنين من المستوطنات القائمة وتفكيك جدار الفصل العنصري في الأرض الفلسطينية المحتلة، والسماح لجميع الفلسطينيين الذين نزحوا خلال مدة الاحتلال بالعودة إلى مكان إقامتهم الأصلي.

6 إسرائيل دولة احتلال

- على الأمم المتحدة، وبشكل خاص الجمعية العامة ومجلس الأمن، النظر في الطرق المحددة والإجراءات الإضافية اللازمة لوضع حد في أسرع وقت ممكن للوجود غير القانوني لدولة إسرائيل في الأرض الفلسطينية المحتلة.

- جميع الدول ملزمة بعدم الاعتراف بالوجود القانوني لدولة إسرائيل في الأرض الفلسطينية المحتلة، وعدم تقديم المساعدة لها.

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous | al_qaous | alqaous22 | alqaous | 01/34 99 54
info@alqaous.com | www.alqaous.com